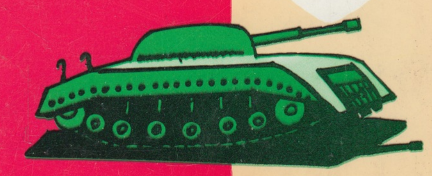
في الثورة و الدبلوماسية



جمال منصور

الأهرام
مركز الأهرام للترجمة والنشر

في الثورة

و

الدبلوماسية

جمال منصور

الطبعــة الأولــى
١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء القاهرة
تليفون ٧٤٨٢٤٨ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

المحتويات

الصفحة

☐ **الجزء الأول : الثورة**

● **مقدمة** ٦

● **الفصل الأول** : الإعداد للثورة : ثوار وجواسيس ٨

● **الفصل الثانى** : حرب فلسطين وتشكيل مجموعة عبد الناصر
وخالد محيى الدين ٣٢

● **الفصل الثالث** : مبادىء الثورة الستة وادعاءات « حدتو » ٦٠

● **خاتمــــة** ٩٤

● **ملحق وثائقى** ٩٩

☐ **الجزء الثانى : الدبلوماسية**

● **مقدمة** ١١٦

● **الفصل الرابع** : مارسيليا . . أول الطريق ١١٨

● **الفصل الخامس** : عم شمس بدران يجمع تحف بكين ١٣٨

● **الفصل السادس** : خطة على صبرى لجعل أمريكا تركع ١٥٠

● **الفصل السابع** : اسم يهودى لموبوتو ١٧٤

● **الفصل الثامن** : زوجة السفير تُصر على أن يقبّلها الرئيس ١٩٢

● **الفصل التاسع** : كيف يجرؤ على النباح أمام الرئيس ٢١٠

● **خاتمــــة** ٢٣١

الجزء الأول

الثورة

مقدمة

تمر سنى العمر .. ويخلو كل منا إلى نفسه :. يتحدث إلى داخله ويستعيد ذكرياته وماضيه .. سارحا هائما معها .. ويأتى الحدث تلو الحدث فى إيقاع رتيب كأنه التيار الهادىء يدفع ماء الحياة إلى النهر ..

إنها الحياة .. حدث فى حلقة من الزمن تتبعها حلقة أخرى مع حدث جديد .. ثم تتلاقى الأحداث وتترابط معا لتكون سلسلة الحياة .. مسجلة سنى العمر بما حملته من ذكريات هانئة أو حزينة ..

عشنا حلقة من الزمان .. عاشها كل شباب مصر .. بحثنا فيها عن الحرية فى كل الوجوه .. وفتشنا عنها بين الوديان والصخور وتلمسناها بين البراعم والزهور ، وكأنها قد أوصدت أبوابها إلى أجل غير معلوم ..

كم رأينا الحرية مع أحلامنا .. كم صورناها فى خلدنا كالنجمة التى ضلت درب العودة .. وكم وقفنا نتأمل وجه الله نسأله العون .. فهو الخالق للانسان .. حرّاً .. على الأرض .

وعشنا حلقة أخرى من الزمان . هى فترة جهاد وكفاح .. كانت قلوبنا تزخر بمزيد من الأمل .. والرجاء يملأ وجداننا .. والرؤية الانسانية أكثر وضوحا فى صدورنا ...

ولم ينل الشك يوما من إيماننا بفكرتنا .. ولم يكن للتشاؤم محلاً فى أذهاننا ولا كانت مشقة الطريق حاجزا أمام أفكارنا ..

سرنا .. وهاماتنا عالية وخطانا ثابتة على الطريق بلا تردد ولاخوف .. يدفعنا إلى الأمام ضياء الأمل المشرق .. وعزمنا الصادق والأكيد .. وكأننا نردد قول الشاعر الهندى « طاغور » يبقى العقل بلا خوف والرأس مرفوعا عاليا ...

وواصلنا المسيرة بين الأحجار والأشواك .. نمهّد الأرض بكفاحنا .. ونعبّد الطريق بجهادنا إلى أن نبتت زهرة الحرية بين الصخور .. بعد أن سقتها قطرات الندى من سماء الله .. والعرق والجهد من جبين الأحرار ..

٢٣ يولية ١٩٥٢ .. تفتحت زهرة الحرية ونجحت ثورة مصر وجيشها .. لقد تحقق الأمل .. وظهر معين الماء .. وكان سرابا بلا نهاية على اتساع صحراء مصر .. ولمسنا الأمل بأيدينا بعد أن كان نجما عاليا فى السماء بعيد المنال ...

والتقى الأحرار جهرا .. وكان اللقاء ـ على مدى السنين ـ فى ظلال الليل وسكنات الظلام .. واطمأنت القلوب المؤمنة بالحرية من أجل مصر وشعبها وألقت جانبا حملا ثقيلا من القلق .. وعلت الشفاة بسمة الرضا بعد أن زال الغمام .. وصفت السماء مما حملته من سحابات الحزن الطويل ..

الفصل الأول

الإعداد للثورة : ثوار وجواسيس

يمر أكثر من سبعة وثلاثين عاما على الثورة .. وأعود إلى صفحات تاريخنا الحديث باحثا عما جاء به من سطور تسجل هذا الجانب .. جانب الاعداد للثورة .. فلا أجد له صورة ولا أثراً .. وكأن رياح الصحراء قد طمرته ، أو أن أمواج البحر قد أتت عليه وهبطت به إلى أعماق اليّم والسكون ..

وكلما حاولت الكتابة عن ثورة الاحرار ، وبالتخصيص جانب الإعداد لهذه الثورة ، ومتى نبتت الفكرة فى قلوب البعض ، وكيف سارت على الدرب الطويل رغم ظلم الحاكم وظلام الطريق ـ أقول كلما حاولت وأجتهدت مرات ومرات لكى أجمع شتات الفكر لأضع تصورى لما أكتب ، وجدت نفسى كأننى أزيح بمنكبى صخرا صلبا لايريد أن يتحرك ليكشف عما تحته من خبايا كادت الصحراء تغمرها بين حباتها وتهيل عليها رمالها ..

ثم أعود إلى نفسى لأتساءل عمن يكون قادرا على كتابة هذا الجزء من ثورة الأحرار ؟ وأتلفّت حولى فلا أجد غير أفراد قلائل من رجال مصر ، وطلائع ثورتها

مازالت الاقدار ـ مشكورة مبقية على حياتهم .. هذه الطلائع هى وحدها القادرة على تسجيل هذا الفصل من تاريخ مصر الحديث .. فهى التى عاصرت فترة الإعداد للثورة .. وأحست بكل حركة وكل سكنة فيها .. وحملت فى قلوبها الخيال والأحلام .. وعاشت مع الفكرة وصورت الأمل إلى أن رأته نورا ساطعا يملأ سماء مصر .. ويترتب على السؤال الأول سؤال ثان : وهل لنا أن نترك هذا الجزء من تاريخ مصر ليأتى بسطوره من هنا وهناك ، ويجمع خيوطه من أفواه لاتعرف أو أخرى تدّعى المعرفة ؟ وهل من الإنصاف أن يفقد تاريخنا الحديث صفحات من كفاح الأحرار ؟

ثم إذا لم نكتب نحن هذا الفصل من تاريخ مصر فمن يكتبه ؟ ومن الذى يضع بقلمه الأمين الأحداث الصادقة ، ويسجل سطور الحق على صفحات تاريخ أمتنا ويرد الأمانة إلى أمنا .. مصر الغالية ؟

كان لهذا الجزء من تاريخ ثورة الأحرار أن يتم تسجيله بعد أيام قلائل من نجاحها . فلقد اجتمعت الجماعة التأسيسية لسلاح الفرسان فى أغسطس ١٩٥٢ وذلك بميس السلاح بكوبرى القبة (الميس الأخضر) . وكانت الجماعة تتكون من مصطفى نصير ، وسعد عبد الحفيظ ، وجمال الدين منصور ، وعبد الحميد كفافى ، ومحمد حلمى إبراهيم . وجاءنا أحد الصحفيين من جريدة « المصور » ، وهو مرزوق هلال ، ليسجل أحداث ماقبل الثورة وفترة الإعداد لها . وبدا الصحفى فى بادىء الأمر ، كما لو كان يعيش فى مغامرة صحفية لايعرف بداية ولانهاية لها . وكادت أحاسيسه تنطق بالأسى لهذا اللقاء المغامر ، مع مجموعة من الضباط المغمورين .. فلم يسمع بهم أحد ، ولم يلمع أسم منهم مثلما لمعت أسماء أخرى وعلت فى سماء مصر بعد الثورة مباشرة . ومع ذلك فقد تحامل الصحفى على نفسه واستجمع شجاعته وبدأ يستمع إلى مابدأنا فى سرده عليه . وكان كل منا يسترجع مافى ذاكرته ويعيش مع الأحداث لكى يضعها أمينة سليمة . وهنا علت وجه الصحفى ملامح الاهتمام بما يسمع . فلم يكن يتوقع أن تأتى الأحداث فى تسلسل متسق ويعيش معنا قصة متكاملة الفصول ، فأخذ يدونها بعناية دون أن تفوته دقيقة من دقائقها .

كانت الجماعة التأسيسية لسلاح الفرسان مدفوعة إلى تسجيل هذه الفترة من تاريخ مصر لارغبة منها فى إبراز دورها فى الثورة ، ولكن اقتناعا منها بواجب

مقدس نحو مصر . فالتاريخ ليس ملكا لصانعيه ، ولكن الأمة وحدها هى صاحبته ومالكته . ولقد أرادت هذه الجماعة - من وراء تسجيلها لهذه الفترة - أن توضح - من خلال أحداثها - أن الثورة لم تكن خبطة عشوائية وقعت بين مساء الليل وفجر النهار ، ولم تكن مغامرة عفوية حدثت تحت أجنحة الظلام ساعة غياب الحاكم ، بل كانت فكرة جامحة بين الطلائع . وكان نجاحها مرتبطا بجدية الإعداد لها ، والعمل فى حرص ومثابرة وسكون - وأشهد أن فترة الاعداد كانت جهدا وعرقا ومخاطرة ، حملتها طلائع مصر وشبابها ، إلى أن وقع الحدث العظيم .

أعود فأقول إن الجماعة التأسيسية لسلاح الفرسان اجتمعت فى أغسطس ١٩٥٢ لكى تبدأ فى تسجيل أحداث ماقبل الثورة وفترة الاعداد لها . وكان عليها أن تبلغ مجلس الثورة فى ذاك الوقت بأنها سوف تبدأ فى تسجيل أحداث هذه الفترة ، ووافق مجلس الثورة على البدء فى هذا التسجيل . ولكن لم تمض أيام ثلاثة حتى جاءنا « الرسول » من بين أعضاء مجلس الثورة والذى كان يمثل سلاح الفرسان فيه ، وهو الزميل خالد محيى الدين ، ليبلغنا بأن المجلس يريد أن يطّلع أولا بأول عما نكتبه ، ووافقنا على أن نحيط المجلس علما بما نكتب ، أقتناعا منا بأن « مجلس الثورة » كان يمثل قمة القيادة فى البلاد ، وكان من حقه أن يعرف كل مايحيط بالثورة ويصون تاريخها على امتداد ماضيها وحاضرها ومستقبلها . وعلى الجانب الآخر فلم نكن نخشى شيئا ، إذ أن ما أردنا تسجيله إنما كان الحق كل الحق ، وهو يصور أحداثا عشناها وعاشت معنا . وكان الصحفى يأتى إلينا بعد انتهاء عملنا اليومى ، وكنا نواصل الحديث معه وهو يسجل مايسمعه منا بمزيد من التقدير ، فكان فرحا بما يكتب ، فقد كان يدرك فى قرارة نفسه أنه حقق نصرا صحفيا لم يحققه صحفى قبله .

ومرت أيام أخرى قليلة ، وجاءنا نفس « الرسول » ليحمل إلينا قرارا من مجلس الثورة بإيقاف الكتابة فى هذا الموضوع حتى لاتحدث بلبلة فى النفوس خاصة وأن الثورة كانت تعيش ربيعها الأول .

وقد نتساءل : لماذا لم توافق « القيادة » على كتابة تاريخ « الضباط الأحرار » ، وبالذات مرحلة الاعداد للثورة ؟ نعتقد أنه حينما أطلع « مجلس قيادة الثورة » على بعض مما سردناه على الصحفى « مرزوق هلال » من وقائع تاريخية وأحداث لم يشارك فيها معظم أعضاء القيادة الجديدة ، اتضح للمجلس

أن ماجاء فى تلك الأحداث يشير إلى رجال آخرين لهم دور كبير فى صنعها . وأنه إذا ماسُمح بالحديث عن فترة الاعداد للثورة منذ عام ١٩٤٥ ، فقد يقف التاريخ حائرا أمام معظم أعضاء القيادة الجديدة ويتساءل عن دورهم فى هذه الفترة . وقد يظهر هؤلاء بأدوار تتضاءل كثيرا عما قام به ضباط آخرون مجهولون ، الأمر الذى قد يدفع ببعض أعضاء « القيادة الجديدة » إلى صفوف أخرى ليست ـ بكل تأكيد ـ هى الصفوف التى وصلوا اليها ، وربما أتى التاريخ فى صفحاته بأسماء أخرى لم يكن أصحابها من بين الجالسين على عرش الثورة . ولو كانت تلك الأحداث التى رويناها للصحفى ، أحداثا مختلقة أو بعيدة عن الواقع فلماذا لم تتركها « القيادة » تطفو على السطح ، فتتلاشى أو تحترق بين نيران الحقيقة ؟ لكن « القيادة » كانت تعلم علم اليقين أن القصة يرويها أصحابها بكل الصدق والأمانة ، وأن صفحاتها عامرة بنور الحقيقة ، لذلك سارعت إلى إصدار قرارها بمنع نشر تلك الحقائق لتبقى ، إلى أجل غير معلوم ، حبيسة قلوب أصحابها إلى أن تتوقف نبضاتها .

وأشهد أننا لم نكن سعداء بهذا القرار ، لكننا قبلناه وفاء منا للرابطة الأخوية التى كانت تربطنا ببعض أعضاء « القيادة » منذ أن عملنا سويا فى ظلام الليل قبل قيام الثورة ، ورغبة صادقة منا فى أن تسعى الثورة آمنة على الطريق نحو الهدف المنشود دون أن تؤرقها أحداث الماضى وحقائق التاريخ . كانت « جماعة الفرسان » راغبة فى سرد هذه الحقائق بكل دقة وأمانة ، ووضعها فى سطور التاريخ ليس طلبا للشهرة أو المجد ، ولكن حرصا منها على وصل تلك الحلقة الضائعة بين تاريخى ماقبل الثورة وقيامها . إلا أن « القيادة الجديدة » رأت غير ذلك ، ووضعت « جماعة الفرسان » تحت أعينها ، حتى أن مجلس قيادة الثورة فى إحدى جلساته الأولى انتهى إلى قرار فحواه أن أى عمل مضاد للثورة لن يأتى إلا على أيدى من أسمتهم « **بالصف الثانى » وأنه لابد من التخلص من هذا الصف الثانى فى أقرب وقت ، وهذا ماحدث فعلا ، كما سيرد فيما بعد .**

وفى محاولة لإعادة سرد الأحداث على النحو الذى شاهدته وشاركت به ، أعرض بإيجاز فى الصفحات التالية ، أهم ماوقع فيها :

فترة عاشها كل شباب مصر

رغم حداثة عهدنا بالجيش كنا نشعر بما يدور حولنا فى مختلف الأسلحة . فكانت البعثة العسكرية البريطانية هى صاحبة الكلمة العليا فى مقدرات الجيش من تدريب وتسليح وقيادة . فأما التدريب فكان على أيدى مجموعة من الجنود وضباط الصف الانجليز . يبدو أن انجلترا رأت ـ عن قصد ـ أن تحشد فى هذه البعثة العسكرية حثالة قوات الامبراطورية . وأما التسليح فكان أمره مرهونا بسياسة انجلترا فى مصر وابقائها بعيدة عن أى أسلحة متقدمة ، ولابأس من أن تبيع لمصر بعض الأسلحة المتهالكة من مخلفات الحروب . أما القيادة فكانت مقصورة على كبار الضباط ذوى الكفاءة المجدودة من أصحاب الحظوة لدى البعثة البريطانية ورئيسها . وهكذا كان الجيش المصرى مكبلا بمساوىء التدريب وضعف التسليح وجهل القيادة ، ولاعجب أن يذهب الجيش المصرى إلى حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ ويعود صفر اليدين ..

وعلى الجانب الآخر كنا نعيش فترة عصيبة من الزمان عاشها كل شباب مصر . كان البلد يغلى بكل التيارات المتصارعة . وكان إطار السلطة السياسية الحاكمة ـ الانجليز ، القصر ، الاحزاب السياسية ـ والنظام الاجتماعى يتمزقان بعنف فوق الأمواج الصاخبة ، غير قادرين على الحل ولا الخروج من الدوامة ولامواجهة المستقبل ، الأمر الذى كان لامفر معه من الانهيار . ومازلت أذكر حينما كنا نهرع فى صباح الاثنين إلى بائع الصحف لكى نحصل على نسخة من مجلة « روزاليوسف » لنقرأ الصفحات الأولى من المجلة وبها مقالة « إحسان عبد القدوس » الناقدة للأوضاع فى البلاد بكل جرأة وشجاعة ، قبل أن تمتد إليها يد الرقابة فتنزع منها مقالة « إحسان » أو تصادر المجلة بأكملها . ثم ظهرت جريدة « الاشتراكى » التى كان أحمد حسين يكتب فيها مقالا بالصور ـ وعلى اتساع صفحتين . وفى قلب الجريدة كنا نجد صورا متعددة تعبر عن البؤس والعرى والحرمان ، صورا للطبقة العريضة من شعب مصر وأبنائه وأطفاله ، صورا ناطقة بجوع البطون وجفاف الحلوق .. وأحاطت كل هذه الصور بكلمتين فى عبارة واحدة « رعاياك يامولاى » .

لقد عشنا تلك الفترة التى شاهدت قمة الفساد لملك البلاد . الملك الذى حكم بالسلطة المطلقة ، فكانت المفسدة المطلقة ، والأحزاب التى كانت تتناحر فيما بينها رغبة فى الحكم وسلطانه وكراسيه . وأحسسنا بغياب أبسط ملامح العدالة الاجتماعية ، والهوة السحيقة التى تفصل بين فئة محدودة تملك كل شىء وطبقة عريضة لاتملك أى شىء . فكان نصف فى المائة من المصريين يملكون تسعين فى المائة من الأرض الزراعية ، وكانت العائلة المالكة وحدها تملك مايقرب من نصف مليون فدان . وكأن مصر قد أنقسمت إلى طبقتين : طبقة محدودة لها كل شىء ، تعيش فى بروج عاجية عالية فى السماء ، وطبقة عريضة تعيش على الأرض لاتملك سوى الجوع والأنين بين الأزقة والجحور .

وقبل أن نبدأ فى سرد أحداث ما قبل الثورة ، وفترة الإعداد لها يجدر بنا أن نقول إنه كانت هناك حركات وطنية أخرى فى الجيش قبل حركة « الضباط الأحرار » أو أثناءها . وهذا أمر طبيعى ، فلم تكن الوطنية فى يوم ما حكراً لأحد ، ولم تكن مقصورة على فئة بالذات ، فصاحب الرأى الحر موجود فى كل وقت وفى كل مكان. ولكن مايعنينا من هذا الجزء من تاريخ مصر هو الحديث عن الحركة التى ظهرت بين ضباط الجيش تحت اسم « الضباط الاحرار » إلى أن فجرت ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وهى ترفع هذا الاسم .

وهنا لابد أن نؤكد أن حركة « الضباط الأحرار » لم تنخرط تحت هذا الاسم منذ نشأتها . ولكنها مرت بمرحلتين - ففى « المرحلة الأولى » ، من عام ١٩٤٥ إلى عام ١٩٤٩ ، كانت تسمى باسم « ضباط الجيش » ، وكانت منشوراتها تحمل هذا الاسم واستمرت كذلك حتى حرب فلسطين . ثم انتقلت بعد ذلك إلى « المرحلة الثانية » تحت اسم « الضباط الأحرار » ، إلى أن نجحت ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وهى تستظل براية « الضباط الأحرار » .

وبادىء ذى بدء أود أن أقول : إن هذه المذكرات محاولة لتحديد معالم مرحلة ، هى مرحلة الإعداد للثورة منذ عام ١٩٤٥ حتى نجاحها فى ٢٣ يولية ١٩٥٢ . وشملت أحداثا عاشتها الجماعة التأسيسية للضباط بسلاح الفرسان من أجل التمهيد للثورة ونجاحها وجاءت فى تسلسل زمنى واضح على مدى هذه السنوات السبع .

أما ما ورد بها من حديث عن أفراد معينين ، فأن الوقائع نفسها هى التى فرضت الحديث عنهم .

وإنى أضع الأحداث - مجردة - أمام القارىء يستخرج منها مايشاء ، ويصورها بما يريد له فكره أن يذهب به . فما زال القصور الانسانى يعترى أسلوب الكاتب أو حديثه .

دفعة ١٩٤٤ : كل ده اسمه حصان

كان نصيب سلاح الفرسان فى دفعة (٣٠ يونية ١٩٤٤) اثنى عشر ضابطا من أوائل الدفعة من بين أبناء الطبقة المتوسطة ، وذلك لأول مرة فى تاريخ هذا السلاح الذى كان وقفا على أبناء طبقة لاعلاقة لها بباقى الطبقات . وبعد مقابلة مع أركان حرب سلاح الفرسان ، توجه الضباط الجدد إلى آلاى الخيالة للبدء فى تلقى « فن الفروسية » فى فرقة كانت تسمى فرقة « الركبدارية » .

دخلنا إلى مكتب أركان حرب آلاى الخيالة ، ولم يكن بمفرده فى المكتب بل كان معه عدد من قدامى الضباط الفرسان . وتصورت لأول وهلة أننى أخطأت الطريق ، فقد رأيت وجوها لم آلفها ولغة لم أسمعها ، كلمة بالعربية وأخرى بالفرنسية ، وضحك واستهزاء بكل قادم جديد - أعنى بكل ضابط مستجد . ووجد أركان حرب الآلاى ومن معه من قدامى الضباط الفرسان أن الفرصة سانحة لمزيد من التسلية بهذه المجموعة من مواطنى الدرجة الثانية ، وأمعن في طرح الأسئلة المحرجة قاصدا من ورائها إشعارنا بأن انضمامنا إلى سلاح الفرسان يعتبر شرفا لانستحقه . وتقبلنا كل هذا على مضض ، فقد عودتنا العسكرية على احترام « الأقدمية » ، وكان علينا أن نذعن للأوامر .

وجاء موعد الطابور الأول ، وكان فى السادسة صباحا ، وحضر إلينا أركان حرب الآلاى ممتطياً صهوة جواده كأنه فارس من « العصور الوسطى » . وأراد أن

يظهر أهميته أمام هذا الجمع الجديد ، فجعل جواده يرتفع به إلى أعلى ثم يهبط ، ويجرى أمامنا ويميل يمينا ويسارا فى حركات أشبه بحركات رعاة البقر . لكننا عرفنا فيما بعد أن هذا هو ما كان يسمى « بفن الفروسية » . وبدأ الشاويش فى إلقاء الدرس الأول في فرقة « الركبدارية » ، فشرح لنا التكوين الجسمي للحيوان الذى كان أمامنا ، وانتهى بقوله « كل ده اسمه حصان » ، فلم نتمالك أنفسنا من الضحك . وهنا ثار أركان حرب الآلاى واعتبر أن هذه إهانة أصابت فن الفروسية في الضميم . كان نصيبنا « داخلية » عنيفة أظهر فيها « الركبدار » مقدرته على التعبير بلغة لم نألفها .

وسارت الأيام متثاقلة فى بطء ونحن في دوامة اليأس بين شرح « التعليمجية » من صف الضباط من جهة ، وسخافات أبناء الطبقة المميزة من قدامى ضباط الفرسان من جهة أخرى ، وكنا نراهم فى كل صباح وقد ارتدى كل منهم ملابس الفروسية وامتطى صهوة جواده ممسكا بعصا طويلة « الأمشة » . وكان المفروض أن يستخدم هذه العصا لتسيير حصانه ــ ولكنه كان فى أغلب الأحوال يستخدمها ليبطش ويضرب وينزل غضبه على « المراسلة » إذا تأخر في « شد » الحصان ، أو تلكأ في خلع حذاء سيده ! بعد عودته من طابور الصباح .

وكان لنا أن نمر بهذه التجربة الجديدة مع هذه المجموعة من فرسان العصور الوسطى فى بداية عهدنا بالجيش . ولعلنا نقول إن الصورة قد أهتزت أمامنا ، وأدركنا أن عملنا الجديد فى الجيش لايتعدى إعدادنا للخروج إلى الشوارع فى الاحتفالات السعيدة والحزينة ، لنساهم في الزخرفة التى تتطلبها مثل هذه المناسبات ..

وكنا نلتقى للإفطار فى ميس الفرسان بعد الطابور الأول . وكان من بين « الدفعة » أربعة من الضباط الشبان أحسوا معا بالواقع الأليم الذى يعيشون فيه ، وشعروا معا بخيبة الأمل تملأ قلوبهم . كان هؤلاء الأربعة هم : سعد عبد الحفيظ ، مصطفى نصير ، عبد الحميد كفافي ، جمال الدين منصور . ولعل خيبة الأمل هى التي جعلتنا نقترب من بعضنا ونتحدث بعض الوقت .. ثم دفعتنا غيرتنا على وطننا وجيشنا إلى حديث أكثر تفصيلا وأدق تعبيرا .

وانتهت فرقة « الركبدارية » ، وشعرنا بأننا قد تخلصنا من هذا العبء الذى كان جاسما على أنفاسنا مدة ستة شهور . وذهبنا إلى رئاسة سلاح الفرسان لكي يتم

توزيعنا على الآلايات المختلفة ـ وكان نصيب الاى الدبابات اثنين منا (سعد عبد الحفيظ وجمال منصور) وآلاى السيارات اثنين (مصطفى نصير وعبد الحميد كفافي) .

والتقينا يوما فى أرض الطابور ، وكان حديثا صريحا يجمع أربعة ضباط من دفعة ١٩٤٤ وواحد من دفعة قبلنا ، وتحدثنا طويلا ولم يكن حديث الغرباء بل كان كلا منا منسجما مع الآخرين كأن كلا منا يقرأ ما فى قلب أخيه . وكانت الفكرة التى سادت عقولنا جميعا هى رفض الأوضاع السائدة في الجيش والبلد ، والعمل على تغييرها ، وأن التغيير لن يأت إلا بالقوة ، والجيش هو صاحب هذه القوة .

واتفقنا على أن نلتقى معا لنبحث الأمر من كافة جوانبه ونضع بأنفسنا خطة العمل .

أول لقاء فى شارع الكومى

كنا خمسة من سلاح الفرسان : عبد الحميد ، جمال ، مصطفى ، سعد ، حلمى . واجتمعنا فى بداية الأمر فى منزل مصطفى بالسيدة زينب فى شارع الكومى وكان منزلا فسيحا ، ورغم كونه فى قلب الزحام إلا أنه لم يكن موضع مراقبة أو شك .

وبدأنا الحديث ـ وكانت الفكرة التى تدور فى ذهن كل منا واحدة هى «الثورة» . أما طريق الاعداد لها ، فقد أخذ منا الكثير من اللقاءات ، وفى كل مرة نلتقى كنا نجد أن آراء جديدة قد قفزت إلى أذهاننا . ولكن الحماس كان يدفعنا جميعا إلى بداية العمل الجدى . وكان ماتوصلنا اليه هو أن نبدأ أولا بتكتيل الضباط حول حركة واحدة لاتبغى سوى صالح هذا الوطن . ولكن كيف السبيل إلى أذهان الضباط وأغلبهم من طبقة كادحة مسئولة عن عائلة تخشى عليه أن يتعرض لأذى الحاكم فتفقد عائلها ومورد رزقها الوحيد ؟ لقد أدركنا منذ البداية أن الطريق صعب والشوك يحفه من كل جانب . فقد كان الجيش إذ ذاك يضم مجموعة من الضباط لها ولاء خالص للملك ، أو ولاء

لاصحاب النفوذ ورجال الأحزاب . وكل فئة من هؤلاء يصعب الاتصال بها أو الحديث معها فى مثل هذا الموضوع . ولذلك كان من بين قراراتنا الأولى أفضلية ضم الضباط من غير المتزوجين حتى تكون مسئولياتهم العائلية محدودة ، وأن نستبعد على الإطلاق كل من له علاقة بالقصر أو أصحاب النفوذ والأحزاب فى البلاد مهما كانت أهميته فى سلاحه .

وكانت اجتماعاتنا الأسبوعية تتم فى بادىء الأمر فى منزل الزميل مصطفى نصير فى شارع الكومى بالسيدة زينب . ومع انتشار الفكرة بين بعض الضباط المؤمنين بها ، وحرصا على تأمين الحركة ، رأينا أن تكون اجتماعاتنا فى أماكن مختلفة وأصبحت لقاءاتنا الأسبوعية تتم فى : ١ ـ **منزل الزميل مصطفى نصير - فى السيدة زينب ، ٢ ـ منزل جمال الدين منصور ـ فى حدائق القبه ، ٣ - منزل الزميل سعد عبد الحفيظ - فى العباسية ، ٤ - منزل الزميل عبد الفتاح أبو الفضل - فى عابدين/ خلف قصر الملك ، ٥ ـ منزل الزميل الملازم ثان طيار طلعت ناجى - فى الحلمية الجديدة ، ٦ - منزل الزميل الملازم ثان طيار عبد المحسن الوسيمى - فى السيدة زينب ، ٧ - فى الشقة التى تم تأجيرها باسم سعد الدين منصور - فى الزيتون .**

واستمرت هذه الاجتماعات الأسبوعية فى تلك الأماكن المختلفة منذ عام ١٩٤٥ وحتى قيام الثورة فى يولية ١٩٥٢ .

الطريق إلى التكتل : حرب المنشورات

انطلقت المجموعة الأولى بأفرادها الخمسة تسعى إلى الجيش بأسلحته المختلفة ، بادئين بسلاح الفرسان وأود أن أعترف هنا أن ضم بعض الضباط إلى الحركة كان أشبه بعبور حقل من الألغام أو سد منيع في علو الجبال . ولكن على الجانب الآخر ، كان هناك البعض الآخر الذى يقتنع بالفكرة بمجرد الحديث إليه ويدخل ضمن المجموعة ويواظب على اجتماعاتها ويقدس مواقيتها ولقاءاتها . وكان

تقليدا بيننا حينما نلتقي في كل مرة ، أن نسأل بعضنا عن نتيجة اتصالاته بالضباط ، وعما إذا كان قد نجح في ضم أحدهم أو الحديث معه . وكنا نستعرض معا اسم الضابط الذى نتوسم فيه الاستعداد للانضمام إلى الحركة ونتحدث عنه بكل صراحة ، ثم نقرر في النهاية إذا كان من الممكن ضمه إلى المجموعة أم لا .

لم تكن فكرة الحديث إلى بعض الضباط ناجحة تماما في سبيل ضمهم إلى الحركة ، وكان لابد لنا أن نفكر فى وسيلة أكثر إقناعا وأبعد مدى ، لكي تتهيأ النفوس لتقبل فكرة جديدة بأسلوب جديد مقنع . وتوصلنا إلى أن ما نريد أن نقوله للضباط ويصعب علينا قوله فى مواجهتهم لصعوبة الالتقاء بهم ، نستطيع أن نقوله بطريق النشر للتعبير عن دوافع الفكرة وأسلوبها ورغبتها وصدقها . وبذلك نخلق لها رأيا عاما في الجيش ، يتجمع حوله من يشعر بواجبه نحو وطنه ، ومن كان كارها لأوضاع معينة أو غير راض عن سير الأمور فى الجيش والبلاد على النحو الذى كانت عليه .

وجاءت فكرة المنشورات ـ لكن كيف السبيل لتنفيذها ؟ إنها تحتاج إلى آلة كاتبة ، والى آلة للطبع (الرونيو) والى مصروفات لتوزيعها وارسالها للضباط وغيرهم . ولم يكن بيننا من لديه الآلة الكاتبة اللازمة . واتفقنا في يوم جمعة على أن نلتقى بالجيزة . وكان هناك معهد لتعليم الآلة الكاتبة ، ودخل أحدنا (سعد عبد الحفيظ) إلى هذا المعهد وكان معه أول منشور تم إعداده بمعرفتنا ، ليكتبه . وبدأ فى الكتابة أو تعلم الكتابة . وإذا بالمدرس الموجود يقترب منه ويسأله إذا كان يعرف الضرب على الآلة أولا ، وعمّا إذا كان يريد المساعدة ، فقال له إنه مدرس الزامى ويريد أن يكتب بعض الموضوعات في الجغرافيا لتلاميذه . وأستمر المدرس واقفا بالقرب من « سعد » ، فلم يجد الأخير بداً من استجماع فكره ومابقى فيه من معلومات عن جغرافية محاصيل مصر ، فبدأ يكتب عن القطن والفول ورى الحياض والرى الدائم . وانتظرنا « سعد » على مقهى بالقرب من المعهد حتى جاء ، ونحن في تلهف لمعرفة نتائج هذه المغامرة . فسألناه عما إذا كان قد تمكن من كتابة المنشور، فلم يرد علينا ، ولكنه أخرج من جيبه ورقة استنسيل نظرنا اليها بتعجب واندهاش ، فلم تكن فيها أى كلمة مما كتبناه فى المنشور ، بل كانت معلومات جغرافية عن مصر بالقدر الذى يعرفه . وقفنا بجانبه يتنازعنا مزيج من الاحساس بالفشل فى كتابة أول منشور ،

والرغبة في الضحك على ماجاء به صديقنا من معلومات جغرافية بدائية بدلا من منشورنا الملتهب .

والتقينا في الاجتماع التالى لنتدارس الموقف ، ومايجب أن نفعله إزاء تحقيق فكرة المنشورات التى اتفقنا عليها . واقتنعنا بأنها وسيلة ناجحة في تكتيل الضباط وتجميعهم حول فكرة أمينة صادقة . وأشار واحد منا بأن نكتب المنشور على إحدى الآلات الكاتبة في سلاح الفرسان ولكن الأمر لم يكن سهلا . فالضاربون على الآلة الكاتبة من ضباط الصف لايمكن إقناعهم بالفكرة ، أو حثهم بأى شكل على كتابة المنشور ومافيه من كلام حماسى يمس القادة والنظام والحكم ، فضلا عن أننا مازلنا في مقتبل عملنا بالجيش ولانعرف خبايا الوحدات . وأشار آخرون بأن يكتبه أحدنا حينما يكون نوبتجيا . لكن إذا فُرض وعرف الكتابة على الآلة الكاتبة ، فإين هذه الآلة ؟ إنها دائما في مكتب مغلق بعد الظهر، فضلا عن وجود الضابط العظيم النوبتجي الذى لايفارق الضابط النوبتجي يوم النوبتجية ، ولا يستطيع أن يتحرك حركة واحدة دون اذنه أو رأيه . وكان بيننا وبين الضباط العظام هوة عميقة في المبدأ والفكرة . وحتى من كان منهم يحمل بين قلبه مرارة من الأوضاع ، فلن يسمح لنفسه أن يتحدث بصراحة مع ضابط جديد حديث التخرج .

الحل : « ماتبقوش تنسونى »

عدت إلى المنزل وتحدثت مع شقيقى سعد بأننا نأخذ فرقة في الجيش حاليا ، ونريد أن نكتب بعض الموضوعات التى ندرسها على الآلة الكاتبة ، ولكن المشكلة أنها موضوعات لها صفة السرية ، والمهم أن نجد أحد الأفراد لنعتمد عليه فى هذا الموضوع دون أن يفشي هذه المعلومات ، وسألته عما إذا كان يعرف أحدا من زملائه لكي يساعدنا في هذا الموضوع . فأجابني فورا بأن له صديقاً يثق فيه تمام ، ويعرف أنه ضارب بارع على الآلة الكاتبة ، ويعمل موظفا فى السكة الحديد واسمه محمد شوقي عزيز ، ويذهب بعد الظهر للعمل فى مكتب محاسبة « مكتب القطان » فى « ميدان لاظوغلى » .

رجعت إلى الصحابة وقصصت عليهم ماحدث بيني وبين شقيقي ، وقلت لهم إن شقيقي لا يمكن أن يخدعني بالحديث عن الثقة في أحد أصدقائه وتقديره لسرية المعلومات . وتحدثنا طويلا في هذا الموضوع وانتهى الأمر إلى أن فوّض الصحابة الأمر لي طالما أنني أثق ثقة غير مباشرة (عن طريق شقيقى سعد) في صديقه محمد شوقى عزيز .

وبالفعل جاء « شوقي » إلى منزلنا في حدائق القبة بصحبة شقيقي سعد ، الذى بدأ بالحديث إلى صديقه شوقي شارحا له ماهو مطلوب منه دون الاشارة إلى فحوى ماسوف يكتبه . واقتربت من شوقي وتحدثت معه بكثير من الهدوء . ثم التقينا مرة ومرات وأنا لاأزال مترددا ، متصورا ماذا يمكن أن يصيبه حينما يرى المنشور ومافيه من عنف ونقد للنظام الحاكم ، إذ أنه كان مقتنعا لآخر وقت أنه لايعدو بعض المعلومات العسكرية ، والمطلوب منه أن يكتبها مع المحافظة علي سريتها .

وفى أحد الأيام كنا معا أنا وسعد وشوقى فى منزلنا وبعد الغداء اقتربت من شوقى وأظهرت له الورقة المراد كتابتها على « الاستنسيل » استعداداً لطبعها بعد ذلك . وحينما وقع نظره عليها تجمعت على وجهه ملامح الدهشة وانعقدت على جبينه ثنايا الجدية ولكن سرعان ماسرى في نفسه حماس الشباب ، وقال لى : « هل هذا ماتريد أن أكتبه ؟ » ، فقلت نعم ، فردّ : « إننى على استعداد أن أكتبه ، وثق إننى لن أبوح بهذا السر » . وماكان مني إلا أن أسأله أن يضع يده على المصحف الكريم ليقسم بألا يبوح بسر هذا الموضوع ، ففعل وقال لي ضاحكا : « بس لما تنجح الحركة ماتبقوش تنسونى » .

وعدت إلى الصحابة أقص عليهم ماحدث ووضعوا أيديهم على قلوبهم ، لأنهم لم يكن يعرفوا « شوقي » ومدى قدرته على المحافظة على هذا السر ، إزاء الإغراءات الكثيرة التي كان يمكن للملك ورجاله تقديمها له لافشاء سر هذه الجماعة ، خاصة مع مرور الوقت وانتشار الفكرة وتجميع الرأى حولها .

وذهبت إلى شوقي في مكتبه بعد ظهر أحد الأيام ، مكتب المحاسب « القطان » ، وأعطيته المنشور ، وكتبه على الاستنسيل أمامي على الآلة الكاتبة ، ووضعنا المنشور والاستنسيل في ظرف مغلق . ثم سألته عما إذا كان من الممكن

أن نطبعه على « الرونيو » ، فأجابني بأنه قادر على ذلك في مكان عمله في « السكة الحديد » ، فهناك آلة رونيو كبيرة في مطابع السكة الحديد فوق سطح محطة مصر ، وأن المشرف عليها أحد السعاة الذين لايعرفون القراءة ولا الكتابة ويمكنه القيام بطبع عدد النسخ المطلوبة مقابل مبلغ زهيد . وأعطيت « شوقى » مبلغا من المال لشراء بعض رزم الورق المشرب ، ولكى يدفع المبلغ الزهيد إلى الساعى الأمى الذى سوف يقوم بالطبع فى مطبعة السكة الحديد بسطوح محطة مصر . وكان كل منا يدفع ٢٥ قرشا شهريا لمواجهة النفقات . وكانت هذه الاشتراكات الشهرية تصب عندى لنقوم بالصرف منها على المنشورات .

وكان علينا أن نقوم بالعمل من بدايته إلى نهايته ، من الاتفاق على النقاط التى تأتى فى المنشور ، ثم صياغتها فى أسلوب مقبول ، ثم كتابتها على الآلة الكاتبة وطبعها وتوزيعها على عناوين مساكن الضباط . ولقد أخطأنا خطأ واحدا ، هو أننا كنا نكتب بأيدينا تلك العناوين - واتضح هذا الخطأ فى حادث « عطا الله باشا » كما سيأتى فيما بعد .

وكانت المرحلة الأخيرة وهى مرحلة توزيع المنشورات على صناديق البريد هى المرحلة الشاقة فى العملية ، وازداد الأمر صعوبة حينما وضع البوليس السياسى والمخابرات الحربية رقابة قوية على هذه الصناديق لمنع وصول المنشورات إلى أصحابها . واذكر أننى ذهبت مرة إلى صندوق بريد « منشية الصدر » ، وكان يقع فى مبنى صغير يصل بينه وبين الشارع سلم صغير من أربعة درجات . وبدأت فى وضع المنشورات دفعة دفعة ، وإذا بى أشعر بحركة ووجدت عسكرى بوليس يقف على الدرج الثالث خلفى مباشرة . وبعد لحظة ربت على كتفى قائلا : « كل هذه الخطابات ترسلها مرة واحدة ؟! ومتى تنتهى من مهمتك ؟ » فانتابنى قلق بالغ وتصورت أنه كان يراقبنى ، ولكنى حبست أنفاسى فى صدرى ، وقلت له إنها معايدات للأهل والأصدقاء . وأنهيت مهمتى ونزلت من على الدرج بسرعة دون أن ألتفت إلى العسكرى ، وتوجهت إلى عربتى فى شارع جانبى وأسرعت بها خارج المنطقة .

ولاقت فكرة المنشورات نجاحا كبيرا ، وتجمع حولها المزيد من الضباط وامتد النشاط إلى الأسلحة الأخرى ، وأصبح الطريق ممهداً للقاء مع ضباط هذه الأسلحة ،

وكانوا لايقلون حماساً ولا وطنية عنا . وكان الزميل محسن عبد الخالق أول من نلتقى به من ضباط المدفعية ، فقد كانت آراؤه واضحة وتتفق تماما مع آرائنا وأفكارنا . وجاء عن طريقه ضباط آخرون من المدفعية وفى مقدمتهم فتح الله رفعت ، وأبو الفضل الجيزاوى ، وأمين مظهر ، وأبو اليسر الانصارى وغيرهم . وجاء من ضباط المشاه ، عباس رضوان ، وعبد الرحمن مخيون ، وعبد الفتاح أبو الفضل وغيرهم . كما انضم للحركة منذ البداية من سلاح الطيران عبد المحسن الوسيمى ، وطلعت ناجى ، وعهدى خيرت ، وعبد الكريم محرم . ثم توالى الانضمام للحركة من كافة الأسلحة حتى عام ١٩٥٢. وأذكر أن أكبر اجتماع فى البداية كان يضم حوالى ٣٠ ضابطا من مختلف الأسلحة ، وكان فى منزل عبد الفتاح أبو الفضل فى السطوح فى شارع البرامونى ، خلف قصر عابدين .

مصطفى كمال صدقى ورشاد مهنا

انضم إلى الجماعة المرحوم الملازم عبد السلام فريد ، من سلاح الفرسان ، وحضر معنا عدة اجتماعات ، وكان شاباً مملوءا بالحماس والغيرة . وفي أحد الاجتماعات عرض على الصحابة اسم مصطفى كمال صدقي ، وألحّ في ضمه إلى الحركة اقتناعا منه بأنه من العناصر الشابة الجريئة - ولم تكن الجماعة مقتنعة به حيث أنه كان يقوم بأعمال تتسم بالتهور لا لشيء ولكن بقصد التظاهر .

والتقت الجماعة في إحدى الليالي في منزل عبد الفتاح أبو الفضل ، لمناقشة بعض المسائل التي تتعلق بالحركة والسبل التي تحقق انتشارها بين أكبر مجموعة من الضباط . وفي أثناء النقاش دقّ الباب وإذا بالقادم هو مصطفى كمال صدقي ، وبصحبته الصاغ رشاد مهنا والصاغ كمال عبد الحميد ! وكانت مفاجأة لنا جُميعا ، خاصة وأننا لم نكن قد أعطينا موافقتنا على ضم مصطفى صدقي ، فضلا عن أن الصاغ رشاد مهنا كان في ذلك الوقت أركان حرب قسم القاهرة ، وكان هذا المركز من أخطر المراكز في الجيش إذ كانت مقدرات الضباط تتحدد في هذا المكان .

كانت دهشتنا كبيرة وأحسسنا بأن قدوم رشاد مهنا إلى هذا الاجتماع ماهو إلا بداية لكي يضع المسؤلون أيديهم على حركتنا . وجلس الثلاثة أمامنا وتحدثوا معنا ، وظهرت على رشاد مهنا علامات الارتياح لأن يرى هذه المجموعة من الضباط تلتقي جميعا على رأى واحد وتعمل سوياً في عزم وإصرار أملا في تغيير الأوضاع بواسطة الجيش . وزال عنا القلق بعد فترة يسيرة من الوقت لما لمسناه من رشاد مهنا من تجاوب غير مباشر مع مبادىء الحركة . ومع ذلك فقد طلب عبد الحميد كفافي من رشاد مهنا أن يتقدم لكي يضع يده على المصحف ويقسم بألاّ يبوح بسر هذه الجماعة ، وأصر على ذلك قبل أن يغادر مكان الاجتماع . ولكن رشاد مهنا لم يوافق على أن يقسم ، وأكتفى بأن أعطى كلمة شرف بأنه لن يبوح بسر هذه الجماعة . وخرج الثلاثة : مصطفى صدقي ورشاد مهنا وكمال عبد الحميد من الاجتماع ، وظل الباقون في اجتماعهم لمناقشة ماحدث ولمعرفة المسئول عن مجيء هؤلاء الثلاثة إلى هذا المكان . وقام عبد السلام فريد بكل شجاعة وقال إنه أخبر مصطفى صدقي بمكان الاجتماع على أساس أن يحضر بمفرده لكي يتحدث مع باقي أعضاء المجموعة تمهيدا لضمه إلى الحركة ، ولكنه لم يكن يدر في خلده بتاتا أنه سيحضر ومعه رشاد مهنا وكمال عبد الحميد . وقد شعر المرحوم عبد السلام فريد بكثير من الحرج ، ومع ذلك فكانت ثقتنا كبيرة في كلمة الشرف التى أعطاها لنا رشاد مهنا .

لم يكن من مبادىء الحركة أن تضم أحداً من غير الضباط ، أى أنه لم يكن في الفكر بتاتا ضم أحد من الصولات أوصف الضباط . ولكن مصطفى صدقي كان له رأى آخر ، وهو أن يتعاون مع الصولات وصف الضباط ، ويضم أكبر عدد منهم إلى الحركة نظرا لأنهم في بعض الأسلحة كانوا يمثلون عصبا لها ، فضلا عن أن معظمهم من أنصاف المتعلمين الذين يشعرون بمرارة كبيرة وعقد نفسية تجاه القيادات المختلفة . ومع ذلك لم يتفق أحد مع مصطفى صدقي في رأيه .

حكاية الصول الجاسوس

بعد عدة اجتماعات ، اقترح مصطفى صدقي أن يكون الاجتماع القادم عنده في منزله في المعادى ، لتعريف الجماعة ببعض الضباط من الأسلحة الأخرى ، فاستجاب الزميلان مصطفى نصير وعبد الحميد كفافي للدعوة وذهبا إلى الاجتماع في المعادى . ولعل الاقدار وحدها هي التي جعلت مصطفى وعبد الحميد يذهبان وحدهما إلى هذا الاجتماع بالذات دون غيرهما من باقى جماعة سلاح الفرسان .

وعقد الاجتماع وحضر زملاء من أسلحة مختلفة . وكان مصطفى صدقي صاحب الدعوة وصاحب المنزل ، يقوم بتقديم الزملاء لبعضهم . وبعد فترة حضر إلى منزل مصطفى صدقي ، أحد الصولات ويسمى جمال جلال ، وقام مصطفى صدقي بتقديم الزملاء من الضباط اليه ، ولم يفطن أى منهم لما كان يخبئه لهم القدر في هذه الليلة . فقد كان الصول جمال جلال حريصا على معرفة أسماء الضباط ويدقق في صحتها عندما كان يقدمهم له مصطفى صدقي ، ويخرج الصول بين وقت وآخر إلى الصالة أو إلى الحمام بعد أن يحفظ بعض الأسماء في ذاكرته ، ليكتب في مفكرته الصغيرة أسماء من تعرف عليهم وأوصافهم والسلاح التابعين له إذا أمكن ، ولعله تمكّن في هذه الليلة من جمع أسماء معظم الحاضرين في ذهنه وفي مفكرته .

كان مصطفى صدقي باندفاعاته التى تتسم بطابع التهور إلى حد عدم التقدير والمسئولية ، قد بدأ بتنفيذ فكرته في ضم الصولات وصف الضباط إلى الحركة دون أن يعبأ برأى الآخرين . وعندما أنضم الصول جلال الى مصطفى صدقي ، ذهب هذا الصول إلى النقراشي باشا رئيس الوزراء في ذلك الوقت وأخبره بأن هناك حركة في الجيش ، وأنه انضم إليها منذ فترة ، فطلب منه النقراشي أن يستمر في الحركة ليتعرف على الضباط القائمين بها وينقل أسمائهم اليه ، ووعده النقراشي بنقله من الجيش بعد ذلك إلى وظيفة مدنية في وزارة الداخلية مع منحه درجة أعلى . وفرح الصول بهذا المغنم الرخيص ، وحضر الاجتماع المشئوم في منزل مصطفى صدقي في المعادى ، وأمكنه أن يكتب أسماء معظم الموجودين في الاجتماع .

وأذكر أن أحد الصحابة ، مصطفى نصير ، كان قد نقل إلى مرسى مطروح ، وكان عليه أن يسافر في اليوم التالي إلى هناك . وكانت دهشته بالغة عندما وصلت إلى قائده إشارة بعودة مصطفي نصير إلى القاهرة لأمر هام . وتصور مصطفى أن حدثا قد ألم بأحد أفراد أسرته فرجع في الحال إلى القاهرة حيث كان في استقباله البوليس الحربي ليقبض عليه ، ويذهب به لكي ينضم إلى زملائه الذين سبقوه إلى مبنى الكلية الحربية القديم . وهناك عرف أن أحد الصحابة الآخرين وهو عبد الحميد كفافي موجود بين المقبوض عليهم ، وكان معهم كذلك مصطفى صدقي وعثمان نورى ومجموعة أخرى من الضباط .

تحقيق النائب العام

وبدأ النائب العام في مهمته في استجواب الزملاء واحداً بعد الآخر ، وعما إذا كانوا يعرفون شيئا عن حركة معينة في الجيش تعمل ضد نظام الحكم . وكان الصول جلال يتعرف على كل شخص منهم ليؤكد علاقته بالحركة وأنه الشخص الذى تعرف عليه في منزل مصطفى صدقي في المعادى .

واستمرت الأسئلة والاستجوابات أياما طويلة وليالى ، ولم يكن هناك بالقطع مايدين هؤلاء الضباط ، فأخذ النائب العام فى التحقيق من زاوية أخرى . وبدأ فى إعطاء حصة إملاء لكل ضابط لكي يتعرف على خطه ، لكى يقارن خبير الخطوط في وزارة الداخلية ماكتبه الزملاء في حصة الإملاء بما جاء بالخطوط الموضوعة على ظروف الخطابات التي كانت تحمل المنشورات إلى ضباط الجيش . وقد كانت المقارنة فيها بعض التشابه ، ولكنها ليست بالدليل القاطع على أن منهم من قام بكتابة العناوين التي وردت على ظروف المنشورات . ومع ذلك ، اجتهد النائب العام كثيرا لكى يظهر للسراى أن هناك شيئا مايربط بين هؤلاء الضباط وبين ماجاء فى المنشورات . وكان عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش يسعى لتأكيد هذه الرابطة ، أملا فى أن يقضي على الحركة التى ظهرت فى الجيش وأظهرته أمام الملك

بمظهر القائد الضعيف الذى لايعرف شيئا عن الجيش وعن خباياه وحركاته السرية التي تهدد كيان الجيش وتهدد الملك ونظام حكمه . وكان عطا الله باشا يسأل في كل يوم عن نتيجة التحقيق ، وعما إذا كانت الرابطة قد ظهرت بين هؤلاء الضباط والحركة التي كانت قائمة في الجيش .

مقابلة القطار

علمت فى نفس الليلة بأمر القبض على العزيزين مصطفى نصير وعبد الحميد كفافى . وكنت فى ذاك الوقت قد تم نقلى أنا ومصطفى نصير من سلاح الفرسان إلى سلاح الحدود ، وذلك بأمر قائد سلاح الفرسان اللواء سعد الدين صبور الذى كان غير سعيد بوجودنا فى السلاح ، أو وجود أى ضابط له رأى من قريب أو بعيد . وقد سبق أن تناولته المنشورات بكثير من التهكم والهجوم عليه ، وقال لى مرة باللغة الانجليزية « سوف أنقلك إلى سلاح الحدود » . وتم نقل نصير إلى مرسى مطروح ، أما أنا فتم نقلى إلى محطة الجبل الأصفر تمهيدا للنقل إلى الصحراء (الكونتلا) في غضون شهرين بعد ذلك . وركبت قطار « المطرية » في طريقي إلى مكان عملي الجديد ، فالتقيت بالملازم أول السيد جاد ، واقترب مني وقال لي بكثير من القلق إن الزملاء قد تم القبض عليهم فأجبته بأنني أعلم بذلك . فقال لي : يجب أن تكون حريصا لأن البوليس السياسي يعمل جاهدا على القاء القبض على كل من تحوم حوله الشبهة من الضباط ، فقلت له: إن القبض على مصطفى نصير وعبد الحميد كفافي يعني في نظرى توقف نشاط الجماعة مؤقتا إلى أن تتضح الأمور . ومرت عدة أيام وأنا أترقب أن يتم القبض علىّ في أى لحظة نتيجة للتحقيق مع الضباط المقبوض عليهم ، أو لأى قرينة قد يجدها المحقق لكي يلقي القبض على أو على غيرى من زملاء الحركة



المؤلف (مشار إليه بسهم) أثناء عمله ملازما أول فى سلاح الحدود .

منشور نوبتجية الجبل الأصفر

مرت أيام قليلة وكأنها الدهر بأكمله ونحن لانعلم أى جديد عن الزملاء المقبوض عليهم ، وفي مقدمتهم مصطفى نصير وعبد الحميد كفافي . وكان على أن أجتمع بباقي الجماعة المؤسسة - سعد وحلمى - بأى شكل لكي نتصرف إزاء ماحدث ولنتدارس مايمكن أن نقوم به لمساعدة الزملاء المقبوض عليهم . والتقيت مع الأخ سعد ، واتفقت معه على أن نقوم بكتابة منشور جديد باسم ضباط الجيش ، أى بنفس الاسم الذى كانت تذيل به المنشورات منذ أن نشأت الحركة وإلى حين القبض على الزملاء . واتفقت معه على نقاط المنشور ، وكانت تنصب على إحداث الفرقة بين الملك ورجله الأول في الجيش « عطا الله باشا » الذى كان متحمسا كما سبق أن قلت

لأن يظهر بمظهر البطل القادر على ردع أى حركة في جيش مولاه . فضلا عن أن كتابة المنشور أثناء وجود الزملاء وراء القضبان سوف تجعل النائب العام في حيرة من أمره ، لأن القبض على هؤلاء الضباط كان يعني إيقاف أى نشاط للحركة الذى كان يتمثل بصفة خاصة في المنشورات ، فإذا ظهر أى منشور في هذا الوقت ، فإن ذلك سيجعل النائب العام يعتقد أن هناك أفرادا آخرين ما زالوا خارج القضبان ويجب القبض عليهم حتى يأخذ التحقيق دوره كاملا ، وحتى تضيق الدائرة على كل من ساهم في هذه الحركة . ونشط البوليس السياسي نشاطا خطيرا ، وكنا نجد أثناء ذهابنا أو عودتنا الكثير من المخبرين بجانب صناديق البريد وفقا لتعليمات النقراشي في ذاك الوقت ، لكي يلقوا القبض على كل من يشتبه فيه حينما يقترب من صندوق البريد ، فضلا عن ازدياد التعاون بين البوليس السياسي ، ومخابرات الجيش بحثا وراء البقية الهاربة من يد العدالة .

وفى تلك الظروف القاسية ، وفي ظل حركة الارهاب التى كان يقودها البوليس السياسي بالتعاون مع عطا الله والمخابرات الحربية ، كان لابد لنا أن نتحرك مهما كانت النتائج ، آخذين في الاعتبار أن أي نشاط من باقي أفراد « الجماعة » سوف يأتى بنتيجة ما ، وإذا ساءت الأمور وجاوزت مداها فإن نهاية المطاف هى أن ننضم إلى زملائنا وراء القضبان ، وهذا ماكان يجول بخاطرنا في بعض حالات اليأس .

وفى يوم خميس كنت فيه ضابطا نوبتجيا لسلاح الحدود في محطة الجبل الأصفر ، دخلت إلى مكتبي وبدأت في كتابة المنشور على النحو الذى اتفقت عليه مع الزميل « سعد » . وانتهيت من كتابته في الثالثة من صباح الجمعة بعد أن أودعت فيه ماكان لي أن أودعه دفاعاً عن أصدقاء العمر وشباب الصحابة من الجماعة المؤسسة . وركزت في المنشور على الظهور بمظهر الولاء « للملك » كما جاء في المنشور « لقد أقسمنا يمين الولاء .. » وأظهرت أن القبض على الضباط ماهو إلا محاولة من « عطا الله » لكى يكسب حظوة جديدة عند مولاه على حساب مجموعة أمينة من ضباط الجيش .

وكان الاتفاق بينى وبين سعد أن يحضر إلى منزلي بحدائق القبة ، لكي نراجع المنشور . وأخذ « سعد » المنشور معه ، وذهب إلى محمد شوقي عزيز ـ فقد أصبح محل ثقتنا جميعا ـ وأعطاه المنشور الذى قام بكتابته على الآلة الكاتبة . وذهب الاثنان

بعد ذلك إلى سطوح محطة مصر ، حيث تم طبع المنشور من ٥٠٠ نسخة ، حملها سعد في تاكسي وجاء لي فى اليوم التالي فى منزلي ، وجلسنا معا ساعات عديدة لإجراء التجهيز المعهود لارسال المنشورات . كانت لدينا كل العناوين ، وأضفنا اليها أسماء أعضاء مجلس النواب ، وكافة رجال الصحافة والوزراء ، وكل ماتمكنا من معرفة مكان أو عنوان له . وبعد ساعات تعب طويلة ، استعد كل منا لكي يقوم بالعملية الأكثر خطورة ، وهي توزيع المنشورات على صناديق البريد المختلفة . وخرجنا ليلا نهيم على وجوهنا ، وقطعنا القاهرة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . واخترنا صناديق البريد التى لاتقع على الشوارع الرئيسية ، بل الصغيرة منها فى الأحياء الشعبية والتي كانت بعيدة عن أعين رجال الأمن والمخبرين . كنا نمتنع عن الاقتراب من أى صندوق بريد يقف بجانبه أو بالقرب منه أى شخص . فقد كان للمخبرين في ذلك الوقت علامات نستطيع أن نميزها وأن نكشف صفتهم . وانتهينا من هذه المأمورية الصعبة في فجر اليوم التالى ، وأوصلت سعد إلى منزله في العباسية ، وعدت إلى منزلي بالقبة . وأنتظرت الساعات الأولى من الصباح لأذهب إلى مكان عملى فى الجبل الأصفر .

ومر يوم ومر الثاني ، وإذا بالمنشورات تصل إلى أصحابها من الضباط وغيرهم ، وإذا بالجميع فى حالة من الدهشة والتعجب . وانقلبت حالة الخوف التى كانت تملأ القلوب إلى حالة من الشجاعة والاقدام ، والحديث عن مئات آخرين لابد أن يكونوا خارج القضبان طالما أنه لم تمض أيام على القبض على الزملاء وإذا بمنشور جديد يأتي بنفس نطاقه ونفس قوته . وأخذت الصحف تعلق على هذا الموضوع بكثير من الاهتمام لم نشهده من قبل . وكان للمنشور وقعه الكبير على النائب العام حيث أننا أرسلنا اليه منشوراً باسمه على سكنه . وكان مندهشا من ذلك غاية الدهشة ، وقرأ المنشور وذهب به إلى « النقراشي » الذى كان قد وصله هو الآخر نفس المنشور . وكان تعليق النائب العام ، أنه لايستطيع أن يستمر في التحقيق مع الضباط المحتجزين فقط ، بل لابد له من القبض على أربعمائة ضابط آخرين حتى تستكمل حلقات التحقيق ويعرف أبعاد ومدى الحركة ويصل للنتيجة السليمة ويرفعها إلى المسئولين . وكان للمنشور أثره البالغ على « الملك » نفسه ، لما جاء فيه من تمسك الضباط بملكهم وولائهم له ، وكان من مستشارى الملك من انتهى به الأمر بعد اطلاعه على المنشور إلى أن يرفع تقريره إلى مليكه قائلا له بطريقة دبلوماسية :

« إما الجيش وضباطه وإما عطا الله ، ولك وحدك ياصاحب الجلالة أن تقدر وتعطي الأمر بما تنتهي إليه حكمتك ..»

إعفاء عطا الله من منصبه

وخرجت الصحافة بعد أيام لتقول إن عطا الله قد أعتكف بعض الوقت لأنه يشكو من الكلى . وكتبت بعض الجرائد في قالب ساخر أن الأمر الحادث لعطا الله باشا « مش كله » أى بمعنى مشكلة كبيرة وليس الأمر يتعلق بتعب في كلى سعادته .

وهكذا ، كما قلت في بداية حديثي ، فإن الاقدار كانت تحتجز بعض الصحابة خارج القضبان لكي يقوموا بعمل ما ينفع الآخرين وراء القضبان ، فيغير من اتجاه التحقيق ويغير من فكر الملك . وسارت الأمور بسرعة مذهلة ، وكأن المائدة قد أنقلبت على رجل الملك « عطا الله » . وجاء قرار الملك بالاستغناء عن عطا الله لأنه لم يكن أمامه حل آخر . فقد كان الملك بين أمرين أحلاهما مر : فإما أن يستغنى عن الجيش بضباطه ، وإما أن يعفي رجله الأول « عطا الله » رغم ماكان يكنه له من محبة . وهكذا نجحت الخطة وأتى المنشور بثماره ، وفرق بين الملك وعطا الله . وانتهى الأمر بالنائب العام بعد عدة شهور من احتجاز الضباط إلى أن يصدر الأمر بحفظ التحقيق وحفظ القضية ، وعودة الضباط إلى أسلحتهم من جديد . وخرج الزملاء من وراء القضبان الى الحرية والأمل ، واتفقنا على أن تنقضى فترة من الهدوء دون نشاط ، إلى أن نضع ملامح الخطوة التالية على طريق الثورة .

وكان النائب العام فى ذاك الوقت هو السيد حافظ سابق ، يعاونه السيد أنور حبيب ، وقاضى المرافعات عيسوى دبوس . واستمر أمر النائب العام بحفظ القضية طيلة السنين منذ عام ١٩٤٧ إلى أن صدر القانون رقم ٢٤١ بتاريخ ١٩٥٢/١٠/١٦ ، بشأن العفو الشامل عن الجنايات والجنح والشروع فيها التى ارتكبت لسبب أو غرض سياسى وتكون متعلقة بالشئون الداخلية للبلاد فى المدة من ١٩٣٦/٨/٢٦ إلى ١٩٥٢/٧/٢٣ .

الفصل الثانى

حرب فلسطين وتشكيل مجموعة عبد الناصر وخالد محيى الدين

فى غمرة الفرح التى ملأت قلوبنا بخروج الصحابة من وراء القضبان ، والاستعداد لالتقاط الأنفاس لفترة من الزمن والاستفادة من الأخطاء! التى وقعنا فيها والتى أدت إلى القبض على الزملاء من الضباط ، تفجرت قضية فلسطين وطغت على كل الأحداث .

كانت مصر من الناحية العسكرية حتى ذاك الوقت فى موقف ضعيف للغاية ، إذ كانت البعثة العسكرية البريطانية هى التى تتحكم فى تسليح الجيش وتدريبه ، وكان دخول المعركة أمرا أشبه بالمغامرة . فقد أرادت بريطانيا وبعثتها العسكريَة أن تبقى مصر وجيشها فى هذه الحالة من الضعف . ورغم كل هذه الظروف قامت الحكومة المصرية برئاسة النقراشى باشا بإعلان دخول جيش مصر الحرب فى فلسطين ، وذلك بقرار من « الملك » دون الرجوع إلى الوزارة أو إلى البرلمان . ولعل فاروق كان يريد من وراء ذلك أن يكسب سياسيا خارج البلاد لكى يضفى على نظام حكمه

بعض القوة فى الداخل ، وأن يأتى اسمه فى تاريخ فلسطين كمنقذ لها وساعيا لإعادة الحق إلى أصحاب الأرض .

ولسنا هنا فى مجال الحديث عن المعركة وماحدث فى فلسطين ، ولكن يجب أن نقول إن الجيش حارب ببسالة فى حدود الإمكانيات المتاحة له حينئذ ، ورغم الأسلحة الفاسدة والقديمة . كان الجيش يعتمد على بعض الدبابات المستهلكة التى كانت فى جوزته منذ الحرب العالمية الثانية ، بخلاف بعض الأسلحة الصغيرة القديمة . وجاءت الهدنة الأولى ثم الثانية وانسحاب الجيش المصرى من الأراضى التى سبق الاستيلاء عليها . وعادت قوات الجيش إلى القاهرة ، وتم إعداد موكب عسكرى ضخم لا لشىء إلا ليعطى انطباعا طيبا لدى الشعب ، ولكى يدخل فى روعه أن نتيجة الحرب لم تكن هزيمة ولكنها عودة للأبطال واستعدادا للحل السياسى للمشكلة . وانتهت حرب ١٩٤٨ باتفاقيات الهدنة المعروفة .

وعاد الرجال إلى ثكناتهم يمضغون آلام الفشل ويجترون مرارة الهزيمة . لم يكونوا مسئولين عن كل ذلك ولكن كانت القيادة السياسية هى أول المسئولين ، فهى التى أعلنت دخول الجيش دون تدريب ولاتسليح ، وهى التى أعلنت نهاية الحرب وصدقت على اتفاقيات الهدنة .

كانت حالة الجيش بعد الهزيمة سيئة للغاية ، وكانت علامات الامتعاض وعدم الرضا ظاهرة على ملامح كل وطنى حر . وصارت النفوس مهيأة لتقبل الكثير من الآراء الثورية الجديدة . وكان الحديث بين الضباط هو حديث الأسى الممزوج بالرغبة فى التخلص من آثار الهزيمة وممن تسبب فيها . والتقى الصحابة من جديد ، واتفقوا على الاستفادة من ذلك واستغلال الحالة السيئة التى تعم الجيش ، والسعى لتكتيل أكبر عدد من الضباط حول الحركة ، وذلك بالاستمرار فى سياسة المنشورات على أن نركز على أحداث فلسطين والهزيمة التى لحقت بالجيش ومن المسئول عنها ومن يدفع الثمن ، وأين طريق الخلاص .

وأشهد بأن قلوب الضباط بعد حرب فلسطين ، أصبحت أكثر تقبلا لما يقال فى السر وفى العلن . وكانت مجموعة الضباط تتحدث معا داخل الثكنات دون خوف أو تردد ، وتسعى إلى التعرف على الطريق الذى ينقلها إلى عالم جديد ، ترى فيه مصر وجيشها فى ثوب جديد .

خالد محيى الدين يطلب التعرف على مجموعتنا

كان خالد محيى الدين ابنا من أبناء سلاح الفرسان ، وكانت تربطنى به علاقة أخوية طيبة ، ومن صفاته البارزة أنه يوحى بالثقة بمجرد التعرف عليه ، وتلمح فيه نخوة الرجولة والوطنية المتدفقتين . وكنا نلتقى بين وقت وآخر فى داخل السلاح نستعرض معا مايحيط بالوطن من هموم . وبعد طابور الصباح فى أحد الأيام جاءنى خالد محيى الدين وتحدث معى فى الأمور التى تتعلق بالجيش ، وذكر لى بعض الوقائع التى كانت تحز فى النفس ، والأخطاء التى ارتكبها السياسيون والعسكريون على السواء مما أدى إلى مانحن فيه من مرارة وألم .

وبدأ فى الحديث عن حركة تسمى « ضباط الجيش » كان لها نشاط ملحوظ قبل حرب فلسطين ، وتساءل عما إذا كانت هذه الحركة مستمرة فى نشاطها كما كانت فأجبته بأننى أعتقد أن نشاط هذه الحركة إذا كان واجبا قبل ماحدث فى فلسطين ، فإنه أكثر وجوبا بعد حرب فلسطين ، ولم أذكر له شىء أكثر من ذلك . ولكنه رجانى فى أن أقوم بتعريفه أو تقديمه إلى بعض أفراد تلك الحركة إذا كنت أعرف منهم أحداً ! وعبر لى عن رغبته فى الالتقاء بأى منهم .

وعرضت الأمر على الزملاء فى اليوم التالى ، وكان الرأى أن يأتى خالد للاجتماع بنا لكى نعرف مَن وراءه ومَن معه فى اتجاهاته الوطنية وحضر خالد وتحدثنا معه ، وكانت أفكاره مطابقة لأفكارنا . وأفاد بأنه يرتبط بجماعة وطنية فى الجيش ، ويريد أن يخلق رابطة بيننا وبين هذه الجماعة . رحبنا بذلك اقتناعا منا بأنه طالما كان المبدأ واحدا ، فإن الالتقاء مع مجموعة أخرى من الضباط سوف يزيد الحركة قوة .



كانت فترة العمل فى التدريب الجامعى من أغنى الفترات . صورة للمؤلف فى الدخيلة بالأسكندرية فى عام ١٩٥٠ ، ويظهر فى الصورة خالد محيى الدين .

تشكيل مجموعة عبد الناصر وخالد محيى الدين

كانت مجموعة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين تضم خمسة أعضاء فقط هم : **جمال عبد الناصر ، عبد الحكيم عامر ، خالد محيى الدين ، كمال الدين حسين ، حسن إبراهيم . ثم انضم إليهم عبد اللطيف البغدادى وصلاح سالم . وفى اجتماع يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، حضر جمال سالم بلا دعوة برفقة عبد اللطيف البغدادى ـ مما سبب حرجا للمجموعة إلا أن ثقة المجموعة فى البغدادى ساعدت على ضم جمال سالم اليها ، ثم انضم اليهم أنور السادات بترشيح من جمال عبد**

الناصر . ويتضح من ذلك أن أنور السادات لم ينضم إلى حركة « الأحرار » إلا قبل الثورة بشهور معدودة . وأصبحت المجموعة تتشكل من : جمال عبد الناصر ، حسن إبراهيم ، كمال الدين حسين ، خالد محيى الدين ، عبد الحكيم عامر ، عبد اللطيف البغدادى ، صلاح سالم ، جمال سالم ، أنور السادات . وبعد قيام الثورة تقرر ضم محمد نجيب ، ثم يوسف منصور صديق ، وزكريا محيى الدين ، وعبد المنعم أمين وحسين الشافعى .

وقد نشأت المعرفة بين خالد محيى الدين وجمال عبد الناصر ، حينما انضما إلى جماعة الاخوان المسلمين عن طريق عبد المنعم عبد الرءوف وكانت هناك مجموعة أخرى من ضباط الجيش على علاقة بالاخوان المسلمين ، وكان من بينهم كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم ، وتعارف الجميع فيما بينهم . ثم قام ثروت عكاشة بالاتصال بخالد محيى الدين للالتقاء بجمال عبد الناصر ، وتم عقد أول اجتماع لمجموعة عبد الناصر وخالد محيى الدين فى نهاية صيف ١٩٤٩ .

ويتضح من ذلك ، أن مجموعة جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين ، لم تبدأ فى التشكيل إلا فى نهاية صيف ١٩٤٩ ، فى حين أن مجموعة الفرسان - كما تدعمها الأحداث والمنشورات والتواريخ - قد قامت فى عام ١٩٤٥ ، وبدأت منذ ذلك التاريخ بتوعية الضباط وإلقاء الضوء على ماهو حادث فى الجيش والبلاد ودعوتهم إلى التكتل من أجل مصر ، وذلك عن طريق المنشورات واللقاءات الشخصية . ولعل حادث عام ١٩٤٧ الذى سمى بـ « قضية المؤامرة الكبرى » والذى تم فيها القبض على ضابطين من أعضاء الخلية الرئيسية للفرسان وهما عبد الحميد كفافى ومصطفى نصير ، يؤكد أن مجموعة سلاح الفرسان كانت قائمة قبل هذا التاريخ . ولقد جاء « خالد » الينا فى أواخر عام ١٩٤٩ وأبلغنا أنه من بين مجموعة من الضباط من ذوى الرتب الكبيرة التى ترغب فى نوع من الاتحاد معنا . وقد رحبنا بذلك لإعطاء الحركة قوة دفع جديدة من الرتب الكبيرة ، خاصة وأن الأفكار والأهداف كانت واحدة وعلى ذلك تم إعادة تشكيل الخلية الرئيسية لسلاح الفرسان على النحو التالى : مصطفى نصير ، عبد الحميد كفافى ، جمال منصور ، سعد عبد الحفيظ ، عثمان فوزى ، خالد محيى الدين .

واعتبرنا خالد محيى الدين ضابط اتصال لمجموعة الفرسان مع المجموعة التى ينتمى اليها من الضباط ذوى الرتب الأكبر .

ظل خالد كضابط اتصال بين مجموعتنا والمجموعة الأخرى ، التى أكد لنا أنها من خيرة الضباط ، وأن أفكارها مماثلة لأفكارنا تماما ، وأن كل ماتريده هو أن تخلق رابطة فيما بيننا فى سبيل تكتيل أكبر عدد من الضباط حول هذه الأفكار . واكتفينا من خالد بهذا الحديث ، وعملنا من جانبنا بكل إخلاص للتعاون مع المجموعة التى ينتمى إليها ، دون كثير من الإلحاح لمعرفة أسماء الضباط الذين ينتمون إلى هذه المجموعة .

آلة الطباعة الجديدة

تناقشنا فى الخطوة التالية ، وتبلورت لدينا الرغبة فى أن يكون لنا آلة طباعة نملكها ، حتى لانتعرض لأى عمل يقطع علينا الطريق من قبل رجال البوليس السياسى أو المخابرات العسكرية ، محاولين في ذلك أن نجعل الأمر بأيدينا . ولكن صادفتنا مشكلة شراء آلة الطباعة . فقد كانت الفكرة فى البداية أن نشترى آلة طباعة مستعملة نظرا لظروفنا المالية المحدودة ، ولكنى أدركت أن الآلة المستعملة ربما تعرضت للأعطال من وقت لآخر مما يدفعنا إلى حملها لإصلاحها وربما نتعرض لأعين البوليس فى ذهابنا إلى حيث إصلاحها أو عودتنا بها ، فصممت على شراء آلة جديدة للطباعة .

وذهبت إلى شقيقى سعد فى مصنعه وطلبت منه مبلغ ثلاثين جنيها فأعطانى المبلغ من خزينته دون تردد . وكنت على موعد مع محمد شوقى عزيز فى اليوم التالى ، وذهبنا بعربتى الى مكتبة استاندرد ستيشنرى ، ووقفت بعيدا أراقب شوقى وهو يدخل إلى المكتبة بمفرده ، وطال غياب شوقى داخل المكتبة وهو يناقش صاحبها . وملأت نفسى الهواجس وتصورت أن صاحب المكتبة يزيد من حديثه مع شوقى إلى حين حضور البوليس للقبض عليه . وأخيرا ظهر شوقى وقد اشترى ماكينة

الطباعة وأوراق الاستنسل والأوراق المشربة ، بعد أن أعطى كل البيانات عنه وعن حاجته لهذه الآلة فى عمله كمحاسب . وجاء عامل المكتبة حاملا الآلة على ظهره فى صندوق من الكرتون ، ووضعها فى شنطة عربتى وأسرعنا إلى منزل شوقى فى السيدة زينب ، حيث أودعنا الأمانة . وفى اليوم التالى سألنى خالد عما تم ، فقلت له ضاحكا إننا أصبحنا من كبار رجال الصناعة فنحن نملك آلة جديدة ، فاندهش وتساءل كم دفعت ؟ فقلت له لا عليك لقد دبرنا المبلغ ولاتفكر فى شىء بعد ذلك ، المهم أن آلة الطباعة أصبحت فى أيدينا الآن .

جمال عبد الناصر

كانت عادتى أن أذهب إلى مصنع أخى سعد بعد الظهر فلم يكن لنا حياة خاصة . وكان عملى فى التدريب الجامعى فى الصباح فقط . وفى أحد الأيام ذهبت إلى مصنع شقيقى ، فبادرنى بالسؤال عما إذا كنت أعرف أحد الضباط باسم عبد الناصر ، فطلبت منه أن يصف لى ملامحه وما أن انتهى من الوصف حتى قلت له : طبعا إنى أعرفه ، لقد كان قائدى فى الكلية الحربية ، وكان قائد الفصيلة الثانية من السرية الأولى التى كنت بها من عام ١٩٤٢ إلى ١٩٤٤ وكنت أشعر نحوه بكثير من المحبة والتقدير ، ولكنى لم أقابله منذ فترة طويلة . وسألت شقيقى لماذا سؤاله عن هذا الضابط ، فقال لى أنه حضر إلى المصنع مرتين وسأل عنى وأفاد بأنه سوف يحضر باكر صباح الجمعة قبل الصلاة ليرانى . وكنت حتى هذه اللحظة على غير علم عن سبب سؤاله عنى وإصراره على الالتقاء بى .

وفى صباح الجمعة ، ذهبت إلى مصنع شقيقى سعد وبقيت معه بعض الوقت ، وإذ بعربة سوداء (أوستن) تقف على جانب الشارع ، وينزل منها جمال عبد الناصر ، ويتقدم بخطواته الطويلة نحونا . التقينا فى داخل المصنع وشربنا قدحا من القهوة ، ثم خرجنا سويا إلى الشارع نتحدث كأن حديثنا هو استكمال لحديث الأمس . وبادرنى عبد الناصر بقوله : « إن خالد أبلغنى باللقاء الذى تم بينكم وبينه ، ولقد عبّرت

له عن استعدادنا جميعا لأن نضع أيدينا فى أيديكم فى سبيل تحقيق أفكارنا المشتركة » . ثم أضاف قائلا : « إن هناك من الضباط من هم غافلون عما يدور فى الجيش والبلاد ـ بل إن منهم من ملأ اليأس قلوبهم وارتضوا لأنفسهم حياة التواكل دون تفكير فى أى تغيير . ومثل هؤلاء الضباط فى حاجة إلى من يتحدث إليهم بصفة مستمرة ويرشدهم إلى معالم الطريق » . ثم استوقفنى عبد الناصر وقال : « دعنى أكن صريحا معك ، إننا لانملك سوى هذا السلاح ، سلاح المنشورات ـ إذ أنه القادر على النفاذ إلى قلوب الضباط وتعريفهم بما يدور حولهم فى الجيش والبلاد ، وهو الدعامة الأساسية التى يلتقى عليها فكر واحد ويتكتل حولها أكبر عدد من الضباط . وإذا رجعنا إلى التاريخ ، نجد أن كثيرا من الثورات كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على المنشورات فى سبيل تهيئة الرأى العام والتمهيد للثورة ولعل ثورة ١٩١٩ كانت من بين تلك الثورات التى جاءت أهدافها على صفحات المنشورات لتوعية الشعب بما يدور فى البلاد ، وحثه على مقاومة الاحتلال الانجليزى حتى يرحل عن مصر . إننا فى حاجة إلى تجميع الضباط حول فكرتنا المشتركة حتى نخلّص الشعب والجيش مما هو فيه من حالات التردى والتخبط واليأس . ورغم أننا نتحدث مع بعض الضباط المخلصين عما يدور فى ذهننا إلا أن دائرة اللقاءات مازالت محدودة لانقدر على تخطيها. وسوف نظل مغلقين داخل تلك الدائرة دون قدرة على الانطلاق نحو جموع أخرى من الضباط لضمهم إلى الحركة . ولذلك فإنى أكرر لك أنه بدون المنشورات لن نستطيع تجميع أعداد مناسبة من الضباط الذين يقتنعون بفكرتنا المشتركة فى مختلف الأسلحة ، وأن اللقاءات الفردية وحدها لن تحقق الأهداف التى نسعى إليها . إن المنشورات وحدها هى التى تضع البنيان السليم والتمهيد لتنفيذ آرائنا الثورية » .

ثم أضاف عبد الناصر : « إنى أعرف أن جماعة الفرسان لها تاريخ سابق فى إعداد وإصدار المنشورات ، وتمكنت من تجميع وتكتيل أعداد من الضباط بهذه الوسيلة ، ومن الأهمية بمكان أن يتم تنشيط عملية المنشورات واستمرارها ، كما كانت قبل حرب فلسطين »

وتحدث معى عما أستطيعه فى هذا الموضوع ، من كتابة إلى طباعة إلى توزيع . فقلت له اطمئن فان كل شىء مرتب ، وهذا أمر ليس بالجديد علينا فلنا تجربة سابقة منذ سنوات قبل حرب فلسطين ، وإن كانت هذه التجربة قد أصابها بعض من

سوء التصرف من الآخرين ، إلا أننا نحاول هذه المرة أن نستفيد من أخطائنا ونتدارك ونتدبر أمورنا بكثير من الحرص . ثم تواعدنا على لقاء فى منزله فى كوبرى القبة لكى يطّلع على المنشور الذى سوف يُعد للطبع .

أخبرت الصحابة بلقائى بعبد الناصر ، وأوضحت لهم أنه ذكر اسم خالد ، فعرفنا أنه فى هذه المجموعة التى حدثنا عنها خالد . وقمت بكتابة المنشور على ورقة واحدة بخطى ، وكان عن الأسلحة الفاسدة ، وموقف السلطات العليا من هذه القضية . وحضر إلّى الأخ كفافى فى مصنع شقيقى سعد ، وذهبنا معاً إلى منزل عبد الناصر فى كوبرى القبة فى الموعد المحدد . وعندما دخلت إلى المنزل ، وجدت عبد الناصر وبجانبه عبد المنعم عبد الرءوف يأكلان سندوتش جبنة بيضاء مع العيش البلدى ، فتصافحنا ومكثنا معا فى صالة المنزل بضع دقائق ، ثم استأذن عبد المنعم فى الانصراف . ودخلنا إلى الصالون - جمال عبد الناصر وكفافى وأنا - وأخرجت المنشور من جيبى وبدأ عبد الناصر فى تصفحه مبدياً إعجابه وتقديره لكل ماجاء به وأشهد أنه لم يغير منه حرفا . واختتم الحديث متسائلا عن الخطوة التالية ، فقلت له إننا على استعداد لكل شىء . وجاء الليل ومعه بعض الأمطار النادرة التساقط على المدينة فاستبشرت خيرا ، وقلت فى نفسى لعله يكون فألاً حسناً وأملا فى رابطة أقوى بين المجموعتين . وأصر عبد الناصر على اصطحابى وكفافى الى منزلى فى عربته (الأوستن) السوداء .

الضباط الأحرار

كنت قد استأجرت شقة فى حى الزيتون فى شارع عبد الرحمن نصر رقم ٥ الدور الأول باسم شقيقى سعد ، وذلك لكى نجتمع فيها ثم ننقل إليها آلة الطباعة حتى يكون كل شىء تحت أيدينا . وفى يوم كنا مجتمعين فى شقة الزيتون ، وكان الحاضرون هم الصحابة سعد - كفافى - نصير - جمال - حلمى ، وانضم إلينا « خالد ». ودار الحديث حول أول منشور بعد النكسة الأولى (حادث عطا الله باشا) ، ومايجب

علينا عمله للظهور بمظهر جديد فى الأسلوب ، وضرورة تغيير اسم الحركة من « **ضباط الجيش** » إلى اسم آخر . وأخذ كل منا يضع اسما جديدا ، فمن قال « **ضباط الثورة** » ومن قال « **ضباط الجيش الأحرار** » . ثم نطقنا معا أنا وكفافى « **الضباط الأحرار** » وكان تعليق أحد الحاضرين « الأحرار الدستوريين » تشبها باسم أحد الأحزاب فى ذاك الوقت ، وضحكنا جميعا ، ثم انفض الاجتماع بعد أن فوض المجتمعون الأمر لى لكى أذيل المنشور بالاسم الذى أراه مناسباً ، حيث أن المنشور كان قد تم إعداده ولم يبقى سوى الاتفاق على الاسم الجديد للحركة .

ووضعت فى نهاية المنشور الاسم الجديد « **الضباط الأحرار** » ، هذا الاسم الذى عبر عن وجه الثورة الجديد . وتحت هذا الاسم سارت الثورة فى مدارها إلى أن تحقق نجاحها فى فجر ٢٣ يولية ١٩٥٢ . وحينما نجحت الثورة ، دنا جمال عبد الناصر من خالد محيى الدين **وقال له : إنه أمر يدعو للإعجاب حقا ، هذا الاسم الذى أطلقه علينا جمال منصور وذيّل به أول منشور فى حركتنا ، يصبح الاسم لأقوى جماعة يتحدث عنها العالم كله الآن .**

أول منشور بإسم الضباط الأحرار

أعددنا أول منشور مذيلا بإسم الضباط الأحرار ، وكتبه شوقى على الآلة فى مكتب المحاسبة « القطان » فى ميدان لاظوغلى . وتم لقائى معه أمام محطة السيدة زينب صباح يوم الجمعة ، وذهبنا سويا إلى منزله ، وكان قد أخلاه من عائلته - زوجته وبناته - وبدأنا فى تشغيل ماكينة الطباعة وتركيب الاستنسل على الاسطوانة ووضع الأحبار اللازمة ، وبدأت الماكينة فى الدوران ولكن النسخ الأولى كانت غارقة فى الأحبار وغير مقروءة ، واستمر حال الطباعة كذلك إلى أن ظهرت أول نسخة سليمة ، ففرحنا بها كثيرا ، وواصلنا الطباعة وجاءت النسخ كلها فى غاية من الوضوح والتنظيم . وبعد أن تم طبع مايقرب من خمسمائة نسخة من أول منشور ، كان علينا أن نتخلص من النسخ الغارقة فى الأحبار . وبدأنا بعملية حريق لها ، إلا

أن النار كادت تشتعل فى المنزل بأكمله لولا أن ألقينا عليها الماء وأنقذنا المنشورات وآلة الطباعة والمنزل بأعجوبة فما كان منا إلا أن نلجأ إلى دورة المياه نلقى فيها المنشورات بعد تمزيقها . وكانت النتيجة أن سدت دورة المياه وتعاونا سويا إلى أن تخلصنا من آثار المنشورات الممزقة .

وكان فى ذهن الصحابة دائما الدرس الأول الذى تلقيناه نتيجة لحادث « عطا الله » ، وماقام به النائب العام أثناء اعتقال الضباط من إلقاء حصة فى الإملاء عليهم وذلك لكى يقدم خطوطهم إلى خبير الخطوط ، لمعرفة من منهم كان شريكا فى المنشورات إذا مااقترب خطه من الخطوط التى كانت على ظهر كل منشور معد للتوزيع . ولذلك قررنا ألا نضع بأيدينا أو بخطنا حرفا واحداً على أى منشور . وبناء عليه قمنا بكتابة الأسماء بالآلة الكاتبة ، وقد قام شوقى بهذا الدور على خير وجه ، فأعطينا له أسماء المرسل إليهم ، وكتبها على الاستنسل وطبعها من عدة نسخ . وتم إعداد كل اسم بعنوانه فى سطر ، وبذلك أمكن أن نقطع الاسم بالعنوان على شكل شريط رفيع ، نقوم بوضعه على المنشور من الخارج أو نلصقه على الظرف المرسل فيه المنشور .

وحينما انتهينا من طبع خمسمائة نسخة من المنشور الأول الذى يحمل اسم « الضباط الأحرار » ، ذهبت بها إلى منزل الصاغ عثمان فوزى حيث كان باقى أعضاء المجموعة فى انتظارى ، وبدأنا فى تجهيز المنشورات لإرسالها إلى أصحابها وأخذ كل منا جزءاً من تلك المنشورات ليلقى بها فى صناديق البريد على اتساع القاهرة .

وفى اليوم التالى كان الاتفاق على أن نتحدث تليفونيا مع بعضنا البعض ، ونذكر عبارة « متشكرين على العشاء بتاع امبارح » ، وكان هذا يعنى أن مرحلة التوزيع قد انتهت على خير .

ومر يومان ، وفى صباح اليوم الثالث كانت المفاجأة للجميع . فقد وصلت المنشورات إلى عدد كبير من الضباط وبدأ الجميع يتحدثون عن المنشور ، وعن « الضباط الأحرار » ، ومن هم هؤلاء وماهى اتجاهاتهم . وكم سمعت بأذنى من يقول إن هذه الحركة خطيرة للغاية لأنها على درجة فائقة من التنظيم . وأن الأسلوب الذى كتب به المنشور والدقة فى كتابة الأسماء والعناية وطريقة التغليف ، وعبارات الحزم

التى جاءت فيه ـ كل هذا لابد أن يكون وراءه إما جماعات منظمة منذ وقت بعيد مثل جماعة الإخوان المسلمين ، أو حزب حدتو (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) ، أو أنها حركة يساندها الانجليز بغرض تهديد الملك إذا لزم الأمر . وكنا نسمع كل هذه الأحاديث من الضباط الذين لايعرفون شيئا عنا أو عن الحركة ، وكانت الفرحة تملأ قلوبنا . وكنا نضحك أحيانا ، ونحزن أحيانا ـ نضحك على مايقال عن أن الحركة يساندها الانجليز ، ونحزن لمواقف بعض الضباط الذين سارعوا بتسليم ماوصل اليهم من منشورات إلى الرئاسات حتى يخلوا مسئوليتهم أمامها وحتى يتبرءوا من أى شبهة ، قد تصل اليهم أو عنهم .

وفى اليوم التالى بعد الظهر ، ذهبت كعادتى الى شقيقى سعد ، وإذا بى ألمح العربة الأوستن السوداء تقترب من المصنع وتقف على جانب الطريق ، وينزل منها جمال عبد الناصر ويلقانى بين ذراعيه فى عناق وهو لايكاد يصدق ماحدث ، ويقول لى : ماكنت أتصور مثل هذا النجاح لأول منشور ـ لقد أحدث مفعول السحر فى قلوب الضباط ، وأنزل الرعب فى قلوب المسئولين إن الناس كلهم يتحدثون عن « الضباط الأحرار » وعن هذه الحركة الثورية التى يعيشها ضباط الجيش ، ولايتصور أحد أن مثل هذا المنشور يستطيع أن يقوم به ضباط الجيش وحدهم ولكن لابد أن وراء هذه الحركة من يؤيدها من الأحزاب ، أو الجماعات السرية الأخرى ، ولابد لهم من مورد ضخم من المال الذى مكّنهم من إخراج المنشور فى شكله وأسلوبه وروحه وتنسيقه . وشربنا سويا كوبا من عصير القصب متمنيين للحركة أن تسير على الطريق السليم إلى أن تصل إلى الغاية السامية التى تسعى إليها . وخرج جمال عبد الناصر وودعته إلى العربة ، واتفقنا على مداومة الاتصال للحديث حول المنشور الثانى ومايجب أن يحتويه من عناصر تعبر عما يراود أفكارنا ويتفق مع الأحداث التى كانت تعيشها بلادنا فى ذاك الوقت .

والتقيت بخالد بعد ذلك ، وأصبحت علاقاتنا أكثر قوة وأشد عمقا عما مضى وتحدث معى عن المنشور الأول الذى يحمل اسم « الضباط الأحرار » وماكان له من وقع خارق غير متوقع فى البلد كله . وقال لى إنه حينما ظهر المنشور الأول ، التقى بالصاغ ثروت عكاشة الذى سأله عمن كتب المنشور ، فقال له جمال منصور هو الذى كتبه ، فكان تعليق عكاشة : إننى لم أكن أتصور أن هذا الشاب الهادىء ، يحمل

فى جعبته ثورة كامنة تتضح فى السطور والعبارات التى أتى بها على صفحة المنشور .

الاتصال بالمنظمات السياسية

الإخوان المسلمون

شهد عام ١٩٤٦/٤٥ مظاهرات الطلبة والعمال ضد الاحتلال الانجليزى وضد الاحزاب التى تولت الحكم حكومة إثر حكومة ، مما أوجد نوعا من الفراغ على حلبة السياسة الداخلية . وفى ظل هذا كله قامت جماعة الاخوان المسلمين وامتد نشاطها إلى ضباط الجيش لضمهم إلى حركتها . وكان الصاغ محمود لبيب ، المتقاعد منذ عام ١٩٢٤ ، هو الذى يتولى تكوين مجموعات من ضباط الجيش تنضوى تحت أهداف وفكر الاخوان المسلمين . وكان هو الذى يدير الجلسات بحثا فى الدين ، وحثا على الخلق الكريم ، وشرح القرآن بآياته . وتم الاتصال بين الصاغ محمود لبيب من جانب ، ومصطفى نصير ، وعبد الحميد كفافى من جانب آخر . وأراد محمود لبيب ضم مصطفى نصير وكفافى إلى جماعة الاخوان المسلمين ، وتمت لقاءات أخرى مع الشيخ حسن البنا .

ولكن هذه اللقاءات أوضحت معالم الطريق الذى كان يسعى اليه الإخوان تحت مظلة الدين والإسلام الى أن تصل إلى الحكم . وعندما سقطت وزارة النقراشى فى أوائل عام ١٩٤٦ بعد حادث كوبرى عباس وقام اسماعيل صدقى بتشكيل الوزارة ، اتخذت جماعة الاخوان المسلمين خطا سياسياً تؤيدً فيه اسماعيل صدقى وتساند مشروع صدقى - بيفن . وتم التفاهم على تشكيل بوليس الاخوان لمحاولة تهدئة المظاهرات الطلابية والعمالية . وخرج الشيخ حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان ، فى عربة حكمدار بوليس مصر المكشوفة أملا فى تهدئة المتظاهرين . وحدث اشتباك بين المتظاهرين والجنود الانجليز الرابضين

وراء أسلاك وأسوار قشلاقات قصر النيل ، وسقط الكثير من الجرحى والقتلى ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ، وهو موعد الدرس الدينى الذى يلقيه المرشد العام ، فوقف الشيخ حسن البنا فى دار الارشاد بالحلمية الجديدة ليعطى درسه الدينى فى ذاك المساء الحزين عن « غسل الميت » . وقامت مجموعة الفرسان بحل مجموعات الضباط التى كان قد كونها الصاغ المتقاعد محمود لبيب ، وتم ضم هذه االمجموعات إلى تنظيم ضباط الجيش .

حركة حدتو (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى)

كانت هذه الحركة تمثل الجناح اليسارى فى مصر . وقد ظهرت لها عدة منشورات تحدثت عن السياسة الخارجية والداخلية لمصر ، وكانت تهاجم الأحلاف بزعامة أمريكا ، وتؤيد الاتحاد السوفيتى والديمقراطيات الشرقية . وحينما تعطلت ماكينة الرونيو التى نملكها ، كان علينا أن نلجأ إلى أى وسيلة لطبع أحد المنشورات التى كانت قد أعدتها جماعة الفرسان . وهنا تقدم الزميل خالد محيى الدين ليرشدنا إلى الجهة التى يمكنها القيام بهذا العمل . وحضر إلينا وبرفقته السيد أحمد فؤاد الذى كان يعمل قاضيا فى المحاكم ، ولكنه يرتبط ارتباطا وثيقا بحركة « حدتو » . وقال خالد إن الأخ أحمد يمكنه أن يطبع المنشور الذى تم إعداده ، وذلك فى إحدى خلايا تنظيم « حدتو » . وبالفعل أخذ أحمد فؤاد المنشور وذهب به إلى جهة لانعرفها ثم عاد بعد يوم واحد ومعه النسخ المطلوبة من المنشور ، وكانت هذه المقابلة هى أول وآخر لقاء مع حركة « حدتو » .

وحينما نجحت الثورة ، جاء أحمد فؤاد لمقابلة عبد الناصر بناء على طلب الأخير، الذى قال له : « **إذا استمريت فى نشاطك الأول مع الاتجاه المعروف لحركة « حدتو » فإن أبواب السجون ستكون مفتوحة أمامك . أما إذا عدلت عن ذلك ومشيت معنا فى طريقنا فإن أبوابا أخرى سوف تفتح لك** » وأختار أحمد فؤاد الطريق الآخر ونبذ حركة « حدتو » ، وفتحت أمامه أبواب كثيرة ، كان أهمها رئاسته لمجلس إدارة بنك مصر .

حزب مصر الفتاة

لم يكن نشاط الضباط الأحرار مقصوراً على اللقاء معا للإعداد للثورة بل كانت لهم أدوار أخرى تعيش فى قلوبهم وتحملهم مسئولية كبرى يشعرون بها ، مسئولية تحرير البلاد من قوات الاحتلال الانجليزى . كانت هذه الفئة تعمل فى ظروف صعبة للغاية ، فلم يكن من الممكن أن يختار الضابط طريق الخروج عن الطاعة فى الجيش ويذهب إلى القتال ليشارك فى عمليات الفداء ضد الانجليز ، ومن ثم كان الاتجاه إلى تدريب بعض الجماعات من الفدائيين المصريين للقيام بأعمال تخريبية ضد قوات الاحتلال . لذا قمنا بالاتصال بحزب مصر الفتاة ورئيسه أحمد حسين ، وبدأنا فى تقسيم قوات الفدائيين إلى جماعات على ألا تزيد أى جماعة على عشرة أفراد . وأذكر فى هذه المناسبة ، أن كفافى ونصير التقيا مع أحمد حسين ، وأصر الأخير على أن يصطحبهما إلى أرض الغفير لكى يستعرض شباب الحزب . وحينما نزل أحمد حسين من العربة التى كان يقودها بنفسه ، التف حوله مجموعة من الشباب وساروا خلفه ، وكلما وصل إلى مكان رددوا الرئيس ، الرئيس .

وكان هناك فى أرض الغفير مايقرب من ثلاثة آلاف شاب من مختلف الفئات بينهم الطالب والعامل والموظف ، يأتمرون بأمر أحمد حسين ويطيعون كلامه ، وهم رهن إشارته لأى عمل فى سبيل مصر . وحينما انتهى أحمد حسين من تفقده لرجاله فى أرض الغفير ، دخل كفافى ونصير فى نقاش مع بعض الشباب عن أحوال التدريب . ومارأن رآهما أحمد حسين حتى تقدم إليهما ، وهنا انطلق كفافى قائلا : هل تعتقد أن هذه الآلاف قادرة على حمل السلاح بالطريقة التى نشاهدها حاليا فى تدريبهم؟ فقال أحمد حسين : نعم إن هؤلاء هم الذين سوف يحررون أرض مصر من الاحتلال الانجليزى . فقال له كفافى . إنه من الأفضل تدريب جماعات صغيرة على أساس أن يكون التدريب أكثر جديه وحيوية ، وأن عشرات من المدربين خير من الآلاف من غير المدربين ، وأنه لا يجب أن نلقى بهؤلاء الآلاف فى أتون المعركة وهم غير مستعدين لها .

دار الحديث أمام بعض أعوان أحمد حسين الذين أدركوا وجاهة ماقاله كفافى

من أن الأفضل تدريب عشرات خير من القول بأن هناك آلافا فى طريقهم إلى التدريب ، وبادر هؤلاء الأعوان بالاتصال بكفافى واستقر الرأى على تقسيم المتطوعين إلى فئات ، على ألا يزيد عدد الجماعة على عشرة أفراد ، يتولى كل منا تدريبهم بالطريقة وفى المكان الذى يختاره .

ونشط الصحابة فى تدريب المواطنين وكنا نبدأ بالتدريب النظرى على مختلف الأسلحة الخفيفة ، القنبلة اليدوية ، والبندقية لى انفيلد ، ثم ننتقل بهم إلى أماكن غير آهلة بالسكان - وكان كفافى قد اختار لنا مقابر الغفير - وذلك لإجراء التدريبات العملية حول استعمال الأسلحة المختلفة وخاصة القنابل اليدوية . وكان يحضر إلى منزلى بالزيتون مجموعة من الشباب بين الطالب والعامل ، وذلك للتدريب النظرى والاستماع إلى شرح أجزاء الأسلحة الخفيفة المختلفة ، تمهيدا للذهاب إلى التدريب العملى فى أرض المقابر ، ثم القيام بعد ذلك بالعمليات المطلوبة منهم فى القنال .

وجرى التعاون مع السيد إبراهيم شكرى ، والذى وافق على تخزين المفرقعات والقنابل فى عزبته فى أبى زعبل كما ساهم بمبلغ خمسين جنيها لتمويل عملية تفجير لغم بحرى فى القنال .

وأذكر أن من بين من جاء للتدريب نظرياً وعمليا ، عمرو محيى الدين شقيق خالد محيى الدين ، وكان عمرو فى ذاك الوقت طالبا فى كلية التجارة ، ويعمل الآن أستاذا للاقتصاد السياسى فى جامعة القاهرة .

التدريب على تفجير لغم بحرى فى القنال

وافق الصحابة على فكرة تفجير لغم بحرى فى قنال السويس . وكانت هذه مجرد فكرة ليس لدينا لتحقيقها شيء بالمرة سوى الشباب الملىء بالحماس المتوقد غيرة على وطنه . وساقتنا الأقدار إلى شاب يملأ الحماس قلبه ، وهو طالب فى كلية الهندسة يسكن أمام قصر عابدين على وجه التحديد أى على الجانب الآخر من قصر

فاروق ، واسمه أحمد محمود الشايب . وحينما تدخل منزله تجده كأى منزل عادى متوسط ، لكن فى نهاية حجرة النوم كان هناك باب آخر يسوقنا الى الورشة ، وفى هذه الورشة وجدنا كل شيء - كل مايمكن أن يتصوره أى منا - تجارب وتركيبات وأسلاك وحدايد . وتحدثنا معه فى شأن اللغم ، فقال إنه يجرى تجارب على ألغام عادية ولكنه سيبدأ من اليوم فى إجراء تجاربه على الألغام البحرية التى يمكن تفجيرها تحت الماء . وأطلعنا على كل ماأعده لهذا العمل ، وكادت قلوبنا تقفز من الفرحة لمعرفة هذا الشاب الذى أوحى الينا بكثير من الثقة والايمان . ووجدنا أننا لسنا وحدنا فى الميدان بل هناك من صفوة الشباب من يحس إحساسنا ومن يعيش معنا .

وأثرنا معه مسألة أخرى تتعلق بالسلاح الكاتم للصوت الممكن استخدامه ضد الحراس الانجليز الذين يقومون بحراسة القشلاقات فى منطقة القنال ، حتى يمكن التخلص منهم بطريقة هادئة غير مسموعة ، لإتاحة الفرصة للفدائيين للقيام بأعمال التخريب فى داخل معسكرات العدو ومخازن ذخيرته ومدرعاته وطائراته . وكان صريحا معنا ، فقال إنه لايستطيع الآن أن ينتج مثل هذا السلاح ، ولكنه يجرى تجارب حاليا على نوع من **السهم والقوس** له تأثير قاتل ، وأطلعنا على ماأعده فى هذا الشأن ، وأقنعنا بأنها وسيلة فعالة يمكن بها التخلص من الحرس الانجليز دون أى صوت ، لفتح الطريق بهدوء إلى داخل المعسكر والقيام بالعمل المطلوب . واتفقنا على أن يزودنا ببعضها على قدر العدد من الفدائيين المطلوبين للقيام بأعمال خاصة ، وتواعدنا على اللقاء للإطلاع على آخر تطورات صناعة اللغم البحرى .

التدريب فى الحوامدية

وقع اختيارنا على خمسة من الفدائيين من الطلبة والعمال ، للقيام بالتدريب على عملية تفجير اللغم البحرى فى النيل على أن نذهب إلى القنال لاختيار المكان والمراكب التى سوف نفجرها ، وكان التفكير يدور حول اختيار مركب انجليزى أو ناقلة بترول انجليزية ، حتى تكون الخسائر كلها فى الانجليز ، وحتى يظهر أمام العالم أن وجود انجلترا فى القنال لايمكنها حتى من حماية سفنها العابرة لها .

وبعد عدة أسابيع ، عدنا إلى الأخ « الشايب » القاطن أمام قصر عابدين ، ودخلنا أنا وكفافى ونصير إلى منزله ومنه إلى الورشة حيث أطلعنا على اللغم ، وشرح لنا طريقة العمل والتوصيلات الكهربائية اللازمة والبطارية التى يجب وضعها على الشاطىء حينما نغرق اللغم فى أسفل القناة . ووعدنا بتسليمه لنا بعد أن يضع اللمسات الأخيرة عليه . وكم فرحنا بهذا اللغم وكم علقنا عليه آمالا كبيرة .

وبعد بضعة أيام ذهبنا إليه ، وأخذنا منه اللغم ووضعناه فى عربتى بعد تأمينه وأخذنا كل المعدات اللازمة لتفجيره وكانت المجموعة الفدائية فى انتظارنا فى الجيزة وقام كفافى بعربته ومعه نصير باصطحاب ثلاثة ، وأخذت معى اثنين من المجموعة وذهبنا على طريق الصعيد . كان القمر ساطعا على صفحة النيل ، واخترنا هذا الوقت بالذات فى بداية التجربة حتى يكون الضوء مساعدا لنا فى بداية الأمر وحتى لانضل أو نتعرض لبعض السكان هناك .

نزلت المجموعة ومعها اللغم البحرى والبطارية والسلك وكل مايلزم ، وتركنا العربتين فى جهة فى أعلى الطريق تظللهما أشجار النخيل أو تخفيهما ومشينا على أقدامنا مايقرب من ٥٠٠ متر فى طريقنا إلى النيل . وشرحنا للمجموعة واجب كل منهم ، وأدرك الجميع مانعلقه من أهمية على نجاح هذه التجربة . وكان من بين المجموعة أحد الشبان يعمل أسطرجيا ، ووددت لو عرفت اسمه أو تعرفت عليه الآن ، ولكن أذكر له شجاعته التى ملأت نفسى ونفس كل من قابله . كان فريدا من نوعه لايفوته درس واحد . كان مثالا للانضباط وحسن تلقى التعليمات وأدائها على أحسن وجه . وكنت تلمح على وجهه علامات الجد والرغبة فى العمل بشكل نادر . وكان يقدس المواعيد مهما كان الأمر حتى لو وصل به الحال إلى أن يترك عمله لحضور التدريب أو للقيام بعملية ما . ويحضر إلى المكان بملابسه التى يعمل بها ويديه قد تخضبتا بلون الجمالاكا ، وقد لايكون قد تناول غذاءه أو عشاءه ، ولكن كان العمل كل شيء لديه والتدريب واجبا مقدسا بالنسبة له . ولذلك وجد منا كل محبة وتقدير واحترام وكنا نعتمد عليه كقائد للمجموعة لتنفيذ مانطلبه منه .

خلع هذا الشاب الاسطرجى ملابسه كلها غير مبال بالبرد القارس فى شهر ديسمبر على ضفة النيل ونزل فيه مع فرد آخر من جماعته وابتعد قليلا قليلا سابحا وممسكا بإحدى يديه إحدى ذراعى اللغم . وفى منتصف النيل تقريبا غاص

« الاسطرجى » الى القاع حاملا بين ذراعيه اللغم يعاونه فى ذلك زميله . كانت عملية على جانب كبير من المشقة ، إذ أن الغوص كان يتم بدون أجهزة ، وكانت العملية تعتمد كلية على طول النفس . كان يغوص باللغم لعدة أمتار بالقدر الدى يتحمله ثم يعلو إلى السطح . ويعاود زميله أداء نفس العملية بالتبادل إلى أن تم وضع اللغم فى قاع النيل بواسطة حبلين يحمل كل منهما طرفا منه ، إلى أن أحسا بأن اللغم قد اصطدم بقاع النهر فاعتبرا أن الخطوة الأولى فى العملية قد تمت وكان عليهما أن يسحبا السلك الكهربائى الذى يتصل باللغم ويخرجا به إلى الشاطىء لتسليمه إلى باقى الجماعة ، لكى تقوم بتوصيله بالبطارية الموجودة على شاطىء النيل . وخرج الاسطرجى وصاحبه من الماء وفى أيديهما السلك ، وأعطيا طرفه إلى باقى الجماعة ولبسا ملابسهما فى الحال وقدمنا لهما بعضا من الشاى الساخن الذى كان معنا فى أحد الترامس وشربا الشاى قدحا وقدحين إلى أن عادت إلى جسمهما حرارته الطبيعية . وبقينا مع الجماعة لملاحظة ومراقبة ماسوف يحدث حين يتم الاتصال الكهربائى بين اللغم والبطارية والجميع كلهم أمل فى سماع صوت الانفجار .

تجربة لم يكتب لها النجاح

انعقدت الأنظار حول الشخص المكلف بعملية التوصيل الكهربائى . وقام بالتوصيل اللازم وانتظر إلى أن أشار له « الاسطرجى » بإشارة التفجير ، فضغط على المفتاح الكهربائى .. وأصغينا بآذاننا فلم نسمع شيئا . وهكذا كانت محاولتنا الأولى فاشلة ، فلم ينفجر اللغم ولم نسمع له صوتا واستولى علينا حزن عميق ، فقد كنا على درجة كبيرة من الثقة فى اللغم وفى نجاحه . ومرت فترة غير قصيرة ننظر إلى بعضنا وينظر إلينا باقى أفراد المجموعة ، ولسان حالهم يقول : أبعد كل هذا التعب لانحقق النجاح الذى كنا ننتظره من ورائه ، والذى يعتبر أول خطوة على الطريق وليست نهاية الخطوات . وأحسسنا جميعاً بكل مايدور فى ذهن وفى نفس كل فرد منا ومنهم . وكان علينا أن نقرر الخطوة التالية ، وحاول الشخص المكلف بالتوصيلات الكهربائية أن يجد عيبا فى عمله ولكن دون جدوى . فطلبنا من

الاسطرجى وزميله أن ينزلا إلى الماء للعودة باللغم وخلعه من قاع النيل ، فما كان منهما إلاّ أن نزلا من جديد فى هذا الجو القارس ممسكين بالحبل ليكون دليلا لهما ومرشدا إلى اللغم فى قاع النيل وكنا نلمحهما من على الشاطىء فى ضوء القمر يغوصان إلى أسفل ثم يرتفعان إلى أعلى ممسكين دائما بالحبل وفى لحظة غاص الاثنان إلى القاع ومرت ثوان قليلة كانت أنفاسنا خلالها حبيسة قلوبنا خوفا من أن يكون اللغم قد انفجر تحت الماء دون أن نسمع له صوت ، أو أن يكون أحدهما أو كلاهما قد توقف قلبه فى خضم الماء . ثم تنفسنا الصعداء حينما أبصرنا على مدى النظر « الاسطرجى » وزميله يحملان شيئا بإحدى إيديهما ويضربان باليد الأخرى أمواج النهر فى الطريق إلى شاطئه .

عاد الاثنان حاملين اللغم بكل مافيه وماعليه من توصيلات كهربائية . واقبلت الجماعة تسحب اللغم من زميليهم وتأخذ بيدهما إلى شاطىء النيل . ونزعنا كل التوصيلات الكهربائية من اللغم ، ولففناه فى قطعة بالية من القماش ووضعناه فى مقطف ، وحمله اثنان من الجماعة إلى عربتى ، وسرنا إلى حيث بدأنا رحلتنا للعودة . وقمنا بتوصيل الجماعة بعرباتنا بالقرب من منازلهم . واتفقت مع كفافى ونصير على أن نبقى اللغم بعربتى لأعود به إلى منزلى فلا خوف من ضياعه طالما أنه فى العربة مغلقا عليه ، على أن نلتقى فى اليوم التالى لكى نذهب إلى « الشايب » لنعرض عليه الأمر ، ليقوم بدراسة اللغم لمعرفة سبب عدم تفجره ، وإصلاح العطب إن وجد حتى نعاود الكرّة ونطمئن إلى الخطوة التالية ، خطوة تفجير اللغم فى قنال السويس تحت المركب أو ناقلة البترول الانجليزية .

والتقينا أمام مقهى « استرا » فى ميدان التحرير وذهبنا نحن الثلاثة : كفافى ونصير وأنا ، فى عربتى إلى صديقنا « الشايب » الذى رحب بقدومنا مستبشرا خيرا ، ولكنّا قصصنا عليه ماحدث بالتفصيل فلم يكن أسعد حالا منا . وقال أين اللغم فقلت له : هنا فى الحارة البعيدة عن منزلك فى عربتى .

فقام بفتح باب الحديقة للدخول منه بعربتى وأغلق الباب من خلفى وأخرج اللغم من لفتة وحمله إلى ورشته الصغيرة بجوار الحديقة . واتفقنا على أن نتصل به بعد عشرة أيام ، حتى يجرى الدراسة اللازمة لمعرفة أسباب عدم تفجره . وانصرفنا نحن الثلاثة وعدنا إلى مقهى « استرا » لكى نضع ملامح الخطوة التالية ودار بيننا الحديث

حول ما نحن فاعلون فى حالة نجاح التجربة الثانية من تفجير اللغم فى النيل ، والاستعداد للعملية الكبرى وهى عملية إعداد اللغم ونقله بعد صناعته بمعرفة « الشايب » إلى منطقة القنال ، وأى المناطق تصلح لكى نضع منها اللغم وكيفية الوصول إليها دون أن تشعر بنا الدوريات الانجليزية التى كانت تمر على ساحل القنال فى حركة دائبة . واتفقنا على عدم تضييع الوقت والا ننتظر إلى أن يطلعنا « الشايب » على نتيجة دراسته للغم ، بل يجب أن نسعى الآن ونذهب الى المكان الذى نختاره لكى ندرسه على الطبيعة ونعرف كل ملامحه ونرسمه .

الرحيل إلى القنال

كان علينا أن نعرف على الطبيعة أسلم الطرق التى سوف نسلكها حتى نصل إلى القنال ، وحتى نحدد تماماً المكان الذى يقع عليه اختيارنا ليكون مسرحا لعملية تفجير اللغم البحرى فى إحدى ناقلات البترول الانجليزية . وحددنا موعد السفر أنا وكفافى ونصير . إلا أن نصير أصيب بمرض (نزلة شعبية) ورغم إصراره على الذهاب معنا ، لم نستجب له خوفا من إصابته بمضاعفات قد يسببها له المجهود الشاق للرحلة . وكان الطريق الذى خططنا له هو الذهاب بالقطار من القاهرة إلى المنصورة ثم ركوب قطار الدلتا من المنصورة إلى المطرية ، وبعدها نعبر بحيرة المنزلة إلى أن نصل إلى الضفة الغربية للقنال ، وهناك نحدد أنسب الأماكن لعمليتنا القادمة .

قطار الدلتا

حضر كفافى إلى منزلى . وكنت قد تحدثت مع أخى الأكبر صلاح ، عن اعتزامى السفر إلى المنصورة ومنها إلى المطرية فأصر على الذهاب معى . ولمحت

فى إصراره مزيجا من الحب الأخوى الذى يربط بين شقيقين فضلا عن رغبته فى المشاركة فى المغامرة ، أو أملا فى أن يدفع عنا بعض ماقد نتعرض له فى هذا الطريق الذى لم نطرقه من قبل ، أو رغبة فى مصاحبتا تشجيعا لنا فى مهمتنا التى كان يحس بها دون أن يتحدث عنها أو يريد أن يكشف عن أنه يعرف شيئا عنها .

وإزاء إصراره ذهبنا نحن الثلاثة : كفافى وأنا وشقيقى صلاح، إلى محطة مصر ، وكل منا يلبس بنطلونا ثقيلا وقميصا وفانلة ضرب النار . وكان شقيقى يرتدى معطفه الثقيل ، ولم نكن نعرف ماذا يمكن أن يؤديه هذا المعطف فى جو شمال الدلتا وما صادفناه من برد لم نكن نعهده ، كأننا لم نكن نعلم أى شىء عن مناخ جزء من بلادنا فى شمال الدلتا وخاصة أثناء عبور بحيرة المنزلة .

ذهبنا إلى محطة مصر بعد ظهر يوم خميس ، وركبنا القطار إلى المنصورة التى وصلنا إليها بعد حوالى ساعتين . وفى محطة المنصورة كان لابد لنا أن ننتظر عدة ساعات إلى أن يأتى قطار الدلتا ، وكان مثلا للتلكؤ وعدم الاعتبار لأى مصالح ، فهو يتحرك وفقا لما يراه الكمسارى : إذا امتلأ القطار كان بها . وإذا لم يمتلىء فعليه الانتظار . وجاء قطار الدلتا حاملا أعدادا غفيرة من الفلاحين . ومعهم القفف والسلال وبها أرغفة العيش « الذرة » وبعض الأكل الريفى المعروف ، بخلاف الحيوانات من حمير وبقر وجاموس ، إذ أن هذا القطار يوفر النقل لمن يريد ، فهو أشبه مايكون بسفينة نوح . وتحرك القطار فى حوالى العاشرة مساء ليسير بهدوء كامل يشق أرضنا الخضراء المنتشر فيها قناديل الغاز لعلها تبدد بعض الظلام فى مساكن الفلاحين . وكان القطار يواصل سيره دقائق ليتوقف لكى يلحق به أحد الركاب . وهكذا قطعنا الرحلة بين تحرك وتوقف واهتزاز وكان البرد قارسا ، ولم نجد أمامنا بدا من الدخول إلى حيث قائد القاطرة ، حيث الفحم المتوهج الذى يدير محركات القطار ، ووقفنا خلف قائد القاطرة مع الآخرين الواقفين احتماء من البرد القارس ولا مجال فى القطار سوى هذا المكان لكى نتقى شر البرد .

ورغم قسوة الرحلة والبهدلة التى أصابتنا ، فإننا قضينا الوقت فى الحديث المليء بالضحك والتهكم على من تسببوا فى ترك هذا الشعب على هذه الصورة ، وجعل قطار الدلتا المتأرجح هو السبيل الوحيد لربط الدلتا جنوبها بشمالها . وضحكنا كثيرا ، وقرصنا الجوع . وأخيرا وصلنا إلى المطرية ، وهى مسقط رأس الزميل

كفافى ، ويعرف عنها الكثير . وبمجرد وصولنا اصطحبنا كفافى إلى ميناء المطرية حيث توجد مراكب الصيادين والعائدين من رحلات صيد السمك ، وكانت الساعة قد قاربت منتصف الليل أو تعدته ، وحاولنا بكل الحيل أن نستأجر مركبا لعبور بحيرة المنزلة والوصول إلى الضفة الغربية للقنال ، لكن دون جدوى .

عبور البحيرة

تفاوضنا مع أحد المراكبية لتأجير مركبه ، وبعد أن اتفقنا معه ، ذهب إلى رئيسه ثم عاد فقال إنه يأسف لأن رئيسه لم يسمح له بذلك ، حيث أن المركب سوف تغادر بعد ساعتين فى رحلتها التقليدية مع كل فجر سعيا وراء الرزق ... وراء الصيد فى البحيرة . فقلنا له كم تربح من وراء عملية الصيد هذه ، فقال عشرة جنيهات فى اليوم فقلنا له : سوف ندفع لك ضعف المبلغ ، وقل لرئيسك هذا . واشترينا له كيلو سكر وبعض الباكوات من الشاى . وعاد ووافق على العرض ، وتحركت المركب بنا فى الثانية قبل فجر اليوم التالى . ونزلنا فى أسفل المركب حيث وابور الجاز لعمل الشاى وبعض الأكل ، وقله مكسورة الرقبة للشرب ، وكليم متهرىء للغطاء فى حالة النوم أو التدثير من البرد . ودخلنا فى هذا المكان الضيق وطرح علينا الشقيق صلاح معطفه لكى يقينا بعضا من هذا البرد القارس ، وبدأنا فى شرب الشاى الساخن . وكان إثنان منا ينامان بالدور ويبقى الثالث متيقظا ، لأننا لم نطمئن كثيرا لمن معنا من المراكبية وخاصة أن عددهم كان أكثر منا ، وهكذا تبادلنا هذا النوع من النوم المتقطع الذى يضر أكثر مما ينفع . وبعد ساعات قضيناها فى رحلة البرد بدأت معالم النور تتضح على صفحة السماء جالبة معها نهارا جديدا ، وأولى خيوط الشمس تسقط على صفحة البحيرة لتضىء معالم الحياة على اليابس المحيط بها ، ونزلنا إلى بر البحيرة لنكتشف جزءاً من بلادنا فى شمال الدلتا .

وتركنا المركب بملاحيه وتحركنا فى المنطقة وقطعناها شرقا وغربا ، واقتربنا من قنال السويس عند نقطة « رأس العش » . ولم يكن فى استطاعتنا الذهاب حتى

ضفة القنال خوفا من أن تلمحنا الدوريات السيارة الانجليزية ولكننا اختبأنا فى أحد البيوت الطينية المسقوفة بالقش من بيوت الصيادين ونظرنا حولنا ورسمنا المنطقة كلها من نقطة نزولنا من المركب حتى الطريق إلى القنال وماجاور الطريق من معالم وسلكنا طريقا غير مطروق بين الكثبان الرملية ورسمناه على الخريطة ، وحددنا كل معالم المنطقة وأوضحنا شاطىء القنال وعلمنا المنطقة التى سوف نعمل منها حينما نحضر اللغم البحرى والمكان الذى سوف نضعه فيه ولم نمض فى المنطقة سوى ساعتين وعدنا إلى المركب وجلسنا فى أسفلها لكى نتقى شر البرد الذى أحاط بالبحيرة كلها . وتبرع أحد الملاحين بعمل ثلاثة أكواب من الشاى الساخن وأخرجنا بعض مامعنا من مأكولات متواضعة . وكان إفطارا شهيا ساعدنا على تحمل قسوة البرد . وشاهدنا على البعد بعض الصيادين للبط في البحيرة ومعهم عدداً لابأس به من الصيد ، فتركنا المركب وذهبنا اليهم واشترينا منهم بعض محصولهم اليومى . وكنا فى غاية الكرم معهم فكل ماطلبوه من ثمن دفعناه لهم حتى نجد منهم معاملة حسنة ، آخذين فى الاعتبار أننا سوف نحتاج إلى مساعدة ومعاونة سكان هذه المنطقة حينما نأتى مرة ثانية ومعنا الحمل الثقيل (اللغم البحرى) . وطلبنا من الملاحين أن نعود إلى المطرية .

وبدأت المركب تشق عباب البحيرة فى رحلة العودة . وأشهد أن هذا الجزء من الرحلة كان أكثر راحة لا من الناحية الجسمانية ولكن من الناحية النفسية فقد جئنا لغرض رسم المنطقة ونجحنا فى ذلك ، وعدنا ومعنا ماكنا نبغى تحقيقه . ولذلك ورغم تعبنا الشديد ، فقد أمضينا ساعات من الضحك فى قاع المركب والحديث مع الملاحين للتعرف على طريقة معيشتهم وكسبهم لقوتهم اليومى . وانقضت ساعات الرحلة ووصلنا إلى المطرية ، ودفعنا إلى الملاحين مزيدا من المال عند مغادرتنا للمركب ، وذهبنا إلى أول مقهى وارتمينا على الكراسى المتهالكة وشربنا بعض المشروبات الساخنة لكى ندخل إلى أجسادنا بعض الحرارة التى فقدناها على جنبات بحيرة المنزلة .

العودة إلى القاهرة

كان علينا أن نذهب إلى محطة المطرية لكى نركب قطار الدلتا من جديد . والغريب فى هذا القطار أن ساعات قيامه غير معروفة ، ويمكن أن تسأل عن ميعاد القطار ، والمحدد له الثامنة صباحا مثلا فيبادر ناظر المحطة بالقول إنه من هنا إلى الظهر يمكن يحضر ! وكان علينا أن نبقى على هذه المقهى نحتسى أكوابا متتالية من الشاى الساخن ونلقى بأنظارنا بين وقت لآخر على القطار السعيد لعله يكون قادما إلينا . وكان موعده فى الثانية بعد الظهر وقرصنا الجوع وأشترينا بعض المأكولات من أحد البقالين بجوار المقهى . وجاءت الساعة الخامسة ولمحنا على البعد سحابة من الدخان أشبه بمداخن مصانع الطوب التى تنتشر فى المنزلة ، وأدركنا أن القطار قادما إلينا وتحركنا إلى محطة المطرية ، وكان علينا أن نسارع إلى القطار بمجرد دخوله إلى المحطة علما بأنه لايوجد رصيف يقف عليه الركاب ، ولكن الكل يعتمد على عضلاته وقواه الجسمانية للتسلق إلى القطار . وكنا أول الراكبين بجوار سائق القطار حرصا منا على أن نكون على مقربة من النار اتقاء من البرد . وجلسنا على بعض قطع العفش والأجولة التى كانت ملقاة على الأرض وبدأت رحلة العودة ولم تكن بأسعد حال من رحلة الذهاب .

وصلنا إلى محطة المنصورة ، فشعرنا كأننا أنتقلنا إلى عالم آخر لم نكن نعرفه بعد رحلة العذاب التى قضيناها مع قطار الدلتا ذهابا وإيابا ، ومع المركب الشراعى ذهابا وجيئه على صفحة بحيرة المنزلة . ومع ذلك كان علينا أن نتابع عودتنا إلى القاهرة فى نفس اليوم . وفى محطة المنصورة لم نلحق بآخر قطار يغادرها إلى القاهرة ، فما كان منا الا أن ركبنا سيارة أجرة لكى تصل بنا إلى القاهرة مع فجر اليوم التالى لينصرف كل منا إلى عمله فى صباح نفس اليوم .

واتفقت مع كفافى على اللقاء بعد يومين لكى نعرض على الصحابة نتيجة رحلتنا ودراسة الرحلة القادمة . والتقينا جميعا فى منزل مصطفى نصير ، وتدارسنا نتيجة رحلتنا ، وأطلعنا الجميع على الخريطة التى رسمناها للمنطقة التى اخترناها لعملية تفجير اللغم البحرى . وشرحنا لهم كيفية الوصول اليها ، واتفقنا على أن نستمر

فى تدريب الجماعة الفدائية على عملية تفجير اللغم حينما نتسلمه من الأخ « الشايب » بعد إجراء التعديلات عليه لكى نضمن نجاح تفجيره .

واستمرت الجماعة فى تدريبها فى النيل بجانب الحوامدية مرة وبجانب حلوان مرات أخرى . وكان نشاط الجماعة شىء أشبه بالخيال ، ولما ذكرنا لهم أننا ذهبنا إلى المنطقة التى أخترناها كموقع لعمليتنا القادمة كانت أسارير الفرح تعلو الوجوه ، واستعجلوا اليوم الذى يذهبون فيه إلى هذا المكان ، وكأنهم يسبقون الوقت للقيام بهذا العمل .

الهجوم على معسكر التل الكبير

من ناحية أخرى واصلت الجماعة تدريبها على السلاح وتفجير القنابل اليدوية واستخدام الأسلحة المختلفة ، لأننا كنا نريد تجهيزها للقيام بعملية تفجير اللغم ، استعدادا للدخول فى معركة مع أى دورية انجليزية قد تمر على القنال أثناء القيام بعملية التفجير . وكان لابد للجماعة أن تكون على دراية كاملة باستخدام المدفع الرشاش لحماية الأفراد أثناء عملية التفجير ، وكذا استعمال القنابل اليدوية . وكانت عمليات التدريب هذه تتم فى شقة الزيتون من الناحية النظرية ، ثم فى مقابر السيدة نفيسة وجبل المقطم للتدريب العملى . وسار هذا التدريب بشكل منتظم يدعو إلى الاطمئنان لاى عملية قادمة .

وقام عبد الحميد كفافى - الذى كان أكثرنا جرأة - بتجميع بعض الأفراد الذين كانوا يقومون بالتدريب بشكل منتظم وقادهم إلى منطقة القنال ، وهاجم معسكر التل الكبير ونسف السكة الحديد أمام بوابة المعسكر ، مما أدى إلى انقلاب أحد القطارات المحملة بالموءن وبعض المعدات الحربية وعاد فى نفس الليلة ومعه فريقه إلى القاهرة . وقد صدر بيان من محطة اذاعة لندن بتلك العملية . وعلى أثر ذلك ، وبعد أن هاله تنظيم العملية ودقتها قام الجيش الانجليزى باحتلال التل الكبير . وفى الاجتماع الاسبوعى عرض كفافى ماقام به مع فريقه فى

معسكر التل الكبير وأفاد خالد بأنه سوف يبلغ مجموعته بما تم لتعزيز التعاون بين المجموعتين فى العمل الفدائى ضد الانجليز .

ولم تكن عمليات التدريب للمجموعات الفدائية سببا يمنعنا عن الاستمرار فى التعبير عن الأحداث عن طريق المنشورات فقد ثبت أنها كانت خير وسيلة لتكتيل الضباط ، بل وخلق رأى عام بين المواطنين من أبناء الشعب حتى أننا كنا نسمع أحيانا كثيرة بين طلبة وأساتذة الجامعة والقضاة ، مدى تعاطفهم مع هذه الحركة التى كانت تعبر عن نفسها وآمالها وآمال الجيش عن طريق المنشورات التى كانت تصل إلى كثير من قادة الفكر والصحافة فى البلاد وكانت صورة صادقة للأحداث فى مصر .

وكنت التقى بجمال عبد الناصر فى منزله بكوبرى القبة أو فى مصنع شقيقى سعد ، للاتفاق على النقاط التى يتناولها كل منشور قادم وكان التعاون وثيقا بيننا . وفى كل مرة كان عبد الناصر يؤكد لى أن فكرة المنشورات قد نجحت نجاحا كبيرا فى ضم أعداد جديدة من الضباط . ويضيف أن الأمل كبير فى أن تسير العملية بنجاح مضطرد دون أن يقع « الضباط الأحرار » فى أيدى أعوان السراى أو « دلاديل » حيدر وأبدى تخوفه من مراقبة البوليس السياسى وظلت جماعة الفرسان هى الجهة التى تعد المنبشورات بكل خطواتها وكان خالد محيى الدين هو محور النشاط والحركة بين المجموعتين .

وقد جاءت منشورات الضباط الأحرار المذيلة باسمهم تحمل العناوين التالية :

- **نداء وتحذير**
- **قاوموا الطغيان ودافعوا عن الشعب**
- **من الذى يدفع الثمن**
- **صوت الضباط الأحرار**
- **المناسبة السعيدة**
- **بيان من الضباط الأحرار**
- **هدية العيد**

الفصل الثالث

مبادئ الثورة الستة وادعاءات « حدتو »

كانت حركة حدتو « الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى » قد أصدرت منشورا وحيدا باسم الضباط الأحرار تحت عنوان « أهداف الضباط الأحرار » ، وادّعت هذه الجماعة - فيما بعد - أن هذا المنشور قد جاء ببرنامج صيغت منه الأهداف الستة للضباط الأحرار .

وإذا ألقينا نظرة على هذا المنشور لوجدناه يتضمن النقاط التالية :

١ - ماهو الاستعمار ؟

٢ - لماذا نحارب الاستعمار ؟

٣ - كيف يحكمنا الاستعمار ؟

٤ - كيف نحارب الاستعمار ؟

ثم فقرة أخيرة تحدثت عن تكوين جيش وطنى .

والقول بأن هذا المنشور صيغت منه « المبادىء الستة » ، جاء بعيدا عن

الحقيقة . وإن واقع الأمر أن الخلية الرئيسية لسلاح الفرسان كانت قد وضعت بعض المبادىء التى تنير الطريق أمام الثورة بعد نجاحها ، واتجهت الى تبنى استراتيجية للثورة القادمة وذلك لربط التنظيم فى وقت السرية وبعد قيام الثورة بمبادىء ثابتة تكون الاطار السليم لنشاط الثورة فى تحقيق أمانى ورفاهية الشعب . وقد تم وضع هذه المبادىء الرئيسية فى نقاط محددة ، وفى كلمات مختصرة وقد أعدها عبد الحميد كفافى ومصطفى نصير وجمال منصور ، وتمت دراستها وبلورتها وصياغتها بعد مناقشات مع باقى أعضاء الخلية الرئيسية للفرسان ، وكان ذلك فى منزل الصاغ عثمان فوزى . وكانت هذه المبادىء التى وضعتها اللجنة الرئيسية للفرسان هى نفسها مبادىء الثورة الستة، والتى جاءت فيما بعد فى كتاب « فلسفة الثورة »، وهذه المبادىء الستة هى :

١ ـ القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة .
٢ ـ القضاء على الاقطاع .
٣ ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .
٤ ـ إقامة عدالة اجتماعية .
٥ ـ إقامة جيش وطنى قوى .
٦ ـ إقامة ديمقراطية سليمة .

وقد قامت الجماعة التأسيسية لسلاح الفرسان بمطالبة « القيادة الجديدة » بأن يتم إعلان مبادىء الثورة الستة ونشرها على أوسع نطاق وذلك للالتزام بكل ماجاء فيها وحتى تكون دستورا لهذه « القيادة الجديدة » لتسير عليه فى كل خطواتها .

حريق القاهرة

اشتدت المقاومة والأعمال الفدائية ضد الانجليز فى منطقة القنال ، وكانت الساحة المصرية مليئة بأنين العرايا والمساكين تسمع صوتهم يهز أركان القاهرة ولامجيب، فالملك لاه فى فساده ومغامراته ، والأحزاب غارقة لأذنيها فى التكالب

على الحكم وصراعاته ، والحكومات تأتى ضعيفة لاحول لها ولا قوة . وهكذا كانت مصر أشبه بالرجل المريض المسجى على الأرض تأتيه الرياح العاتية من كل جانب تصفح ضلوعه وتكتم أنفاسه، يطلب النجاة على يد أول عابر سبيل يناديه بأن يأخذ بيده ولاسميع لندائه. وعلت صيحات الأسى على صفحات الصحف لتنبه أولى الأمر وتحذرهم من أيام قاتمة سوداء آتية على الطريق . وإزاء هذا الضغط الشعبى والرأى العام المخنوق ، وأمام لهيب المقاومة للاحتلال ورفض كل سياسات الأحزاب والحكومات واحدة بعد الأخرى، اضطرت الحكومة القائمة برئاسة حزب الوفد إلى أن تعلن عن إلغائها لمعاهدة ١٩٣٦ التى كانت قد أسمتها معاهدة الشرف والاستقلال . ولكن النفوس كانت محملة بنيران الغضب ، والكُره يسرى بين الضلوع . ثم حدثت المؤامرة وجاء حريق القاهرة ليحرق معه كل هذه النفوس الرافضة لمؤامرة القصر والانجليز ، ويقضى على شرارات الغضب التى ملأت القلوب . ولعل الأحزاب قد باركت هذه الخطوة الآثمة أملا فى إيقاف هذا التيار الوطنى الجارف ، وصدرت الأوامر بإعلان الأحكام العرفية فى البلاد ونزل الجيش إلى المدينة وهى تحترق .

وكانت قوة الطوارىء التى نزلت إلى العاصمة من بين قوات سلاح الفرسان ، قد أخذت مواقعها فى حديقة الأزبكية وحدث اتصال سريع بين أعضاء اللجنة التأسيسية للفرسان ، وتم اجتماع بين أربعة منهم وهم « كفافى - نصير - عثمان فوزى - خالد محيى الدين » وجرت مناقشة الاقتراح الذى تقدمت به بعض الخلايا الأخرى للضباط الأحرار ، والذى يرى انتهاز فرصة الطوارىء والأحكام العرفية للقيام بالثورة بواسطة تنظيم الضباط الاحرار وكان رأى الزميلين مصطفى نصير وعبد الحميد كفافى أن الظروف غير مناسبة لأن الثورة يجب أن يتوافر لها عنصر المفاجأة ، ولما كانت القوات الانجليزية إزاء أحداث حريق القاهرة قد أعلنت حالة التأهب القصوى وأصبحت على استعداد للقيام بأى عمل مضاد فإن من الافضل عدم القيام بالثورة فى ظل تلك الظروف . وتم الاتفاق على موعد لاحق حدد له نوفمبر ١٩٥٢ وقد نقل هذا الرأى الزميل خالد محيى الدين إلى مجموعته التى وافقت عليه .

مقابلة لم تتم مع النحاس باشا

كانت الجماعة الأساسية لسلاح الفرسان موجودة ضمن قوات الطوارىء التى نزلت إلى المدينة وتجمعت فى حديقة الأزبكية وكنا نتحدث معا عما يمكن عمله فى ظل الظروف الحرجة التى تتعرض لها مصر ، واتجه الرأى إلى الاتصال بحزب الأغلبية (حزب الوفد) للوقوف على مدى استعداده للقيام بعمل ما وماهو مطلوب من الجيش لتأييد هذا العمل من أجل مصر.

وفى تلك الليلة - فى حديقة الأزبكية - قابلت زميلى اليوزباشى محمد محمد النحاس (وهو ابن شقيق النحاس باشا زعيم حزب الوفد) وقلت له : إن البلاد تحترق وإن الأمور تسير بسرعة فائقة ولاندرى إلى أين المصير فهناك « القصر » عدو الشعب وهناك الانجليز المحتلين لأرض الوطن ، وهناك حزب الأغلبية (الوفد) خارج الحكم فما رأيك أن نذهب سويا إلى عمك مصطفى النحاس نسأله عن موقفه إزاء ماهو حادث فى البلاد وماأعده فى تلك الظروف . وخرجنا معا وتوجهنا مشيا على الأقدام إلى منزل عمه النحاس باشا فى جاردن سيتى وكانت القاهرة غارقة فى الظلام بسبب حظر التجول ودخلنا إلى قصر النحاس باشا وصعد محمد النحاس إلى الدور الثانى للقاء عمه وبقيت فى حجرة الانتظار فى الدور الأول على أن ألحق بالزميل محمد النحاس حينما يستدعينى وانتظرت فترة من الوقت وجاءنى الخادم بقدح من القهوة ومرت حوالى نصف ساعة ونزل محمد النحاس من الدور الثانى واصطحبنى إلى خارج القصر وسألته عما تم مع عمه ولماذا لم يرسل إلىّ لمقابلة الرجل للتعرف على مافى فكره إزاء الأحداث الجارية فأجابنى **أن رسالة عمه إلينا نحن الضباط أن نحافظ على أمن البلاد وهذا هو كل المطلوب منا وأيقنت أن « الوفد » لم يكن قد تفاعل مع الأحداث وأنه ليس لديه الاستعداد للقيم بأى عمل حتى بتأييد من الجيش .**

وعدت إلى زملائى فى حديقة الأزبكية لأقص عليهم ماحدث وأدركنا جميعا أن الثورة إن جاءت فلن تأت إلا على يد الضباط دون انتظار لأى عونٍ من أى حزب حتى وإن كان حزب الأغلبية وعندما هدأت الأمور ، وتم رفع حظر التجول ، عادت

الوحدات إلى القشلاقات ، ونشطت مجموعة الفرسان وعقدت عدت اجتماعات لتدارس الموقف بعد حريق القاهرة . وكان خالد محيى الدين ، ضابط الاتصال بين المجموعتين ، يحضر اجتماعاتنا فى شقة الزيتون وينقل الآراء بينهما ، والتى كانت تنصب على أن الفترة القادمة ستكون فترة حاسمة وأن الضباط الأحرار فى كافة الاسلحة قد فاض بهم الكيل وأنهم فى انتظار الاشارة للقيام بالعمل الحاسم لتغيير النظام فى البلاد بقوة السلاح .

الزعماء يرفضون توزيع المنشورات

فجأة .. جاءنى خالد محيى الدين ليبلغنى أن هناك تحركات من البوليس السياسى والمخابرات لمراقبة مجموعة « الفرسان » ، وأن هذه المعلومات وثيقة للغاية ، وأنه يرى أن يتم نقل آلة الرونيو من شقتى فى الزيتون إلى مكان آخر سوف يدلنى عليه فى وقت لاحق . وأضاف بأن مجموعته فى حالة قلق شديد لأنه إذا وضع البوليس السياسى يده على أى من مجموعة « الفرسان » فإن العقد سوف ينفرط وتمتد أيدى البوليس والمخابرات إلى باقى الصفوف مما يؤدى الى انهيار الحركة بكاملها ، بل واعتقال أو إعدام الداعين والمؤيدين لها . فذهبت للقاء باقى مجموعة الفرسان (كفافى - نصير - سعد عبد الحفيظ) وسردت عليهم ماقاله لى خالد محيى الدين وقد أكد « كفافى » هذه المعلومات عن طريق أحد ضباط المخابرات المصرية كان وثيق الصلة بأخيه أحمد كفافى ، والذى أوضح له أن البوليس السياسى يلاحق مجموعة « الفرسان » نظرا لماضيها السابق واعتقال بعض أفرادها (كفافى ونصير) فيما سمى بالمؤامرة الكبرى (حادث عطا الله) . واتفقت المجموعة على أن يتم نقل آلة الرونيو إلى مكان آخر وأن نتوقف عن الاجتماع فى الفترة القادمة فى الشقة فى الزيتون حتى نختفى عن أنظار البوليس السياسى .

وعاد خالد ليبلغنى أن حسن إبراهيم (الذى أصبح عضو مجلس الثورة فيما بعد) سوف يكون فى انتظارى فى مقهى « سفير » فى مصر الجديدة فى الساعة السادسة مساء على أن يكون معى فى عربتى آلة الرونيو . وفى اليوم المحدد ذهبت

إلى مصر الجديدة ومعى آلة الرونيو فى شنطة العربة ، والتقيت بحسن ابراهيم فى مقهى « سفير » ، وركب بجانبى وكان دليلى فى الطريق الى أن وصلنا إلى إحدى العمارات فى وسط مصر الجديدة ، وأنزلنا ماكينة الرونيو . وصعدنا إلى إحدى الشقق ، وهناك قابلنا عبد الرحمن عنان الذى كان يعيش بمفرده فى تلك الشقة ، وأودعنا آلة الرونيو لديه وهممت بالانصراف ، ولكن حسن ابراهيم رجانى فى أن أشرح كيفية تشغيل الماكينة وتم ذلك إلا أنه ـ على مايبدو ـ لم يستوعب ماشرحت .

وكان قد تم إعداد منشور صغير وهو آخر منشور صدر بإسم الضباط الأحرار تحت عنوان « هدية العيد » وكان ذلك قبل عيد الأضحى عام ١٩٥٢ . ولم تمض أيام حتى اتصل بى حسن ابراهيم وقال إنه فى حاجة الىّ فذهبت إليه فى مقهى سفير واصطحبنى إلى شقة عبد الرحمن عنان حيث وجدت أوراقا متراكمة فى أنحاء الغرفة وقد لطختها أحبار الطباعة . كان واضحا أن محاولة قد تمت لتشغيل آلة الرونيو ولكنها فشلت فقمت بإعداد الآلة إعدادا سليما ، ودارت الآلة وطبعت حوالى ٥٠٠ منشور . وعدت إلى منزلى بعد منتصف الليل وتركت المنشورات فى حيازة حسن ابراهيم وعبد الرحمن عنان على أمل أن يقوما بإعداد وكتابة العناوين وإرسالها بالبريد وانتظرنا صدور هذه المنشورات فلم تظهر .

وبعد ثلاثة أيام وجدت من يدق باب حديقة منزلى بعنف وإذا به خالد محيى الدين يحمل شنطة سوداء ويدفعها أمامى قائلا : خذ .. هذه هى المنشورات التى قمت بطبعها .. إن أيا من أولاد .. !! ليس على استعداد لعمل أى شىء .. لقد اخترع كل منهم حجة وسافر إلى بلده فى أجازة العيد .. وتحدث خالد بكثير من الضيق ووجه عبارات قاسية وجارحة إلى من أصبحوا بعد بضعة شهور أعضاء مجلس الثورة . وكنت بين خيارين إما أن أرفض تسلم المنشورات بحجة قوية وهى مراقبة البوليس السياسى لنا وإما أن أقوم بالمغامرة مهما كانت النتائج فاتصلت بباقى الجماعة فحضروا إلى منزلى بالقبة وانضم إلينا شقيقاى صلاح وسعد وبدأنا فى تجهيز المنشورات لإرسالها إلى أصحابها وانتهينا منها بعد منتصف الليل وقمنا بتوزيعها على صناديق البريد فى الأزقة البعيدة عن أعين المخبرين وعدنا مع الفجر لنستقبل يوما جديدا فى ظروف عصيبة .

وسارت الأيام ثقيلة تحمل معها كل يوم جديدا عن مراقبة البوليس السياسى

لنا ، حيث كان « القصر » قد تأكد من قوة تنظيم الضباط الأحرار وأعطى أوامره إلى البوليس السياسى بالتعاون مع المخابرات الحربية للعمل على تركيز الرقابة على بعض العناصر من الضباط ، وخاصة من كان لهم تاريخ سابق مثل كفافى ونصير (حادث عطا الله) . أكد ذلك الزميل مصطفى نصير ، بأن أخبرنا أن والده اللواء عبد المجيد نصير الذى كان يعمل مفتشا عاما لبوليس وجه بحرى وتربطه علاقة صداقة طيبة مع اللواء عبد المنصف محمود وكيل وزارة الداخلية ، طلب منه أن يذهب معه إلى وزارة الداخلية لمقابلة اللواء عبد المنصف محمود لأنه يود أن يراه . وفعلا ذهب مصطفى مع والده ، وأخفى اللواء عبد المنصف الغرض من المقابلة وجعلها مقابلة اجتماعية . ولكنه أدار الحديث بطريقة هادئة ، وقال لمصطفى : « إن نشاطك معروف ، ويحتمل القبض عليك فى أى لحظة والأفضل أن تبتعد عن أى نشاط فى هذه الفترة » . وفى اجتماع للمجموعة الرئيسية « للفرسان » حضر خالد محيى الدين ليبلغنا بأن مجموعته (مجموعة خالد وجمال عبد الناصر) قد وصلت اليها أخبار تؤكد أن البوليس السياسى والمخابرات يسعى كل منهما لمراقبة عدد من ذوى النشاط السياسى بين الضباط وذلك للوصول إلى رئاسة التنظيم أو بعض خلاياه . وأفاد « خالد » أن كفافى ونصير من أوائل المراقبين من هذه الجهات نظرا لتاريخهما السابق (حادث عطا الله) ، ولذلك يجب إيقاف أى نشاط لهما . ثم جاء محمد عبد الرحمن نصير (أحد أقرباء مصطفى وهو من الضباط الأحرار) ، ليؤكد لنا ماسبق أن قاله خالد ثم أخطرنى خالد أن الدائرة بدأت تضيق حول المجموعة الرئيسية للفرسان ، وقال لى : « ياجمال إن أسماءكم أصبحت تكاد تكون معروفة لدى البوليس السياسى . لذلك أرجوك أن تبتعدوا تماما عن أى اجتماعات وألا تقوموا بأى نشاطات هذه الأيام ، وياحبذا لو تركتم القاهرة وذهبتم بعيدا عنها » ، ورجانى خالد أن أبلغ هذا إلى الزملاء كفافى ونصير وسعد عبد الحفيظ ، وقال : « إن الوصول إلى أحدكم سوف يجر الخيط إلى نهايته ، ويقضى على الحركة بكاملها » . وقد اتصلت بأعضاء مجموعة الفرسان واقترحت عليهم أن نسافر جميعا خارج القاهرة كل فى اتجاه . وحصلنا على أجازات وسافر كل منا إلى جهة خارج القاهرة . وقامت الثورة بعد عدة أيام .

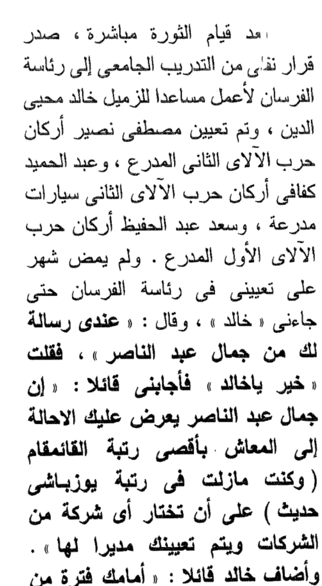
وما أن قامت الثورة فى ٢٣ يولية حتى عدنا إلى التكنات فى سلاح الفرسان حيث تسلمت عملى مساعدا للزميل خالد محيى الدين فى رئاسة الفرسان وتسلم

الزملاء كفافى ونصير وسعد مراكزهم الجديدة فى آلاى الدبابات وآلاى السيارات .
وبعد قيام الثورة بعدة أيام سأل أحد الضباط المقربين من عبد الناصر : لماذا تترك جمال منصور فى هذا الموقع بعد ماقام به من جهد كبير فى سبيل انجاح الحركة ؟ فرد عبد الناصر قائلا : « قولوا له أن يأتى بمكتبه ويضعه هنا أمامى .. » . ودارت الأيام مع الأحداث الأولى للثورة وبقيت فى موقعى بجانب زملائى فى السلاح نعمل معا من أجل تأمين الثورة .

وقد تبين بعد قيام الثورة ، أن معلومات خالد محيى الدين كانت سليمة ، إذ كان هناك كشف بأسماء ١٣ ضابط جيش من الضباط الأحرار مطلوب اعتقالهم . وقد وجد هذا الكشف اليوزباشى محمد عبد العزيز صادق (مدير عام مجلة أكتوبر حاليا) عندما ذهب مندوبا عن القيادة الجديدة فى وزارة الداخلية فى درج مكتب اللواء محمد إبراهيم إمام ، رئيس البوليس السياسى . وحسب رواية عبد العزيز صادق كان هذا الكشف يحتوى فى مقدمته على أسماء مجموعة الفرسان : كفافى - نصير - جمال منصور - سعد عبد الحفيظ ، ثم تسعة أسماء أخرى من بينهم اسم جمال عبد الناصر وقد قام عبد العزيز صادق بتسليم هذا الكشف الى جمال عبد الناصر فيما بعد . ويتضح أن أخبار هذا الكشف قد وصلت إلى مجموعة (خالد وعبد الناصر) مما أدى إلى الاسراع بالحركة وتقديم موعدها فقامت فى يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ بدلا من نوفمبر ١٩٥٢ . وتصورت ماذا كان يمكن أن يحدث لو تأخرت الثورة بضعة أيام وتمكنت السلطات من القبض على الضباط الوارد اسماؤهم فى القائمة . إن القبض على تلك المجموعة كان يعنى عدم قيام الثورة أو تأخير قيامها سنين طويلة إلى أن تأتى موجة أخرى من الأحرار تدفع أمامها كل تيار حتى يتحقق لها النجاح على طريق الحرية . أما الضباط الثلاثة عشرالذين وردت أسماؤهم على القائمة ، فلم يكن أمامهم سوى أحد مصيرين : إما الإعدام رمياً بالرصاص ، أو قضاء سنوات طويلة سوداء بين الأغلال وراء القضبان . وأذكر هنا أنه بعد قيام الثورة بعدة أيام ، اتصل بىَ اليوزباشى محمد عبد العزيز صادق وقال لى : « لقد كان لك فى نفسى تقدير كبير ولكن عندما عثرت على الكشف الذى كان موجودا فى درج مكتب اللواء محمد إبراهيم إمام ووجدت اسمك بين مقدمة الضباط الأحرار المطلوب القبض عليهم فإن تقديرى لك زاد كثيرا » .



» المؤلف « فى سلاح الفرسان عام ١٩٥٢ .



تسلسل الأحداث بعد الثورة

بعد قيام الثورة مباشرة ، صدر قرار نقلى من التدريب الجامعى إلى رئاسة الفرسان لأعمل مساعدا للزميل خالد محيى الدين ، وتم تعيين مصطفى نصير أركان حرب الآلاى الثانى المدرع ، وعبد الحميد كفافى أركان حرب الآلاى الثانى سيارات مدرعة ، وسعد عبد الحفيظ أركان حرب الآلاى الأول المدرع . ولم يمض شهر على تعيينى فى رئاسة الفرسان حتى جاءنى « خالد » ، وقال : « **عندى رسالة لك من جمال عبد الناصر** » ، **فقلت** « **خير ياخالد** » **فأجابنى قائلا** : « **إن جمال عبد الناصر يعرض عليك الاحالة إلى المعاش بأقصى رتبة القائمقام (وكنت مازلت فى رتبة يوزباشى حديث) على أن تختار أى شركة من الشركات ويتم تعيينك مديرا لها** » . **وأضاف خالد قائلا** : « **أمامك فترة من الوقت للتفكير فى الموضوع** » . **فقلت لخالد** : « **إن الأمر لايدعو إلى التفكير ، إننى أجيبك الآن راجيا أن تبلغ عبد الناصر وافر شكرى وامتنانى على اهتمامه بمستقبلى إلا أننى حينما أفكر فى ترك الجيش فسوف أتركه برغبتى أنا** » .

ولم أبلغ أحدا من زملائى فى السلاح برسالة عبد الناصر ، ومادار بينى وبين خالد بشأنها ، وكتمت الأمر فى نفسى وعدت إلى منزلى بعد الانتهاء من عملى ، ومازالت رسالة عبد الناصر تلح على ذهنى محاولا أن استجلى ماوراءها ولم استغرق

من الوقت طويلا حتى اتضحت الرؤية أمامى وأدركت أن تلك الرسالة تحمل معها أغراضا كثيرة ، منها :

أنها خطوة تنزعنى من بين زملائى أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان ، وتعمل على إضعاف الروابط بيننا وتفتيت تماسك تلك المجموعة التى قامت بدورها فى الثورة والتى كان يساندها كل الضباط الأحرار فى سلاح الفرسان . وأنها تظهرنى أمام باقى الضباط باننى قد قبضت ثمن ما أديته من دور فى الثورة ، وبذلك تهتز الصورة فى نظر الزملاء ، وأنها تفتح الطريق ـ لمن يوافق ـ من الضباط الأحرار على تقاضى المكافأة على دوره فى الثورة ، وهكذا تنتهى صفحة « الأحرار » فى سجل الثورة ، وتضع القيادة الجديدة حدا لدورهم ، وتبدأ فى تطبيق القول المأثور : « الثورة تأكل أبناءها » .

ولعل ماحدث كان بمثابة إنذار مبكر ، وضوءا أنار طريق التعامل الحريص مع « القيادة الجديدة » ، وإشارة واضحة بأن هذه القيادة ليست على استعداد للتعاون مع أى من « الأحرار » الذين كان لهم دور فى التمهيد للثورة ونجاحها .

١٣ فاروقا بدلا من فاروق واحد

فى أحد اجتماعات « الضباط الأحرار » فى مكتبى برئاسة سلاح الفرسان تحدث « الأحرار » عن الوضع فى البلاد معبرين عن ضرورة إقامة حياة ديمقراطية سليمة تنفيذا لأحد المبادىء الستة التى جاءت للضباط الأحرار . وقال بعض الزملاء إنه إذا كانت الحياة الديمقراطية قبل الثورة قد لوثتها الأحزاب السياسية ودفعتها إلى مايخدم أغراضها فقط ، فإن هذا لايعنى أن نسدل الستار على الديمقراطية أو ينتابنا اليأس من عودة هذه الحياة إلى مصر ، وإنه لمن الواجب أن تسعى الثورة بكل قدراتها فى سبيل تأكيد الديمقراطية فى البلاد بعد تطهير الأحزاب من العناصر التى أساءت إلى الديمقراطية والحياة السياسية فى البلاد . ثم جاء دورى فى الحديث فقلت : « **لقد قامت الثورة من أجل الشعب ومن أجل إرساء القواعد لديمقراطية سليمة إعمالاً**

لأحد مبادئها الستة . ونحن نرفض أى نظام سوى النظام الديمقراطى ، وإننا لم نخلع « فاروق » لكى نأتى فى مكانه بـ « ١٣ فاروق » (وكان عدد أعضاء مجلس الثورة ١٣ عضوا فى ذاك الحين) » . وقرب إنتهاء الاجتماع فى المساء ، خرج أحد الضباط متوجها إلى مجلس قيادة الثورة (وكان على بعد خطوات من سلاح الفرسان) وطلب مقابلة عاجلة مع البكباشى جمال عبد الناصر لأمر هام جدا ، وبعد مشاورات مع الضابط النوبتجى المسئول فى القيادة ، سمح لضابط سلاح الفرسان بالدخول لمقابلة جمال عبد الناصر ، وقص عليه تفاصيل ماحدث فى الاجتماع (وقد علمنا فيما بعد أن ضابط سلاح الفرسان الذى نقل ماحدث ليلة الاجتماع هو الصاغ صلاح عيداروس) .

ودعا جمال عبد الناصر إلى اجتماع عاجل لمجلس الثورة فى نفس الليلة وتحدث عما أبلغه به الصاغ عيداروس . **وقال عبد الناصر لأعضاء المجلس : « لقد سبق أن حذرتكم من « الصف الثانى » وضرورة التخلص منه ، لأن أى عمل مضاد للثورة لن يأت إلا على يد هذه الجماعة وها أنا أحذركم مرة أخرى من هؤلاء الضباط ، وإلا كانت العواقب وخيمة .. فلا أريد أن تهتز الكراسى من تحتكم »** .

وبعد مناقشات انتهت مع حلول الفجر اتخذ مجلس الثورة قرار بشأن اللجنة الأساسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان . وفى اليوم التالى ذهبت إلى مكتبى فى رئاسة سلاح الفرسان ، وجاء خالد محيى الدين وقد ظهرت عليه علامات الإعياء والتعب الشديدين ، فسألته : مابالك ياخالد ؟ فأجابنى قائلا : « لقد اجتمع مجلس الثورة بالأمس لساعات طويلة انتهت مع الفجر » فقلت له : لعله يكون خيرا ، هل هناك أحداث بالبلد أدت إلى هذا الاجتماع المطول ؟ فأجابنى خالد بكل الوضوح : « **لقد اتخذ مجلس الثورة قرارا بإبعادك عن سلاح الفرسان ، وهذا كان أمرا ضروريا لأنك تتولى مركزا هاما فى السلاح ، أما عن باقى الزملاء فقد تقرر نقلهم إلى وحدات إدارية داخل السلاح ، فتم نقل عبد الحميد كفافى إلى الأساس ، ومصطفى نصير إلى مركز التدريب الفنى . وأضاف خالد أن ماحدث فى جلسة الأمس أوضح بجلاء أنه لم يعد هناك تفاهم بين القيادة وبينكم . فقلت له : إننى أنا الذى قلت إننا لم نخلع « فاروق » لكى نأتى فى مكانه بـ « ١٣ فاروق » ، وإننى إذا كنت**

قد قلت هذا الكلام ومازلت مصمما عليه استنادا إلى أحد المبادىء الستة التى وضعناها قبل الثورة وقد رأى مجلس الثورة إبعادى عن السلاح ، فلماذا ينقل باقى الزملاء؟!

وقلت لخالد : « إنكم تناقشون فى مجلسكم كل شئون البلاد ، وفى مقدمتها إقامة حياة ديمقراطية سليمة ، وكان طبيعيا أن تسمعوا صدى ذلك بين الضباط الأحرار الذين عاشوا كل فكر الثورة منذ فجر التمهيد لها ، وكان عليكم أن تتعرفوا على مايأتى بخاطر هؤلاء الضباط الذين هم الأبناء المخلصون لهذه الثورة منذ مرحلة التمهيد لها إلى أن نجحت بعد كفاح طويل على مدى السنين » . **وأضفت قائلا : إن ماقام به مجلس الثورة لاأجد له ترجمة إلا رغبة سافرة من المجلس للتخلص من كل من كان له دور أساسى فى الاعداد للثورة ، وإن « الخط الثانى » ـ كما تلقبونه ـ والذى رأى المجلس التخلص منه ، قد بدأ فعلا بإبعاد الجماعة التأسيسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان .**

وكان لهذا القرار صدى قوى داخل السلاح وبين ضباطه . **ومازلت أذكر ماقاله « كفافى » فى ذاك الوقت : « إننى أشعر بقوتى ، إن ماعلىّ إلا أن أدير المدافع فى آلاى السيارات المدرعة الذى أقوده وأقذف بقنابلها مجلس الثورة وأحطم جدرانه على رؤوس أعضائه » .**

وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٢ صدرت الأوامر إلى كل من عبد الحميد كفافى ومصطفى نصير بالتوجه إلى مكتب البكباشى حسين الشافعى مدير السلاح الذى أبلغهما أن الاتجاه فى مجلس الثورة كان هو صدور أحكام ضدهما تتراوح بين الاعدام والسجن المؤبد والفصل من الخدمة إلا أن بعض أعضاء المجلس رأوا تخفيف هذه الأحكام ، وانتهى الأمر بالإبعاد عن الوحدات القتالية ، وذلك بنقل عبد الحميد كفافى إلى أساس الفرسان ومصطفى نصير إلى مركز التدريب الفنى ، وهى وحدات « إدارية » فى السلاح . وطلب حسين الشافعى من الزميلين كفافى ونصير ألا ينقلا هذا الخبر إلى أى من الضباط فى السلاح . ولكن الزميلين رفضا وطلبا ترتيب لقاء مواجهة بينهما وبين أعضاء مجلس الثورة لمعرفة نوع الاتهام الموجه إليهما وشهود هذا الاتهام . ووعد حسين الشافعى بأن يحاول إتمام هذا اللقاء ، ولكن بشرط أن يتم تنفيذ النقل . وتم إبلاغ الضباط الأحرار فى سلاح الفرسان بخبر نقلى من السلاح

ونقل الزميلين مصطفى وكفافى إلى الوحدات الادارية ، فطلب الضباط الآحرار بالسلاح عدم تنفيذ أمر النقل ، وطالبوا حسين الشافعى بعقد اجتماع بيننا وبين أعضاء مجلس الثورة وقد وعد بذلك ولكنه لم ينفذه . فقام الضباط بتحديد موعد لاجتماعهم فى ميس الفرسان « الميس الأخضر » لمناقشة أمر النقل ، إلا أن حسين الشافعى حوّل الاجتماع إلى خارج السلاح على أن ينعقد فى منزل اليوزباشى حسن رفعت الدمنهورى ، وأرسل الشافعى رسولا من طرفه هو اليوزباشى عبد الفتاح على أحمد إلى كفافى ونصير يطلب منهما عدم حضور الاجتماع ، ولكنهما رفضا هذا الطلب وتم الاجتماع ليلا فى منزل الدمنهورى وحضره حوالى أربعين ضابطا حرا من سلاح الفرسان ، كما حضره حسين الشافعى وثروت عكاشة وخالد محيى الدين .

وقام مصطفى نصير بشرح تاريخ تنظيم « الضباط الأحرار » والذى بدأ تحت اسم « ضباط الجيش » فى عام ١٩٤٥ فى سلاح الفرسان ودور الجماعة التأسيسية للفرسان فى الاعداد للثورة حتى قيامها . وكان مصطفى نصير يتحدث بكل الصدق والأمانة ويذكر كل حدث بوقائعه ، ويتوقف عند كل حدث ليطلب تصديق ثروت عكاشة وخالد محيى الدين على مايقوله فيصدقان على ماقال .

ثم تكلم حسين الشافعى وهو فى حالة اندهاش بالغ وقال : « إننى لم أكن أعرف كل هذا التاريخ ولم أكن أعلم بما قامت به هذه المجموعة من أعمال فى سبيل إنجاح الثورة وهذا يرجع إلى أننى حديث العهد فى تنظيم الضباط الأحرار » . ولقد كان حسين الشافعى أمينا فى قوله ، إذ أن علاقته بالتنظيم بدأت قبل قيام الثورة بشهور قليلة ، ولم يكن له علاقة بتنظيم سلاح الفرسان الذى بدأ منذ عام ١٩٤٥ تحت اسم « ضباط الجيش » . **وقد سبق أن أرسلت له ثلاثة منشورات بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٤٧ ، فقام بعرضها على قائد السلاح اللواء سعد الدّين صبور الذى أمر بتحويلها إلى قسم القاهرة . ورغم أن حسين الشافعى لم يسهم فى حركة الضباط منذ البداية وفى مرحلة الإعداد للثورة ، إلا أن أحداً لايستطيع أن ينكر الدور الذى قام به ليلة ٢٣ يولية ، هذا الدور الذى جاء به إلى عضوية مجلس الثورة .**

المواجهة

أصر ضباط سلاح الفرسان على ترتيب مواجهة مع أعضاء مجلس الثورة خلال ١٥ يوما لمعرفة التهم الموجهة إلى الجماعة التأسيسية للضباط الأحرار بالسلاح الأمر الذى أدى إلى نقلهم . ولكن انقضت الفترة ولم تتم المواجهة المطلوبة ، فبدأت حالة من الغضب والفوران وقامت الآلايات بالوقوف على أهبة الاستعداد . وطلب الضباط من حسين الشافعى ضرورة حضور أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الحال ، وقام الفرسان بالتجمع بالميس الأخضر وحاول حسين الشافعى مرة ثانية إثناء كفافى ونصير عن حضور الاجتماع عن طريق رسوله اليوزباشى عبد الفتاح على أحمد ولكنهما رفضا وأصرا على حضور الاجتماع الذى جاء اليه جمال عبد الناصر وحسين الشافعى وثروت عكاشة وخالد محيى الدين .

وبدأت المناقشة ، وقام مصطفى نصير بشرح تاريخ الثورة وفترة الاعداد لها على مدى سبع سنين ودور جماعة الفرسان فى سبيل إنجاح الثورة . واستمع جمال عبد الناصر إلى ماقاله نصير ولم يوجه له أى اتهام ، ولكنه قال : « **إن مجلس قيادة الثورة أصدر قرارا بنقل مصطفى نصير وعبد الحميد كفافى إلى خارج السلاح وإنه لابد من تنفيذ هذا القرار حفاظا على هيبة مجلس الثورة » . وأقر عبد الناصر أمام الضباط المجتمعين أن هذا النقل لن يدوم طويلا بل سيكون لفترة قصيرة يعود بعدها الجميع إلى سلاح الفرسان ، فتم نقل مصطفى نصير إلى سلاح الحدود فى جنوب سيناء ، وعبد الحميد كفافى إلى الواحات البحرية على أن يعودوا فيما بعد إلى السلاح كما وعد جمال عبد الناصر .**

وكان مجلس الثورة قد أصدر قرارا بنقلى من رئاسة سلاح الفرسان إلى بوليس حربى رفح بسيناء ، وكنت بذلك أول أعضاء الجماعة التأسيسية للفرسان الذين تم نقلهم خارج السلاح ، ثم تبع ذلك نقل الزميلين كفافى ونصير إلى الحدود والواحات . وذهبت إلى حسين الشافعى مدير السلاح أسأله عن رأيه فى هذا النقل فأجاب : « ياجمال الريح جاية عاتية ولابد أن ننحنى أمامها ، وعليك أن تنصاع للأوامر وتنفذ النقل إلى رفح !! » . وحين هممت بالخروج من مكتب حسين الشافعى ، قابلت ثروت

عكاشة قائد ثان السلاح ، وكان قد علم بقرار مجلس الثورة فاصطحبنى إلى مكتبه ، وأخذ المبادأة بكل رجولة وجرأة وكتب قرارا آخر بنقلى من رئاسة سلاح الفرسان إلى التدريب الجامعى (حيث كنت أعمل قبل قيام الثورة) . وذهب ثروت عكاشة بنفسه ومعه القرار وقابل جمال عبد الناصر فى مكتبه وعرض عليه توقيع القرار فقال عبد الناصر : « **سوف أوقع هذا النقل ، لكن قل لجمال منصور أن يقفل فمه ، ولايتحدث بكلمة واحدة عن الثورة أو تاريخها .. وإلا سوف أرسل له كمال رفعت** » . **والمعروف أن كمال رفعت له بطولات فى الملاكمة .**

وكان الضباط الأحرار فى سلاح الفرسان يتوقعون من حسين الشافعى أن يساندهم ، ويدافع عنهم حينما تعرضوا للضغوط من مجلس الثورة ونقلهم إلى الواحات والصحراء دون أى اتهام ، ولكن يبدو أنه لم يكن قادرا على إسماع صوته لدى الآخرين من أعضاء المجلس .

إلغاء تنظيم الضباط الأحرار

وفى اليوم التالى بعد المواجهة ، أصدر مجلس الثورة قرارا بإلغاء تنظيم « الضباط الأحرار » باعتبار أنه قد استنفد أغراضه . وبإلغاء هذا التنظيم أحس كل منا بأنه قد انفصل عن مهامه الثورية ، وأن مستقبل الثورة أصبح بين أيدى « القيادة الجديدة » التى رفضت الاستماع حتى إلى مجرد إبداء الرأى من أى من الضباط الأحرار . ولقد كان لهذا القرار رد فعل قوى أدى إلى زيادة تجمع الضباط الأحرار فى الأسلحة ، والتكتل حول تنظيمهم ، إذ أن الأمانة التى حملناها على عاتقنا منذ مرحلة الاعداد للثورة كانت تستوجب منا مزيدا من العمل للحفاظ على الثورة ، وحمايتها من التيارات الانفرادية التى قد تعصف بكل المبادىء التى سرنا عليها سنين طويلة من أجل مصر وشعبها العظيم . وقد ظهرت علامات الخلاف بيننا وبين « القيادة الجديدة » ، ومع ذلك كنا حريصين على تحجيم هذه الخلافات وحصرها فى دائرة ضيقة حتى لاتبدو وكأنها انشقاق أو تمرد فى صفوف الثورة . وكان الأمر

لايتعدى من جانبنا أكثر من المناقشة ، وإبداء الرأى فى سبيل تحقيق الأهداف . ورغم صدور قرار حل تنظيم الضباط الأحرار ، فإن كافة الضباط فى سلاح الفرسان رفضوا هذا القرار واستمروا فى إعادة تشكيل التنظيم وفقا لما جاء فى التقرير رقم ١ الذى أرسلته جماعة الفرسان إلى القائد العام بتاريخ ١٩٥٢/٨/١٧ . وتم إبلاغ « القيادة » بهذا التشكيل الجديد للضباط الأحرار ، واستمر الضباط فى اجتماعاتهم الدورية .

وفى هذه الفترة ظهر أحد الضباط المتحمسين فى سلاح الفرسان ، وهو اليوزباشى حسن رفعت الدمنهورى ، وأخذ يطوف بالأسلحة ويلتقى مع الضباط وينتقد القيادة الجديدة التى أقدمت على حل تنظيم الضباط الأحرار ودعا الضباط إلى التكتل للوقوف أمام تيار الديكتاتورية الذى تسير فيه هذه القيادة . فتم القبض على اليوزباشى الدمنهورى ومعه مجموعة ممن يشك في ولائهم للقيادة أو ممن لهم كلمة أو رأى ، وأودع الضباط سجن الأجانب ، وكان من بينهم الزميل سعد عبد الحفيظ من الفرسان . وبذلك تمكنت « القيادة الجديدة » من التخلص من الجماعة التأسيسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان (كفافى - نصير - جمال منصور - سعد عبد الحفيظ) .

الضباط الأحرار فى سلاح المدفعية

بعد إبعاد اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان ونقلهم إلى خارج السلاح ، استمر نشاط مجموعة الضباط الأحرار فى سلاح المدفعية . وقد تصدر هذه المجموعة الزملاء : محسن عبد الخالق ، وفتح الله رفعت ، ومحمد أبو الفضل الجيزاوى ، وغيرهم . وكان الزميل محسن عبد الخالق هو الذى يقود الرأى الحر فى سلاح المدفعية ، وهو الذى ذهب إلى عبد الناصر ليطلب منه بكل إصرار تفسيرا عن أسباب إبعاد الضباط الأحرار بسلاح الفرسان . وكان محسن قادرا فى - ذاك الوقت - على أن يتحدث مع عبد الناصر بكل ثبات وإقدام باعتبار كل منهما زميلا للآخر فى حركة التحرير .

وبعد تحديد إقامة رشاد مهنا فى أكتوبر ١٩٥٢ ، بدأ ضباط المدفعية بتوجيه الانتقادات العلنية لضباط القيادة ، واتهام العديد منهم مثل عبد المنعم أمين وصلاح سالم وأنور السادات باستغلال نفوذهم لتحقيق مصالحهم الشخصية . واجتمع ضباط المدفعية وفى مقدمتهم محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت ، وقدموا اقتراحاتهم لعبد الناصر ,كمال الدين حسين بشأن عودة الحياة الديمقراطية وإجراء الانتخابات . وبعد أن انصرف ضباط المدفعية عقد مجلس الثورة اجتماعا عاجلا رفض فيه اقتراحات ضباط المدفعية ، بل تقرر القبض عليهم وتمت محاكمتهم وصدرت ضدهم أحكام تتراوح بين الإعدام والسجن المؤبد . وعلى أثر ذلك قدم عضو مجلس الثورة البكباشى يوسف صديق ، استقالته اعتراضا على القبض على ضباط المدفعية ومحاكمتهم . ورفض المجلس استقالة يوسف صديق وأجبره على الرحيل إلى سويسرا فى مارس ١٩٥٣ . كما اعترض البكباشى حسنى الدمنهورى ، الضابط باللواء الرابع على اعتقال ضباط المدفعية ، فتم القبض عليه فى منزله وحققت معه لجنة مكونة من عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وصلاح سالم واتهم بأنه يعد مؤامرة للانقضاض على مجلس القيادة والافراج عن الضباط المعتقلين . وتمت محاكمة الدمنهورى وصدر ضده حكم بالاعدام . وعندما طلب من محمد نجيب التصديق على الحكم رفض قائلا : « **لا أريد أن أمضى فى طريق مفروش بدماء الزملاء من الضباط** » .

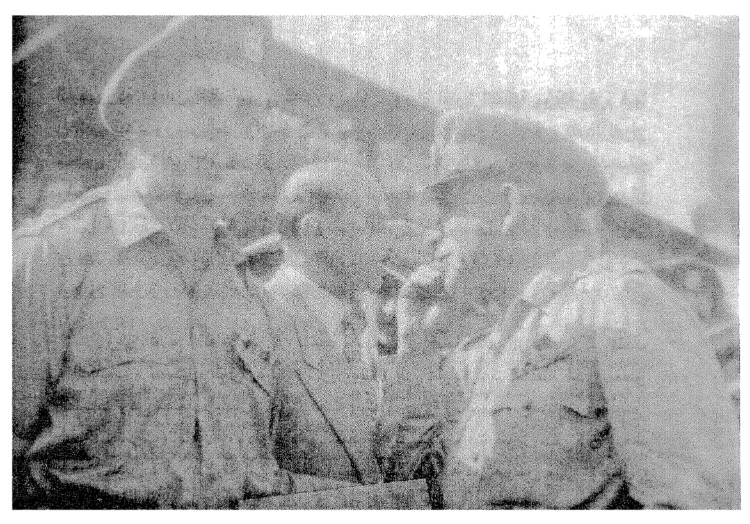
وقفة سلاح الفرسان مارس ١٩٥٤

شهدت مصر موقفا قوياً لسلاح الفرسان حينما دعا الضباط إلى اجتماع عاجل فى الميس الأخضر حضره جمال عبد الناصر . ودارت مناقشات واسعة للمطالبة بعودة الحياة النيابية فى البلاد تحقيقا للديمقراطية التى نسعى إليها ، على أن يقتصر دور « مجلس الثورة » على دفع الحياة النيابية ومساندتها ومراقبتها حتى تسير البلاد فى مجراها الطبيعى نحو الحياة الديمقراطية السليمة ... وأن يبتعد الجيش عن الحكم . وانتهى الاجتماع بالموافقة على تلك المطالب وعودة محمد نجيب لرئاسة

الجمهورية وتعيين خالد محيى الدين رئيسا للوزراء لفترة انتقالية مؤقتة يقوم فيها بإعداد البلاد ورسم الطريق أمامها نحو الحياة الديمقراطية السليمة ، تنفيذا لقرار مجلس الثورة فى ٢٧ فبراير ١٩٥٤ . وتشاور مجلس الثورة فيما بين أعضائه واستقر رأيهم على الاستقالة ، إلا أن بعض الضباط الانتهازيين الذين وثبوا إلى جوار « القيادة » منذ الأيام الأولى للثورة ، ومنهم أحمد أنور وحسين عرفة وجمال القاضى ووحيد جودة رمضان ومحسن أبو النور وحسن التهامى ، رفضوا استقالة أعضاء مجلس الثورة ومنعوهم من مغادرة المبنى وأشهروا فى وجوههم الأسلحة .

وكان قد تم الاتفاق على أن يذهب « خالد » فى اليوم التالى إلى القيادة لكى يتسلم « التكليف » بتشكيل الوزارة . وما أن وصل إلى القيادة حتى تلقفته أيدى بعض الضباط وفى مقدمتهم كمال الدين رفعت ووحيد جودة رمضان وأحمد أنور واعتدوا عليه بالضرب والاهانة ، وطردوه من القيادة . ولم يمض وقت طويل حتى كان « خالد محيى الدين » فى طريقه إلى سويسرا بحجة علاج ابنته من مرض شلل الأطفال ، ولكن واقع الأمر أن « خالد » كان فى طريقه إلى المنفى .

أما بالنسبة لمحمد نجيب ، ففى ذات اليوم طُلب من كمال رفعت أن يذهب إلى منزل محمد نجيب فى الزيتون ، وكانت لديه التعليمات بأن يصطحبه إلى ميس المدفعية فى الماظة ، ويتم التحفظ عليه هناك . ولكن عبد الحكيم عامر طلب من داود عويس أن يرافق كمال رفعت فى هذه المأمورية خوفا من أن يتصرف الأخير بطريقة هوجاء قد تؤثر على سير الأحداث بالنسبة لمحمد نجيب . وبالفعل تحركت عربة وبها كمال رفعت وداود عويس وتوجها إلى منزل محمد نجيب فى الزيتون . ودخل الضابطان إلى منزل محمد نجيب الذى قابلهما فى الصالة بالملابس المنزلية (البيجاما والروب) ، وبادره كمال رفعت بقوله إن لديه تعليمات بأن يصطحبه إلى مكان ما فى الجيش سوف يعرفه فى وقته . وطلب من محمد نجيب أن يلبس ويستعد للذهاب معه ودخل محمد نجيب إلى غرفته وغاب فترة ثم عاد وسأل كمال رفعت : هل تريدنى أن ألبس ملابس مدنية أو عسكرية ؟ فقال له : « لك أن تختار الملابس التى تراها » . ثم دخل محمد نجيب إلى غرفة نومه مرة أخرى وغاب فترة طويلة ، فقام كمال رفعت إلى وسط الصالة وصفق بيديه عاليا حتى ينبه محمد نجيب بأنه فى انتظاره . وظهرت علامات الانزعاج على وجه محمد نجيب ، وربما تبادر إلى ذهنه أنه سوف يخرج



اليوزباشى جمال منصور ، مع اللواء محمد نجيب فى أغسطس ١٩٥٢

من منزله ولن يعود وأن هناك مؤامرة لاغتياله والتخلص منه . وكان محمد نجيب مترددا ومتباطئا فى إعداد نفسه للذهاب مع الضابطين ، وذلك لكسب الوقت إذ أنه كان يتوقع أن يتحرك سلاح الفرسان الذى أعطى مهلة إلى « قيادة الثورة » حتى الساعة السابعة مساء لتنفيذ مطالبه .

وكان ضباط سلاح الفرسان قد أعدوا خطة للهجوم على مجلس قيادة الثورة حاملين شعار « الديمقراطية » ، لكن تم اعتقالهم قبل ساعة الصفر بعد أن وشى بهم أحد الضباط من البوليس الحربى ، وهو اليوزباشى فؤاد الشاهد . وتم اعتقال أكثر من ٢٥ ضابطا من سلاح الفرسان ، فى مقدمتهم أحمد المصرى وأحمد حموده ، وقدموا للمحكمة التى أشرف عليها زكريا محيى الدين ، وصدر الحكم على أحمد المصرى بالسجن ١٥ سنة فيما سمى بـ « قضية أحمد المصرى وزملائه » .

الضباط الأحرار .. والديمقراطية

منذ الأيام الأولى للثورة ـ ظهر الخلاف بين «القيادة الجديدة» ومجموعات الضباط الأحرار واتخذت القيادة قرارها فى أحد أوليات اجتماعاتها بتصفية هذه المجموعات بعد أن أطلقت عليها اسم « الصف الثانى » ، وكانت هناك رغبة جامحة ، بل إصرار قاطع لدى القيادة الجديدة على طمس المعالم التى وضعها الضباط الثوار الأحرار ، ومحو كل الخطى التى ساروا بها على الطريق فى فترة الإعداد للثورة والى حين وقوعها ونجاحها . . . ثم ظهر عنف الخلاف بين القيادة « والصف الثانى » . . حينما طالب الضباط الثوار الأحرار فى كل الأسلحة بعودة الحياة الديمقراطية للبلاد . . . إعمالا للمبدأ السادس من مبادىء « الضباط الأحرار ».

فقد عاش الضباط الثوار الأحرار سبع سنين منذ عام ٤٥ حتى عام ٥٢ . . يعملون من أجل التمهيد للثورة ... وانتهى أمرهم إلى أن وضعوا مبادى ستة هى حصيلة مادار فى أفكارهم لكى تكون إطارا للعمل المستقبلى ، ودستورا لما بعد الثورة .. وكان همهم الأول منذ أن نجحت ثورتهم أن يطبقوا تلك المبادىء التى رفعوها على أعلامهم ، وحملوا المشاعل من أجلها ... ولكن الأمر لم يكن هيّنا .. فكانت المطالبة بالديمقراطية .. هى الصخرة الصلبة التى تحطمت عليها كل الأمواج القادمة مع تيار الفكر الحر للضباط الثوار الأحرار من « الصف الثانى » ...

فبعد شهرين من قيام الثورة ـ طالبت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان .. طالبت بالديمقراطية وقالت بأعلى صوتها« إننا لم نخلع فاروق حتى نأتى بـ ١٣ فاروقا ... »فكان نصيبهم الإبعاد والتشتيت (جمال منصور وزملاؤه) .

ـ ثم عاود الضباط الأحرار فى سلاح المدفعية المطالبة بالديمقراطية وإجراء الانتخابات وقدموا مقترحاتهم فى هذا الشأن إلى جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين .. فأمر مجلس الثورة بالقبض عليهم ومحاكمتهم وإرسالهم إلى سجن الأجانب (محسن عبد الخالق وزملاؤه)

ثم أصر الضباط الأحرار فى سلاح الفرسان .. مرة ثانية .. على عودة الحياة الديمقراطية .. فوضعوا فى السجون بعد اعتقالهم ومحاكمتهم (أحمد المصرى وزملاؤه)

وحتى خالد محيى الدين .. عضو مجلس قيادة الثورة .. الذى كان مؤمنا بالديمقراطية .. والذى اختارته « القيادة » لتشكيل الوزارة الجديدة لإعداد البلاد نحو الديمقراطية السليمة تنفيذا لقرار مجلس الثورة فى ٢٧ فبراير ١٩٥٤ ـ أقول عندما ذهب خالد ليتسلم « التكليف » برئاسة الوزارة .. كان نصيبه الإهانة والطرد من مجلس الثورة بل والنفى إلى خارج البلاد ...

زكريا محيى الدين يصر على استبعاد خالد محيى الدين

وبعد عدة شهور جاءنى « خالد » من منفاه فى سويسرا لزيارتى فى مرسيليا وكنت قنصلا بها منذ أكتوبر ١٩٥٤ ، وتحدث معى بكل الحزن والأسف عما قام به مجلس الثورة ضده من إجراء ونفيه إلى سويسرا ، بسبب تأييده للديمقراطية . ثم قال فى أسى : « **تصور أن ابن عمى زكريا محيى الدين ـ كان مديرا للمخابرات فى ذاك الوقت ـ رفض أن أعود إلى مصر ، وأصر على أن أبقى منفيا فى سويسرا وقدم رأيه إلى « مجلس الثورة » الذى يقول « لو رجع خالد لمصر ، دبّان البلد حيتلّم عليه !!** » .

ويمر أكثر من ثلاثين عاما على الثورة وألتقى بأحد الزملاء من كبار ضباط الجيش الذى تولى رئاسة المخابرات العامة فى السنوات الأخيرة . وعادت ذكرياتنا إلى الماضى وماحدث فيه ، فقال لى إنه عندما تسلم منصب مدير المخابرات العامة بدأ فى إلقاء نظرة على ملفات « الجهاز » . وحينما كان يقلب فى أحد الملفات ، وقع نظره على تقرير مرفوع من المخابرات العامة إلى رئاسة مجلس الثورة ، يقول التقرير مايلى : فى أحد اجتماعات الضباط الأحرار فى سلاح الفرسان وقف أحد الضباط من صغار الرتب وقال : « إن إقامة ديمقراطية سليمة هى أحد المبادىء الستة التى وضعها الضباط الأحرار ، وإنه من الواجب السير قدما لتطبيق هذا المبدأ » . ثم قال : « إننا لم نخلع فاروق لكى نأتى بـ ١٣ فاروق » .

ويقول مدير المخابرات العامة السابق والذى كان يعمل « محافظا » لإحدى المحافظات قبل تعيينه فى ذلك المنصب ، إن هذا التقرير قد تم رفعه فى حينه إلى مجلس الثورة ثم أعيد إلى المخابرات العامة وعليه التأشيرة التالية : « **إن أى عمل مضاد للثورة لن يأت إلا على أيدى ضباط « الصف الثانى » ، إذ أن هؤلاء الضباط هم الذين أعدوا لثورة ٢٣ يولية وقاموا بالتمهيد لها وشاركوا فيها ، وإن قدرتهم على القيام بهذه الثورة تمكنهم من القيام بثورة أخرى ، وعلى ذلك لابد من التخلص من الصف الثانى وتصفيته نهائيا حتى نضمن استمرار الثورة ونجاحها على الطريق الذى رسمته** » .

الحرس الحديدى وأنور السادات

كانت قد تجمعت لدى القصر بعض المعلومات عن وجود حركات ثورية داخل الجيش ، فقام الملك بتكليف د . يوسف رشاد طبيبه الخاص ، بالتعاون مع بعض العناصر من ضباط الجيش بتشكيل تنظيم عسكرى أطلق عليه « الحرس الحديدى » وذلك للعمل ضد كل من يشتبه فى ولائه للملك وتصفية أعداء النظام الملكى . وبذلك أصبح القصر وهو أعلى مستوى فى الدولة يرد على الإرهاب الفردى بالإرهاب الرسمى تماما كما يحدث فى بعض بلاد أمريكا اللاتينية . وقبل شهور قليلة من قيام الثورة جاءنى اليوزباشى سيد جاد عبد الله سالم أثناء عملي في التدريب الجامعى بجامعة فؤاد الأول وقال لى : « تعلم أننى عضو فى الحرس الحديدى ، كما أننى أعلم كثيرا عن حركة « الضباط الأحرار » وقد سُئلت عن نشاط هذه الحركة ولكنى تجاهلت أى معرفة عنها . وإنى قادم إليك اليوم لكى أنقل إليك خبرا هاما للغاية ، فقد صدرت تعليمات من « القصر » إلى البوليس السياسى لمراقبة ضباط الجيش من ذوى الميول اليسارية والمتصلين بالاخوان المسلمين أيضا ، وأخشى أن تؤدى هذه المراقبة ـ ولو بنوع الخطأ ـ إلى أن يضع البوليس السياسى يده على بعض أعضاء الضباط الأحرار ، وتتعرض الحركة إلى نكسة خطيرة بل إلى انهيارها تماما . وإنى إذ أنقل لك هذا الخبر أطلب منكم « إن وقعت تشيلونى وإذا وقعتم أشيلكم » وها أنا قد بادرت

بتحذيركم من نشاط السراى ضدكم وسوف أوافيكم بأى بيانات أو معلومات تساعد الحركة على السير فى طريق مأمون » .

وبناء عليه ، دعوت الزملاء أعضاء الجماعة التأسيسية للضباط الأحرار بسلاح الفرسان ، إلى اجتماع عاجل فى شقة الزيتون ، وأبلغتهم بما سمعته من اليوزباشى سيد جاد . وتم الاتفاق فيما بيننا أن نتوقف عن الاجتماعات بعض الوقت وأن نتوخى الحذر الكبير فى الاتصال بالضباط ذوى الميول اليسارية ، أو ممن كان لهم علاقة ما بالاخوان المسلمين . واتفقت مع الزملاء على أن أذهب إلى جمال عبد الناصر لكى أخبره بما قاله لى اليوزباشى سيد جاد . وانفض الاجتماع وذهبت فى نفس الليلة إلى جمال عبد الناصر فى منزله بكوبرى القبة وأبلغته بما حدث ، فقام فى اليوم التالى بإبلاغ أعضاء خليته وطلب منهم التزام الحذر والامتناع عن الاجتماعات فى الفترة القادمة .

ومرت بضعة أيام وجائنى سيد جاد وهو فى حالة من الذعر الشديد ، وسألنى عن كيفية تسرب هذا النبأ وكيف عاد ثانية إلى القصر . وأضاف أن د . يوسف رشاد طبيب خاص الملك ورئيس الحرس الحديدى استدعى على عجل أعضاء الحرس الحديدى ، وتحدث معهم وهو فى حالة من الغضب الشديد بسبب تسرب النبأ إلى الضباط ، وقام بتأنيب الأعضاء لعدم قدرتهم على الحفاظ على مثل هذه الأسرار . واتضح - مع الوقت - أن عضوا بارزا فى الحرس الحديدى علم بتسرب النبأ إلى الضباط فقام بإبلاغ ذلك الى د . يوسف رشاد ، فقد كانت علاقته به قوية جدا إذ كان أول من تلقاه بعد خروجه من السجن وأحاطه برعايته ومنحه مبلغا من المال لكى يرتب أموره وأحواله العائلية بعد فترة السجن والحرمان .

وتمر الأيام بسرعة ثم يقع الحدث الكبير وتقوم الثورة . وفى أول اجتماعات مجلس قيادة الثورة والذى كان ينظر فى مواقف بعض الضباط قبل الثورة ، أصدر المجلس قرارا بإبعاد اليوزباشى سيد جاد عبد الله سالم عن الجيش . وبمجرد أن علمت بهذا القرار ذهبت للقاء عبد الناصر وسألته عن دواعى خروج سيد جاد من الجيش ، وأضفت بأن سيد جاد هو الذى أبلغنا برقابة القصر ومتابعة العناصر الشيوعية فى الجيش أو المتصلين بالاخوان المسلمين . وذكرته بلقائى به قبل الثورة فى منزله بكوبرى القبة لأبلغه بما أخبرنى به سيد جاد عضو الحرس الحديدى .

فأجابنى عبد الناصر : « أنا كنت فاكر إنك بذكائك قد تمكنت مَن الحصول على هذه المعلومات من السيد جاد » . فقلت : إن علينا جميعا التزاما أدبيا نحو سيد جاد الذى نبهنا إلى مراقبة « القصر » لنا ولولا هذا التنبيه لكانت الحركة قد تعرضت إلى أخطار بالغة وأضفت بأن هناك ضباطا آخرين من أعضاء الحرس الحديدى وصلوا إلى أرفع المناصب فى الدولة ومن بينهم على سبيل المثال الصاغ خالد فوزى . فرد عبد الناصر قائلا : إن كمال الدين حسين قد أخذ خالد فوزى على عاتقه وأصبح مسئولا عنه ، فقلت : وأنا أستطيع أن آخذ سيد جاد على عاتقى وأصبح مسئولا عنه كذلك ، فرد عبد الناصر قائلا : « **إذا لم أفصل سيد جاد من الجيش ، فان الجيش سيثور ضدى ، وعلى أى حال فسوف أنظر فى أمر تعيينه فى جهة أخرى خارج الجيش** » .

وذهبت فى اليوم التالى للقاء سيد جاد وكان يسكن فى عوامة قديمة بها بعض الأثاث المتهالك ـ وكانت راسية على النيل فى منطقة العجوزة . وما أن جلست حتى سألنى سيد جاد : تفتكر مين أقوى رجل فى مصر دلوقت .. ؟ فقلت له : يتردد اسم محمد نجيب ولكنى اعتقد أن جمال عبد الناصر هو الأقوى ، ولايمكن أن اعتبره الرجل الثانى كما يقال عنه الآن . فرد سيد جاد قائلا : انت غلطان لامحمد نجيب ولاجمال عبد الناصر إن أقوى رجل الآن فى مصر هو حسين الشافعى .. هو اللىّ جنب الجنازير .. هو اللى جنب الدبابات .. هوّ اللى يقدر يرفع الثورة لفوق ؛ وهو اللى يقدر يمرغ بوزها فى التراب . ثم قال ضاحكاً : « فيه صينية كنافة قدام سلاح الفرسان فى الناحية الثانية من الشارع (يقصد مجلس الثورة) وكل واحد جرى عشان ياخذ حتة . حتى الضباط اللى كانوا معايا فى الحرس الحديدى كل واحد منهم جرى على هناك وأخذ حتة من الصينية .. » .

ولم أعلق على كلام سيد جاد ، ولكنى أبلغته نتيجة مقابلتى مع عبد الناصر وقرار مجلس الثورة بإبعاده عن الجيش . فرد سيد قائلا : « **هذا جزاء سنمار ، ولكنى أود أن أذكرك بقصة الثور الأسود والثور الأبيض ، وأعلم أنه إذا كان هذا مصيرى اليوم فإن الغد القريب سيأتى لك بمصير مماثل .. !!** » .

وبدأ سيد فى الحديث وقلبه ملىء بالمرارة وقال : إننى أتعجب كثيرا لموقف « مجلس الثورة » منى ، برغم ماقمت به من خدمة جليلة للثورة قبل حدوثها ، فقد حذرت « الضباط الأحرار » من نوايا القصر وكان هذا على يديكَ . وقد كان من

الممكن ألا أعرفك بنشاط القصر ضد الحركة وإصدار تعليماته بمراقبتهم ، الأمر الذى كان يؤدى بكل تأكيد إلى الوصول إلى طرف الخيط ثم القبض على « الضباط الأحرار » والقضاء على الثورة قبل حدوثها . وقد قلت لك إننى حينما أنقل لك هذا الخبر الهام فإنى سأظل فى جانبكم وأعرفكم مقدما بأى خطوات يتخذها « القصر » ضد الحركة ، على أن تقفوا بجانبى إذا أصابنى مكروه على يد السراى إذا علم بدورى نحوكم . ولكن يبدو أننى قد أخطأت الطريق فقد جاءنى هذا المكروه على ايدى رجال الثورة أنفسهم .

ثم استطرد قائلا : « إذا كان النظام الجديد قد رأى إبعادى عن الجيش بسبب عضويتى فى تنظيم الحرس الحديدى ، فإنى أقول إننى لم أكن وحدى فى هذا التنظيم بل كان هناك آخرون ، ومنهم من وصل إلى أعلى مناصب الدولة بعد قيام الثورة . والواقع أننى الوحيد بين أعضاء الحرس الحديدى الذى أصابه هذا الضرر ، وبدلا من أن يعاملنى مجلس الثورة معاملة مماثلة لباقى أعضاء الحرس الحديدى ، أو يتركنى لحالى فى الجيش ، أجد نفسى وحيدا - دون الآخرين - مطرودا من القوات المسلحة ».

وأضاف سيد قائلا : « **إننى لو استعرضت أعضاء الحرس الحديدى لوجدت أن من بينهم أنور السادات الذى تلقاه د . يوسف رشاد طبيب خاص الملك ورئيس الحرس الحديدى بعد خروجه من السجن وبراءته من قضية أمين عثمان ، وأحاطه برعايته وأعطاه مبلغ ألف جنيه حتى يساعده على تدبير أموره وأحوال عائلته التى كانت تعانى من الضيق المالى ، وأصبح السادات عضوا فى الحرس الحديدى له نفس مميزات باقى الأعضاء (مرتب ٨٠ ج . م شهريا وعربة صغيرة)** » . **ثم يضيف « سيد جاد » قائلا : « وأنظر إلى السادات ، زميلى القديم فى الحرس الحديدى ، أنظر إليه بعد قيام الثورة فأجده قد تربع فى كرسى مجلس الثورة .. أعلى سلطة فى البلاد . ثم حسن التهامى ، الذى كان عضوا جريئا فى الحرس الحديدى وقام بإطلاق الرصاص من مدفع رشاش على « رفيق الطرزى » فى مصر الجديدة من عربة كانت تضم بعض أعضاء الحرس الحديدى ، وذلك تنفيذا لتعليمات السراى بسبب منافسة الطرزى للملك فاروق على إحدى الراقصات واتساءل أين حسن التهامى الآن ؟ فأجده فى مكاتب الرئاسة بجانب المسئولين**

فى مجلس الثورة له كلمة وله شأن ـ ومن يدرى ربما يتم تعيينه قريبا وزيرا أو سفيرا . أما عبد الرؤف نور الدين ، فقد أراد له الله أن يستشهد فى حرب فلسطين حتى لايرى نصيبه مع القادمين الجدد ، فى حين أن مصطفى كمال صدقى أصابته لوثة وأدخل إلى إصلاحية الرجال إلى أن توفى . أما عبد الله صادق ضابط مطافىء الحرس ، فقد قدم استقالته منذ اليوم الأول للثورة . وبالنسبة للضابطين حسن فهمى عبد المجيد وخالد فوزى فقد اشتركا فى معظم العمليات التى أمر بها القصر وبالذات الاعتداء بالقنابل والرشاشات على منزل النحاس باشا فى جاردن سيتى ، تنفيذا لتعليمات الملك لتصفية أعدائه ، ومع هذا فقد حظيا برعاية أعضاء مجلس الثورة ووجدا من يدافع عنهما ، بل ويدفع بهما نحو المناصب الرفيعة فى الدولة » .

ثم يضيف سيد جاد فيقول : « لقد اشتركنا جميعاً فيما كلفنا به د . يوسف رشاد بناء على تعليمات الملك ، حتى الحياة الخاصة للعائلة المالكة ـ ومنها مراقبة الملكة فريدة ومأأشيع حول علاقتها بالسيد وحيد يسرى » . واختتم سيد جاد حديثه معى قائلا : « لقد حدث لى ماحدث ، ولكن تذكر دائما قصة الثور الأسود والثور الأبيض » . وتركت « العوامة » بعد منتصف الليل وفى نفسى غصة كبيرة .

وفى أغسطس ١٩٥٢ ، حضر خالد إلى مكتبى فى رئاسة الفرسان ، وقال لى : « إنى أود أن أتحدث معك على انفراد » . وأضاف : « لقد كثر الكلام واللغط عن أنور السادات ، ومدى علاقته بالدكتور يوسف رشاد طبيب خاص الملك . وانتمائه إلى الحرس الحديدى قبل الثورة » . وسألنى خالد عما إذا كان لدّى معلومات عن حقيقة انتماء أنور السادات إلى الحرس الحديدى . فقلت لخالد : إن لدى معلومات أكيدة فى هذا الشأن ، وقد جاءت على لسان أحد أعضاء الحرس الحديدى الذى عاش مع أنور السادات فترة انتمائه إلى هذا التنظيم . وأضفت قائلا : ولكنى أود أن تبقى هذه المعلومات بيننا وألا تبوح بها لأحد وأن تقسم قسما عظيما على ذلك . وأقسم خالد ، وبدأت فى سرد قصة الحرس الحديدى كما رواها سيد جاد ، وعلاقة السادات بالدكتور يوسف رشاد منذ أن خرج من السجن بعد براءته فى قضية أمين عثمان وضمه إلى الحرس الحديدى .

واستمع خالد إلى كل ماقلت دون أى تعليق . ومرت ثلاثة أيام ، وإذ بجمال عبد الناصر يطلب حضورى للالتقاء به فى مجلس الثورة . وفى الشرفة المطلة على

حديقة المجلس ، بدأ عبد الناصر فى الحديث عن آماله العريضة للنهوض بالبلاد رغم الصعوبات التى تلاقيها الثورة . وفجأة شعرت بيد تربت على كتفى والتفت لأجد خالد محيى الدين وقد جاء من الغرفة المجاورة ، وطلب منى أن أعيد أمام جمال عبد الناصر ماقلته له منذ ثلاثة أيام عن السادات . فحزنت فى نفسى ، ولم أكن أتمنى أن أقف هذا الموقف وكنت أود أن تبقى تلك المعلومات حبيسة بينى وبين خالد ، فقلت لخالد إننا اتفقنا على ألا تبوح بتلك الأسرار وأنك أقسمت على ذلك . وهنا تدخل عبد الناصر وقال لى : « إننى لابد أن أعرف كل صغيرة وكبيرة عن كل من يتعاون معى فى مجلس الثورة وإذا غابت عنى هذه المعلومات فمن إذن يحق له معرفتها ؟» وقال فى حزم : « مهما طالت هذه الجلسة فإنك لن تترك هذا المكان إلا بعد أن أعرف علاقة السادات بالحرس الحديدى » . فبدأت فى سرد القصة كما رواها لى اليوزباشى سيد جاد وما أن انتهيت منها حتى قال عبد الناصر : « **كنا نعلم بعض هذه المعلومات عن السادات وكنا لانريد أن نصدق أنفسنا وكان الشك ينتابنا أحيانا ، أما وقد عرفنا كل هذه التفاصيل فلم يعد هناك مجال للشك فى أن أنور السادات كان له علاقة وطيدة مع د . يوسف رشاد ، وأنه كان عضوا بارزا فى الحرس الحديدى** » . **ثم أضاف عبد الناصر وهو فى غاية الضيق والانفعال** : « **أنا مش عارف ابن !!! ده لونه إيه ولاشكله إيه أنا مش عارف له ميه لكن أنا حعرف إزاى أكشفه** » . وفى لقاء له مع السادات فى أحد اجتماعات مجلس الثورة جابهه عبد الناصر بما لديه من معلومات وكشف عن حقيقة انتمائه للحرس الحديدى ، وبذلك طواه تحت جناحه على مدى عمره ، فلم يكن يعترض أو يخالف جمال عبد الناصر فى أى أمر من الأمور ، وكان يُظهر أنه اشتراكى أكثر من الآخرين فضمن بذلك البقاء إلى جوار عبد الناصر حتى النهاية .

وكان قد تم تعيين « أنور السادات » رئيسا لمجلس إدارة جريدة الجمهورية . وفى لقاء بين جمال عبد الناصر وثروت عكاشة ، قال الأخير : إن جريدة الجمهورية التى خلقتها الثورة لكى تعبر عن آمالها العريضة التى تريد أن تحققها من أجل الشعب ، تحتاج إلى كثير من التطوير والتحسين وتزويدها بكل البيانات عن الثورة وبرامجها المستقبلية حتى تصبح بجدارة الجريدة الناطقة فعلا باسم الثورة . ثم أضاف ثروت قائلا : إنها مناسبة طيبة أن يوجد معنا الأخ أنور السادات وهو المشرف على الجريدة لكى نتحدث فى هذا الموضوع بأمل أن تأتى الجريدة فى ثوب جديد . فأجاب

عبد الناصر موجها كلامه إلى ثروت عكاشه : « **هو أنت فاكر إن أنور هو اللى ماسك الجريدة ده أنور ده ... دا اللى ماسك الجريدة هو محسن عبد الخالق** » .
وضحك أنور السادات ، وكأن شيئا لم يحدث ، وتحمل ماسمعه دون تعليق وظل ملازما لعبد الناصر دون معارضة أو إثارة . وسار على الدرب الطويل عدة سنين إلى أن أصبح نائبا للرئيس ، ثم جاءت به الأقدار إلى قمة الرئاسة .

التعيين « ملحقا » فى وزارة الخارجية

عدت إلى التدريب الجامعى ، وكان كل همى أن أبذل جهدا فائقا على مدى الشهور المتبقية من العام الدراسى للاستعداد لامتحان البكالوريوس « قسم سياسة واقتصاد ـ جامعة فؤاد الأول » . وانتهيت من تأدية الامتحان وظهرت النتيجة وأحمد الله أنها كانت نتيجة طيبة فكنت «أول » الكلية وحصلت على مرتبة الشرف الأولى . ثم التقيت بخالد محيى الدين وقلت له إننى قد انتهيت من دراستى الجامعية ، وقد حان الوقت لكى أترك الجيش برغبتى وأن التحق بالسلك الدبلوماسى . وأضفت بأنه ربما درجتى العلمية وتقديراتى تشفع لى لتحقيق هذه الرغبة . وذهب خالد إلى جمال عبد الناصر وعبر له عن رغبتى فى الالتحاق بالخارجية فأجابه عبد الناصر : « أنا لن اتكلم فى هذا الموضوع ، ولعل الخارجية ترشحه إذا رغبت » .

وكنت قد تحدثت مع عمى الدكتور صبرى منصور الذى عمل بالخارجية لفترة طويلة ، ثم أصبح وزيرا للمالية فى مطلع الثورة . واصطحبنى عمى إلى الدكتور محمود فوزى الذى اطلع على درجتى العلمية وتقديراتى ، وقال إنه يرحب بالتحاقى للعمل بالخارجية . ودارت مكاتبات ومحادثات بين الخارجية ووزارة الدفاع وانتهى الأمر إلى تعيينى « ملحقا » بوزارة الخارجية .

مقابلة مع عبد الناصر

وبعد بضعة شهور من تعييني فى الخارجية حدد لى عبد الناصر موعدا فى الصباح فى مجلس الثورة بالجزيرة ، ودعانى على الافطار معه (شاى ، لبن ، بسكوت مارى) . وعند بداية الحديث قلت لعبد الناصر : إن إبعادى عن سلاح الفرسان ربما كان نتيجة لأحداث أسيىء فهمها من جانب القيادة مما أثر على عامل الثقة التى كانت بيننا قبل الثورة فأجابنى على الفور : « من قال لك هذا ؟ » ، ثم أردف قائلاً : « لكى أؤكد لك أن الثقة مازالت باقية فإنى أعرض عليك أن تعود إلى الجيش الآن » . فقلت له : إننى قد التحقت بالسلك الدبلوماسى كما تعلم وقد كان العمل الدبلوماسى يراودنى حتى قبل التحاقى بالكلية الحربية ، وكنت أرى مثلى الأعلى فى عمى الدكتور محمد صبرى منصور الذى كان دبلوماسيا ناجحا . ثم انتقلنا إلى الحديث عن العمل الدبلوماسى وسألنى : « ماراأيك فى أن يتم تعيينك فى العراق نظرا للظروف القائمة فى المنطقة ، وأن تكون على صلة مباشرة بى وليس لك شأن مع السفير ، أخذا بالنظام الذى تتبعه أمريكا فى تعيين أحد أفراد السفارة ليكون له الاتصال المباشر مع السلطات فى واشنطون ، أما السفير فليس إلا واجهة للسفارة » . فاعتذرت وقلت له : إننى أود أن أعمل فى جهات أخرى حتى أستطيع أن استزيد من المعرفة فى تلك البلاد مما يساعدنى على ترسيخ عملى فى الحقل الدبلوماسى .

وانتقل عبد الناصر إلى موضوع آخر يبدو أنه كان يلح عليه فقال لى : هل تعلم أن الاخوان المسلمين يجتمعون هذه الفترة لإجراء عمل مضاد للثورة وقد قسموا البلد إلى منطقتين : إحداهما يرأسها « معروف الحضرى » والثانية يرأسها « عبد المنعم عبد الرؤف » . إنهم يتصورون أننى لا أعرف شيئا عن أعمالهم السرية حالياً والتخطيط للاطاحة بالثورة ، ولكنى وأنا أحدثك الآن يتم القبض على زعماء الإخوان وفى مقدمتهم الضابطين معروف الحضرى وعبد المنعم عبد الرؤف .

ثم تحدث عبد الناصر عن سلاح المدفعية ، وقال إنه شعر بحالة من القلق وعدم الاستقرار فى سلاح المدفعية . وكان الرأسان الكبيران فى هذا السلاح هما رشاد مهنا

وعبد المنعم أمين ، وأنه لم يكن يعرف عبد المنعم أمين إلا يوم ٢٢ يولية ، أى قبل الثورة بيوم واحد ، إذ لم يكن له دور قيادى ولم يشارك فى الإعداد للثورة . وأضاف عبد الناصر أنه وجد ضرورة إبعاد هذين الرأسين عن سلاح المدفعية . وقال : « وحتى يمكن إبعاد هذين الرأسين من سلاح المدفعية بطريقة هادئة ومقبولة ، قمت بتعيين رشاد مهنا وزيرا للمواصلات تمهيدا لتعيينه وصياً على العرش مع الأمير محمد على وبهى الدين بركات (وكان منصب « الوصى » هو أرفع وأسمى مناصب الدولة فى ذاك الحين) ، ثم رشحت عبد المنعم أمين لعضوية مجلس الثورة رغم ماضيه الخالى من أى جهد فى الثورة » . ويضحك عبد الناصر قائلا : « وبذا تمكنت من التخلص من هذين الرأسين فى سلاح المدفعية على الطريقة الانجليزية « Kicking them up » » .

ولما جاء ذكر سلاح المدفعية قلت لجمال عبد الناصر : « لقد ذهبت إلى سجن الأجانب مرتين لأزور الزملاء محسن عبد الخالق وفتح الله رفعت وسعد عبد الحفيظ ومحيى الخولي ، ولم أكن أتصور فى يوم ما أن يقوم ضابط حر بمحاكمة ضابط حر آخر ، لأننا نعرف جميعا أن العلاقة بين الضباط الأحرار كانت علاقة مقدسة ، فالكل عمل تحت جناح الظلام ، وفى ظروف غاية فى الدقة والحرج ، وإن أى خطأ أو وشاية كان يمكن أن تقضى على هؤلاء الأحرار بل على الحركة نفسها » . فرد عبد الناصر قائلا : « إنهم جميعا فى السجن ، ولكنى أراعيهم كل الرعاية وأمرت بصرف مرتباتهم وإرسالها إلى عائلاتهم وتصلنى تقارير دورية عن أحوالهم » . فقلت له : « هل لى أن أسأل عن وقت الافراج عنهم ؟».(وكنت أعلم أنهم لم يقضوا سوى عدة شهور فى سجن الأجانب).فأجابنى عبد الناصر : « إننى أعدك بأنه سوف يتم الافراج عنهم جميعا ، ولكن لاتسألنى عن موعد هذا الافراج » . ورغم عدم إفصاح عبد الناصر عن موعد الافراج عن الزملاء إلا أننى شعرت بشىء من الراحة النفسية عندما قال لى عبد الناصر « إنه سوف يتم الافراج عنهم » .

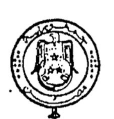
وانتهت المقابلة بعد ساعة من الزمن مع تمنياته لى بالنجاح فى عملى الجديد وذهبت مرة ثالثة إلى سجن الأجانب والتقيت بالزميلين محسن عبد الخالق وسعد عبد الحفيظ وأبلغتهما بالحديث الذى دار بين عبد الناصر وبينى . ورغم أنهما ارتاحا نفسيا من سماع ذلك الحديث ، إلا أن الزميل سعد عبد الحفيظ كان فى غاية الضيق حين

قال لى : « إن أمامى أحد أمرين ، إما الهروب إلى السودان وإما أن أبعث إلى لجنة حقوق الانسان للتحقيق فى أوضاعنا خاصة بعد أن توفى الزميل « وصفى » فى السجن نتيجة للتعذيب والاهمال فى العلاج » . وأضاف أنه عند التحقيق مع اليوزباشى محمد وصفى قام صلاح سالم بضربه بالحذاء على رأسه حتى أصيب بنزيف ومات بعد ذلك . ثم قال « سعد » بانفعال : وإذا لم ينفع أى من الحلين فليس أمامى سوى الانتحار .

والتقيت بخالد محيى الدين بعد بضعة أيام ، وقال لى إنه قابل عبد الناصر الذى بادره بالسؤال : « هل قلت شيئا لجمال منصور عن ظروف خروجه من سلاح الفرسان؟» فأجابه قائلا : « إن جمال منصور قد أحس بل أيقن بأن خروجه من السلاح كان بقرار من مجلس الثورة ، وكان لايمكن إخفاء ذلك مهما حاولت من جهتى أن أقنعه بغير ذلك » . فقال عبد الناصر : « إن علاقتنا بجمال منصور يجب أن تظل طيبة رغم ماحدث ، لأننا لانستطيع أن ننكر ماقام به من أجل نجاح الثورة » . وفعلا كنت أتلقى خطابات من وقت لآخر من جمال عبد الناصر .

بسم الله الرحمن الرحيم





السيد الأستاذ جمال الدين منصور

قنصل مصـــــــر بمرسيليـــــــــــا

تحية قلبية . ومودة خالصة وبعد ،

فأشكر لك رسالتك الوطنية التى عبرت فيها عن أجمل المشـــاعر وأسمى الأحاسيـــس .

والحق أن موقف وفد مصر فى مؤتمر باندونج املاه عليــــــه إيمانه بوطنــه وحبه العميق للعروبــه والإسلام .

وفق الله الجميع لما فيــه خير مصــر وسلام العالـــــــم

والله اكبر والعزة لمصـــــــــر .

القاهرة فى ٢٦ / ٨ / ١٩٥٥ .

جمال .

رئيس مجلس الـــــــوزراء

أرجو أن تكون بخير . وموفق فى عملك

كما أرجو أن [illegible] نفسك دائما [illegible]

[illegible]

وتقبل تحياتي الأخ جمال

بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

حضرة جلالة سيدي.

وصلتني خطابات جلالتكم [illegible]

الحاضر على صحتكم. أرجو

أن تكونوا بخير. حياكم الله دائماً

[illegible]. أخوكم

[illegible]

[signature]

٢٠/١٠/٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس مجلس الوزراء

السيد الفاضل جمال الدين

قنصل مصـــــر بمرسيليــــــا

تحيه طيبه . وبعد

فاشكر لك خالص الشكر رسالتك الرقيقـه التي تعبر عن شعــــــور كريم وعاطفه نبيلـه .

وارجوا ان يوفقني الله والمخلصين من ابناء الوطن لنرفع جميعـا قواعد المستقبل على اسس وطيده ، تهيء لنا حياة الكرامه والمجد .

والله اكبر والعزة لمصــــر .

رئيس مجلس الــــــوزراء

عزيزى جمال

أرجو أن تكون متمتعا بالصحة

[illegible]

خاتمـة

أنهيت عملى فى الجيش . وبدأت خطواتى الأولى نحو العمل الدبلوماسى بعد أن تم تعيينى ملحقا بوزارة الخارجية . وعدت إلى نفسى أسترجع الماضى واستقرىء أحداثا جرت على مدى سبع سنين (١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) هى فترة الإعداد للثورة إلى أن جاء يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ حاملا معه أعلام الحرية من أجل مصر وخيرها . وذهبت بفكرى إلى ماحدث فى الشهور الأولى بعد قيام الثورة ، ورأيت أمامى شريطا سينمائيا استغرق وقتا قصيرا ولكنه ملىء بالأحداث كان أهم معالمها : رفض « القيادة الجديدة » أن تقوم اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار بسلاح الفرسان ، بكتابة تاريخ فترة الإعداد للثورة ، إصدار « القيادة الجديدة » فى إحدى أولى جلساتها قرارا بتصفية « الصف الثانى » ، قرار « القيادة الجديدة » بإلغاء تنظيم « الضباط الأحرار » ، قيام « القيادة الجديدة » بنقل أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار بسلاح الفرسان إلى أماكن نائية فى الصحراء والواحات ، القبض على « الضباط الأحرار » فى سلاحى الفرسان والمدفعية ومحاكمتهم أمام أعضاء « القيادة الجديدة » وإيداعهم السجون .

هذه الأحداث التى جاءت تباعا فى فترة زمنية قصيرة جعلت « الأحرار » يقتنعون تماما بأن الروابط التى كانت تجمعهم ببعض أعضاء « القيادة الجديدة » أصبحت روابط واهية ، وأن الخيط الذى كان يصل بينهم فترة من الزمن صار رفيعا متهالكا ، وأن التعاون الذى كان قائما بينهم فى فترة الإعداد للثورة صار ضائعا بل

مستحيلا . وأيقن « الأحرار » أن « القادمين الجدد » قد صمموا على إبعاد كل صاحب رأى حر ، وأنه لم يعد للأحرار مكان .

وعدت بالذاكرة إلى عام ١٩٤٦ حينما كنا مجتمعين فى منزل عبد الفتاح أبو الفضل فى أعلى السطوح فى شارع البراموني خلف قصر عابدين ، وكنا مازلنا نخطو خطواتنا الأولى على طريق التمهيد للثورة ، وكان الحديث بيننا حول مابعد نجاح الثورة ، فكان إجماع الضباط ذوى الرتب الصغيرة الذين حملوا المشاعل منذ البداية على أن هناك نجمة واحدة على كتف كل منا ، فإن نجحت الثورة فليس منا من يطالب بنجمة أخرى على كتفه ، ويكفى أن نرفع جميعا نجوم مصر على أعلامها الخضراء لتعلو خفاقة فى سماء الحرية .

ثم دفعتنى ذكرياتى إلى عام ١٩٥٢ ، حينما نجحت الثورة وعُرِضت على « الأحرار » المناصب خارج الجيش ورئاسة الشركات ، فكان جوابهم البقاء بجانب أسلحتهم وبجوار زملائهم يعيشون معا ويسعون معا لتأمين الثورة وتأكيد مبادئها الستة من أجل مصر . وكانت مصر دائما فى عيونهم وفى ثنايا صدورهم ، فأدوا واجبهم نحوها ونحو ثورتها ، ولم ينظروا إلى سلطان المناصب أو عزة الجاه ، ولم يتطلعوا نحو النجوم . ورغم الإبعاد والتشتيت ، ورغم السجون وربط الأعناق بالأرزاق ، عاش الأحرار ونفوسهم صافية وقلوبهم راضية ، لايبتغون شيئا سوى أن تأتى الثورة بثمارها من أجل مصر وشعبها . وهكذا كان تفكير « الأحرار » ، وهكذا كان زهدهم ، نجاح الثورة هدف وأمل ، أما مكافأة النجاح فلم تدخل فى حسابات « الأحرار » ولا فى برنامج حياتهم . واقتنعوا منذ البداية بأنهم ليسوا أول الوطنيين ممن أسدل الستار على أعمالهم ، ولا آخر المجاهدين بلا سطور على صفحات التاريخ .

وأخيرا ، وبعد ربع قرنٍ من الزمان ، رأى المسئولون أن يأمروا بتشكيل اللجنة الفرعية العسكرية لتاريخ ثورة ٢٣ يوليـة ١٩٥٢ . وقامت هذه اللجنة العسكرية بالاتصال بنا ، لكى نشارك فى تسجيل تاريخ الثورة . وأرسل إلينا اللواء محمد حسن غنيم ـ مساعد وزير الحربية ورئيس اللجنة الفرعية العسكرية لتاريخ ثورة ٢٣يولية ١٩٥٢ ـ خطابا به عدة أسئلة عن دورنا فى مرحلة الإعداد وفى تنفيذ هذه الثورة . وطلبت « اللجنة الفرعية » من كل منا أن يكتب تقريرا عن دوره فى

الثورة ، وأكدت أن الأمر قد يتطلب لقاء شخصيا معنا لاستيضاح بعض النقاط والوقائع الواردة فى التقرير .

وذهب كل من أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فى سلاح الفرسان ، لكى يدلى بأقواله فى مبنى مجلس الثورة فى الجزيرة ، وتم تسجيل أقوال كل منّا على أشرطة . ودعوت لاجتماع الزملاء سعد عبد الحفيظ ومصطفى نصير وعبد الحميد كفافى فى مكتبى بوزارة الخارجية حيث كنت أعمل وكيلا لوزارة الخارجية فى ذاك الوقت ، واتفقنا على أن نكتب تقريرا جماعيا نسرد فيه كل وقائع الإعداد للثورة ، والدور الذى قامت به لجنة الفرسان الأساسية منذ عام ١٩٤٥ حتى قيام الثورة فى يولية ١٩٥٢ . والتقينا معا لنضع النقاط الأساسية للتقرير الجماعى وقرأناه عدة مرات وراجعناه ، ثم تقدمنا به إلى اللواء محمد حسن غنيم - موقعا من اللجنة الأساسية للفرسان فى تنظيم الضباط الأحرار : عبدالحميد كفافى - مصطفى نصير - جمال الدين منصور - سعد عبد الحفيظ .

وأذكر أنه عندما انتهيت من الإدلاء بأقوالى عن مرحلة التمهيد للثورة ، ودورى فى هذه المرحلة بادرنى اللواء طيار محمد شبانة - أحد أعضاء لجنة تاريخ الثورة ، والذى أصبح سفيرا فى سويسرا فيما بعد - بالقول : إن ما قامت به مجموعة الفرسان وفقا لأقوال وشهادة أعضائها ، يعتبر عملا كبيرا ساعد مساعدة ضخمة فى سبيل تكتل الضباط والإعداد للثورة ، وإذا كانت هذه المجموعة قد قامت بهذا العمل الضخم ،فلماذا سلمت عملها هذا إلى الغير أو إلى قيادة أخرى . . ؟

فأجبت اللواء شبانة قائلا : إن مجموعة الفرسان قامت بالتمهيد للثورة منذ عام ١٩٤٥ حتى نجاحها فى عام ١٩٥٢ ، وكان هدف المجموعة هو التمهيد للثورة حتى يكتب لها النجاح ، أما موضوع« القيادة » فكان أمرا غير وارد ، فلم يكن بيننا من يقول إنه قائد للحركة ، أو المخطط لها لأن العمل كان عملنا جميعا ،وكانت قيادتنا جماعية . وإن الاتصال الذى تم بين مجموعة الفرسان ، ومجموعة عبد الناصر عن طريق خالد محيى الدين فى آخر صيف ١٩٤٩ كان لا يعنى التسليم من جانبنا - بأى حال - بأن هناك قيادة أو أن هناك تبعية من أى نوع لقيادة ما ، بل كان الأمر - فى نظرنا - لا يعدو عن كونه خلق رابطة بين مجموعتين على قدم المساواة لإعطاء قوة

دفع للحركة . وأعود فأقول إن هدفنا كان نجاح الثورة دون التفكير فى قيادة لأننا منذ أن نبتت فكرة الثورة بيننا كان العمل هو عملنا جميعا ، وكانت قيادتنا جماعية فيما بيننا ،وإن ما قمنا به من جهد على مدى السنين من ١٩٤٥ إلى ١٩٥٢ للتمهيد للثورة - كان من أجل تحقيق هدف واحد وهو نجاح الثورة .

ملحق وثائقى

إذا كانت حركة الضباط هى التى سارت على الدرب الطويل منذ البداية ومهدت للثورة تحت اسم« ضباط الجيش » منذ عام ١٩٤٥ ، إلى أن تم لها النجاح فرفعت أعلامها فى يولية ١٩٥٢ تحت اسم « الضباط الأحرار» ، إلا أننا لابد أن نذكر للتاريخ ، أنه كانت هناك انتفاضات وطنية أخرى ظهرت داخل الجيش ، وكذا بين الهيئات والمنظمات السياسية التى كانت تعمل فى الخفاء . وكانت هذه الانتفاضات انعكاسا واضحا لما كان يدور فى فكر كل وطنى مخلص من أبناء مصر رجالها وشبابها . وجاءت المنشورات المذيلة بأسماء هذه الهيئات داخل الجيش أو خارجه لتعبر عن أفكارها وتدفع على الطريق ما لديها من آراء وارهاصات ، أملا فى أن تصل إلى ضباط الجيش وصف ضباطه وجنوده .

ومن المفيد أن نضع أمام القارىء ـ بعض ما تحت أيدينا من المنشورات التى جاءت مذيلة بأسماء تنظيمات عسكرية داخل الجيش ، أو منظمات سياسية كانت تخاطب الجيش ضباطه وصف ضباطه وجنوده .

أما التنظيمات العسكرية داخل الجيش فكانت :

١ ـ ضباط الجيش .
٢ ـ الضباط الأحرار .
٣ ـ اتحاد ضباط الجيش .
٤ ـ رجال الجيش .
٥ ـ الحرس الوطنى .
٦ ـ الحرس الوطنى للتحرير الشعبى .
٧ ـ اللجنة الوطنية لرجال الجيش .
٨ ـ جبهة الضباط .
٩ ـ صولات وضباط وصف وعساكر الجيش .
١٠ ـ الاتحاد العام لصولات وصف ضباط وجنود الجيش والطيران .
١١ـ سلاح المهندسين .

وأما المنظمات السياسية الأخرى التى كانت تخاطب الجيش وضباطه فهى :

١ ـ الإخوان المسلمون .
٢ ـ « حدتو » (الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى) .
٣ ـ نداء إلى شباب وادى النيل .
٤ ـ عريضة الشعب إلى جلالة الملك المعظم .

ولعل هذه الوثائق المرفقة ، تلقى ضوءا على الجذور الأولى لتلك التنظيمات التى عاشت بين ضباط الجيش وجنوده على مدى سبع سنين(١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) والتى مهدت ـ بكل تأكيد ـ الطريق نحو الثورة ، وكانت العلامات المضيئة أمام « الأحرار » للقيام بثورتهم ونجاحها فى ٢٣ يولية ١٩٥٢ .

وزارة الدفاع الوطني
المخابرات الحربية
الامن

سرى جدا

مذكرة

بالنسبة للظروف التى تجتازها البلاد الان فقد لاحظت هذه الادارة أن الاحزاب والهيئات المختلفة تحاول بث دعايات او اراء معينة بين جميع الطبقات بما فيها القوات المسلحة وذلك عن طريق المنشورات او كتيبات يرسلونها بالاسم عن طريق مصلحة البريد

ولما كان من المهم جدا منع تسرب الاراء الضارة الى افراد الجيش ومنع تسرب الدعايات المثيرة التى تتعارض مع نظم وقوانين الجيش ، فاننا نقترح ارسال منشور سرى دورى لقادة المناطق والاسلحة والادارات والمصالح للعمل من ناحيتهم على منع وصول مثل هذه المنشورات الى ايدى الافراد وفى الوقت نفسه عمل الاحتياطات التى يرونها كفيلة بعدم تسميم افكارهم وجعل جميع من تحت قيادتهم يتمسكون باهداب القانون

وستقوم هذه الادارة من جهتها بمراقبة الحالة بدقة وعمل الترتيبات المناسبة فى الوقت المناسب .

والامر مفوض

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

اميرالاى أ ح
مدير المخابرات الحربية

١٩/١٠/٤٦

سعادة ...

...

٢١/١٠/٩٤٦

خطـــاب مفـــتوح

الى حضرة صاحب السعادة رئيس أركانحرب الجيش وياور جلالة المـــلك .

ياصاحب السعادة - ألان وقد جبتم أوروبا و أمريكا أو بمعنى آخر معظم بلاد العالم المتمدينة رأيتم بأعينكم ما عليه جيوش تلكم البلدان من حسن القيادة و التدريب و التسليح و التنظيم ولمستم ما لهذة الجيوش من تأثير فى مركز الدولة سواء فى الداخل أو فى الخارج - و اننا لنرجو أن يكون الاثر الذى فى نفسك مما شاهدته و لمسته عن كثب هو ان تهيأ لجيش مصر أن يقوم بما علية من تبعات هى فى الواقع أجسم مما على جيوش أمريكا و انجلترا و فرنسا .

ياصاحب السعادة .. ما كان لنا أن نتهم شخصا ما بأية تهمة كانت سواء تهمة التقصـــير أو الاهمال عن عمد الا بعد أن نقنع انفسنا أننا أبلغناه ما يجب وما لايجب وما يأخذ ومايدع ثم نرى النتيجة. " ان أحسنتم احسنتم لانفسكم و ان أساتم فلها " .

ياصاحب السعادة .. ان جيش مصر فى حالة لايمكن أن توصف بأقل من أنها فى فوضى فلا تنظيم ولا تسليح ولا تدريب ولاقيادة ولا ضبط ولا ربط . اذ شغل الجيش بكل شىء الا عمله الاساسـى فتراه فى الافراح و المآتم - وتراه يعمل لجميع الوزارات فى غير ما داع اللهم الا جهل طالب العمل وملبى النداء وليس المجال الان مجالا للتفصيل .

ان الانوار الكاشفة لتكشف ألان لكل ذى بصيرة عما وصل اليه الجيش من فوضى - هذه حالة أجملناها - أما ما نريده فهو يحتاج لمجلدات و لكنا نختصره فى الآتى :

أولا - التجنيد الاجبارى و أن يكون التصديق عليه هذا العام والا يكون المرسوم الصادربعرضه للتخدير

ثانيا - تنفيذ تشكيل الفرقة التى وضع تصميمها ورفع للجهات المختصة سواء صدق على الطلبات المالية أو لم يصدق و أنت خير من يفهم هذا الكلام .

ثالثا - وضع سياسة ثابتة للوصول بالجيش الى العدد المطلوب فى خمس سنوات و أن يبدأ التنفيذ يناير ١٩٤٨.

رابعا - أن يقوم الجيش بالتدريب ولا يلبى أى طلب الا إذا لم يكن هناك مناص من ذلك كحالات الثورة الفعلية و عجز البوليس عن قمعها .

خامسا - أن يسود العدل الجيش و أن يطمئن الضباط على مستقبلهم و ذلك بعدم ترك أى ضابط فى الترقى اذا حل دوره الا اذا كان بحكم مجلس عسكرى و ذلك من رتبة ملازم الى رتبة صاغ ثم يكون الترقى من رتبة صاغ الى رتبة بكباشى التى هى رتبة القيادة - من خريجى كليـــة أركانحرب أو الضباط العظام حرف أ .

سادسا - أن يقتصد فى الرتب و تكون الرتب فى القيادة كما هى فى الجيش البريطانى فمثلا اليوزباشى قائد السرية و البكباشى قائد كتيبة ... الخ .

الخاتمة : ان ما كتبناه قطرة مما يجب اتخاذه و لكن على ما تقدم باعتبار الاهمية القصوى بامكان التنفيذ فى الحال .

ياصاحب السعادة .. كلنا أمل فى اجابة ماكتبنا فى بحر شهر يونية وعلى الاقل القاء محاضرة على ضباط الجيش فيما تنوونه من سياسة - و نرجو الا تكونوا قد ذهبتم الى الخارج و كلفتم الحكومة ما كلفتم الا و انتم قد استفدتم الكثير و عرفتم أن الامم بجيوشها و أن الجيوش بقادتها

وتفضلوا ياصاحب السعادة بقبول فائق الاحترام ،،

ضباط الجيش

خطاب مفتوح الى رئيس هيئة أركان حرب الجيش*

ان الجيش أولاك ثقته فأفقدته أياها و توليت ادارته فبثست ادارتك و تزعمت رئاسته فكنت الطاغية المستبد .
ان هذا الجيش الذى جمع نخبة ممتازة من أبناء الوطن العزيز الذى يشعر أفراده بواجبهم نحو مليكهم و بلادهم العزيزة لن يتركوا فى يدك زمامه لتقوده الى هذا الانحدار الساحق الذى يسير فيه الجيش .
أنك أمرت بالقبض على جماعة من الضباط هم فخر الجيش وعماده متهما اياهم بروح التآمر .. ألا فاعلم أن هذه الروح التى تدعونها عليهم تتأجج مكبوتة فى نفس كل منا ، وقد زادها اشتعالا هذا الاعتقال الظالم .
- انك زعمت أن هذة الفئة موجهة ضد العرش .. كيف تسوغ لك نفسك أن تزج بهذا التاج المقدس فى هذا المضمار ؟ .. ألا تعلم اننا ضباط الجيش قد أقسمنا يمينا لن نحنث فيه أبد الدهر - يمين الولاء و الاخلاص لصاحب العرش المفدى الذى تثبت الايام صادق وطنيته و عالى همته و دوام رعايته لشعبه و جيشه .
- انك بهذا أردت أن تغطى موقفك الفاضح ، و تكبت هذا الشعور الذى يتأجج فى نفس كل منا فمن طالب بحقه اتهمته بالتآمر ، و من نادى بالاصلاح رميته بالخروج على النظام العسكرى .
و مما يزيدنا عجبا أنك تتهم هوءلاء الضباط بالتآمر على اغتيالك .. لا يا معالى الباشا ان أيدى الضباط لتعلو كثيرا على هذا .
و نحب أن نوءكد لك أنه اذا أصاب هوءلاء الزملاء أى مكروه نتيجة لالاعيبكم و مكائدكم لتجعل منهم عبرة لباقى الضباط كما صرحت - فان ذلك سيكون فتيل الاشتعال وستندلع نار الثورة المتأججة فى نفس كل منا ..
و تأكد أننا لسنا بغافلين عما تعملون للايقاع بهوءلاء الاخوة الاعزاء .
- و ان رغبتك فى الظهور بمظهر المنقذ للعرش و البلاد من موءامرة - ماهو الا تغطيته لاعمالك التى لن نستطيع عليها صبرا بعد الآن .
- الا تعلم أننا جميعا لولا أن حظينا بشرف قيادة الفاروق لما توانينا ثانية واحدة فى أن نخلع عنا الزى العسكرى و نلقيه فى وجهك بعد أن أصبته بطغيانك وشوهت حقيقته و تركت مرتديه ألعوبة فى يد الحكومات لصد تيار الشعب فى مطالبه الوطنية و الاجتماعية حتى جعلت من الجيش أبغض الفئات للمصريين - ينظرون اليه على أنه الحائل الوحيد بينهم و بين الحياة الحرة الكريمة - و ليس أدل على شعورك أنت وأذنابك - من اصدارك هذه الاوامر التعسفية التى أصبح بها الضباط شبه معتقلين فى ثكناتهم .
- اعلم أننا صابرون على هذه الصغائر لاعن خوف و لكن عن ايمان بأن يومنا المنشود قد قرب لخدمة وطننا و مليكنا .
- اننا جنود ... الفاروق قائدنا ... و الشجاعة صفتنا ... و الجهاد شعارنا ...

ضباط الجيش

* المنشور الذى فرق بين الملك وعطا الله باشا .

الحرس الوطني

لقد أخطأت ياصاحب الدولة

إخطأت اتهاونك فى مساعدة فلسطين مساعدة فعالة لتضمن استقلالها وكم كان ذلك سهلا ميسورا لو كنت جادا فى تقديم العون لهذا الوطن العربى الذى أصيب بالداء البريطانى فانتهى به الحال الى ما نرى اليوم .

كان فى الامكان عن طريق تدريب أبناء فلسطين فى مصر والسماح بالتطوع كما فعلت معظم الدول العربية والانتفاع بما خلفته الجيوش المتحاربه فى صحارى مصر حسم الموقف منذ أمد بعيد ولكنك لم تفعل خشية تعارض ما سبق والسياسة البريطانيه والخوف من عودة أبناء مصر اليها بعد ممارسه فن القتال ولانشغالك بالمنازعات الحزبية التافهه التى يثيرها قوم نسوا مصلحة مصر فأضروا بقضية الشرق كله المطالبة بالعوده الى احكام الدستور وهم أدرى الناس بسعة ثوبه ووسائل تسخيرة لمصالحهم الخاصة من السهل أن يدرك كل مصرى أن قيام دولة صهيونية أو بقاء الانجليز أو عملائهم فى فلسطين تهديد مباشر لاستقلال وسلامة مصر ولكنك أتحت الفرصه للملك عبد الله باحجامك عن تقديم المساعدة الفعالة أن يقيم دعائم سياسته فى فلسطين رغم علمك بخبث نواياه وارتباطه بمعاهده مهينة مع بريطانية ورفض إشراك دول الجامعة فى مباحثاتها لعلك ياصاحب الدولة لم تسجل بعد خاتمه هذه المؤامرة التى أتقن الانجليز حبك حلقاتها بترك مستقبل فلسطين معلق بالوفاء بوعد الجلاء عقب استتباب الامور من الملك عبدالله فتكون بذلك قد أضعت مستقبل هذه البلاد وساعدت على ظهور سوريا الكبرى ووضعت غداره تبقى مصوبه الى قلب مصر ما بقى الملك عبد الله جادا فى تحقيق أحلامه .

ان اى ضرر يلحق بفلسطين سيلحق بمصر عاجلا أو آجلا وستكون ياصاحب الدولة مسئولا امام شباب مصر والتاريخ إنك راحل والمستقبل لمصر ولذا فاعمل جاهدا على ألا تترك لأبنائك مصابا جمه فى امكانك تلافيها واصلاح أخطاء سبق أن ارتكبها غيرك .

اننا نطلب منك ان تقوم مصر بواجبها نحو فلسطين وأن تعتبر الحدود الفلسطينية المتاخمة لنا هى خط دفاعنا الاول ضد الصهيونية وذلك بتسليح جبهة فلسطين الجنوبية بالطرق التى تعرفها وتزويد القيادة المصريه بضباط مصريين متطوعين يأخذون على عاتقهم تحرير فلسطين من ربقة الاستعمار والصهيونية .

أننا نطلب منك أن يكون جنوب فلسطين جبهة يتدرب فيها ضباط جيش مصر حتى يكونوا قادرين على تحمل أعباء المستقبل الجسام . هذه ياصاحب الدولة رغبة الضباط الذين أثبتوا صدق وطنيتهم والذين أقاموا من أنفسهم حراسا على مصر والشرق العربى يردءون عنه خطر الاستعمار والشيوعية .

ضباط الجيش

أول منشور باسم الضباط الأحرار

نـداء .... و تحـذير

منذ بضعة شهور عرض على القضاء المصرى أخطر قضية فى تاريخه ... قضية الأسلحـة و الذخائر فأخذ التحقيق شكله الجدى فى بادئ الامـر ثم ما لبـث أن انفضت عنه جـديته بمـرور الوقت و انتهت القضية الى هذه النهاية المخزيـة و خرج هؤلاء المجرمون بلا كفالـة هـاربين من يد العدالـة .

هـؤلاء اللصوص الذين ابتاعوا السـلاح من سوق الدمار فجمعوا المال من بـين الاشلاء و الدمـاء .. هذه الفئة الحقيرة التى باعت النفوس رخيصة و قتلت بأيديهـا نخبـة من جنـود الوطن كانوا أحـق بالحياة منهـا ..

تذكر ايها الزميل أن بعضا من زملائك قد لاقـوا حتفهم على أيدى تجار الدمـاء بالامـس و سـتكون أنت الضحيـة المقبلة فى الغد القريب .. فماذا أنت فاعـل ؟

أنظـر اليوم الى بيوت خربت و اطفال يتمت و نساء ترملت و امهات ثكلـت ، انها عائلات زمـلائك الشهداء من الضباط و الجنود الذين قدموا حياتهم ثمنا لاداء و اجبهم ، بينما أثرى على حسابهم هؤلاء المجرمون و نعموا بجبـروتهـم... الم يكن من الجائز أن تكـون أنت و عائلتك من بين هؤلاء الضحايا المنكوبين ... فكـر ..ماذا انت فاعـل .

ان الشعب يقف الان و قلبه مملوء بالحسرة و الأسى لما وصلت اليه هذه القضية من نتائج ثم انه يتحول بنظره الى هذا الجيش بضباطه و جنوده و يتعجب لهذا السكوت المريب ... أرضاء عن الحاله أم ضعف و جبن !!

اننا نعلنها اليوم كلمة صريحة مدوية فلتسمعها الحكومة و ليسمعها من لم يسمع بها اننا ان لم يوقف هـذا الإجـرام و هذا التحدى فلسنا عاجزين عن ايقافـه .

و اذا أصرت السـلطات العليا على هـذا التحدى فسوف نتحداها و نوقفها عند حدها سـوف نريها سلطتها أين تبدأ و أين تنتهى ، بل سـوف نعلمها نصوص الدستور و احـترام سلطات الشعب التى تتمثل فى ثـلاث .

ايهـا الضـباط

ان السبيل لرفع الغبن عنا هـو ان نتآزر و نتكاتف و نتكتل و نتبادل الافكار حتى تتحـد آراؤنا و ترتبط قلوبنا فنسـير فى طريق واحد نحو هدف واحد .

أن الطـريق أمامنا وعـر تذلله إرادتنا القويـة و عزمنا الصادق الأكيد وتصميمنا على بلـوغ غايتنـا السـامية .

ايهـا الزمـيل

ضـع يدك فى يد زميلك ، و املأ القلب ثقة و إيمانا بالنصـر الذى هـو آت عـن قـريب .

الضـباط الاحـرار

قاوموا الطغيان .. ودافعوا عن الشعب

تنحدر الحياة السياسية فى مصر نحو ديكتاتورية باغية تعتمد على الاحكام العرفية لتضغط على الشعب و تخنق حريته و تثير الفرقة فى صفوفه وتلوى عنقه عن الاستعمار عدونا الاول.
و تظهر سمة هذه الديكتاتورية فى وضع سلطات الجيش و البوليس و السجون فى يد الدكتاتور المدلل " مرتضى المراغى " ـ وقد رفض رئيس الوزراء تحديد موعد تنتهى فيه الاحكام العرفية بعد أن حدد مدتها " على ماهر " بشهرين و اذا كنا نفترض اليوم بأنه لن يوجد فى الجيش خائن واحد للوطن و الشعب يقبل أن يمرغ برصاصه أفراد شعبنا المناضل من أجل الحريـة و اذا كنا نوءمن كذلك بأن حريق القاهرة هو تدبير صريح من الاستعمار وأذنابه فيجب أن نتساءل أى دور نلعبـه منذ ٢٦ يناير حتى الآن ؟!
و لن يعيينا الجواب حين نقول أننا نلعب دور الاداة التى تكبت الشعب و ترهبه وتحول بينه و بين الانطلاق نحو أئمة الاستعمار كفاحا مسلحا و أن هذه الاداه تحركها أيـد خائنة مجرمة طالما كشفنا دورها الحقير فى المعركة الوطنية حتى تبدت خطواتها منعزلة عن الشعب لانها أقرب الى الاستعمار منها الينا نحن أبناء مصر المخلصون .
و اليوم هل نقبل أن نظل أداة ضغط و ارهاب و أن نستمر فى لعب ذلك الدور البوليسى القذر الذى يضع بين الشعب هـوة يجب أن تزول وفرقة يجب أن تتحطم لانه لن يستفيد منها سوى المستعمر . ان الوطنية التى تملا قلوبنا تحتم علينا أن نقاوم الطغيان و ندافع عن الشعب بأن نعلن رفضنا للاحكام العرفية و الارهاب البوليسى الذى نقوم به ـ ووحدتنا الفكرية فى ذلك هى الضمان الاكيد للتنفيذ الايجابى برفضنا الحازم أن نكون قوات للطوارىء تحجب عن الشعب حـريته . اننا ننادى أعطوا الشعب حـريته قبل أن يفيض بنا الكيل فنجبركم على احـترام حرية الشعب بل و تقديسها .
أيها الضباط الاحرار : ان بقاء هذا الوضع الارهابى خيانة للشعب و للجيش ـ فأن الشعب لا يعيش الا فى ظـل الحرية و الجيش لا يعيش الا ليدافع عن الشعب ـ و اليوم فقد الشعب و الجيش و اجبهما فى الحياة و عليكم انتم الدور فى تخليص الوطن من الخونة المجرمين أعـوان الاسـتعمار .
أيها الضباط ـ اعلنوها صريحة انكم ترفضون الطوارىء و تنزهون عن رشوتها و أنكم ستتحركون للعمل الايجابى لايقافها اذا لم يبادر المسئولون فورا باعادة الحرية للشعب و اعادة الجيش لواجبه وهو الدفاع عن الوطن .
أيها الضباط ـ ان حريتكم رهينة بحرية الشعب فكافحوا من أجل الحرية فى كل مكان و أعلموا أن الخونه من قـادة الجيش هم الذين يعتمد عليهـم الاستعمار و أننا الاداة فى هـذه اليد الخائنـة .
استديروا لاعداء الامة و الوطن و اجبروهم على احترام حـريتنا و كرامتنا ووطنيتنا الـتى استباحوها حـراما للدفاع عـن مصالحهم و اهتفوا جميعـا يا ضباط الجيش :
يسقط الاستعمار ـ يسقط التحالف مع الاستعمار ـ يسقط الدفاع المشـترك و الضمان الجماعى فى ظـل الاسـتعمار ـ يسقط الاحكام العرفيـة ـ يسقط محـور المراغى ـ حـيدر القادة العبيد عـاش شـعب مصـر المناضـل من أجـل الحـرية .
عـاش جيش مصر مقاوم الطغيان و المدافـع عن الشعب

الضباط الاحـرار

صوت الضباط الاحرار
نشرة اخبارية يصدرها الضباط الاحرار

ـــــــ

٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٥٢ العدد السابع

ــــــــــــــــــــــــــــــــ

..اعلن زكي عبد المتعال تاجيل كادر الضباط حتى يوليو القادم تمهيدا لالغائه ويعني ذلك بصراحة ان الحكومات المعادية للشعب تجهد في الرشوة ولا تجهد في اعطاء الحقوق ففي الوقت الذي لا تبخل فيه على الضباط بالرتب والجنيهات رشوة للمحافظة على دكتاتوريتها تبخل عليهم باعطائهم حقهم الواضح .

ـ اطلقت يد المراغي في وزارة الحربية ووضع حيدر على الرف وهو يشرب الآن من الكأس التي سقى منها مصطفى نصرت وغيره في نهاية خدمة الاستعمار التي قضى حيدر اربعين عاما فيها .

ـ يحاولون ان يزيدوا من تحكمهم على الجيش فيستبدلوا عثمان المهدي بحسين فريد ونحن نعلن انه مهما تغير القادة فلن نريد الا الاحرار الذين يؤمنون بان الجيش للدفاع عن الشعب وليس احتياطيا للبوليس .

..تتغير رئاسات الجيش ولكن الحال لا يتغير . فطالما كان للأذناب المعروفين محمد حسن وعلي حسين سلطة ورقابة على قادة الجيش فلن نتقدم مطلقا ولن يسير الجيش في الطريق السليم الا بعد ان يتطهر من أذناب الاستعمار

انا نطالب رئاسات الجيش بمقاومة الفساد ومراعاة العدل في التنقلات والتعيينات وذلك بمناسبة قرب انتهاء الانتدابات في مايو القادم .

ـ يردد عباس زغلول صوت سيده حيدر ان الجيش في يده فهل يثق هو وسيده بذلك . . . ان مصير الخائنين دائما هو الطرد ثم الزوال وهكذا تاريخكم يا خونة الجيش .

كان المستر صمور قد اختير ضمن اللجنة العسكرية التي تمثل الجيش في المفاوضات . ولا ندري سببا يمنع الحكومة من اختيار الجنرال سليم او اريكين مثلا فهما ومستر صمور صنوان بل لعل صمور اكثر حرصا على رضاء الانجليز من سواه .

ـ بعد سنة قضاها المستر صمور في التدريب الحربي نطالب رئاسة الجيش ان تناقشه الحساب وهل قام الجيش بمناورة اثناء ذلك ولو على نطاق صغير . ان كل ما قام به صمور هو الاشراف على الامتحانات للحصول على اكبر قدر من المال والتلاعب في امتحانات كلية اركان الحرب بالاشراف على وضع الامتحان والنمر السرية والتصحيح .

ـ بعد سنة قضاها اللواء السيد عبد المجيد في ادارة الامداد والتموين لا زالت الفوضى ضاربة اطنابها في كل مكان وهو يعتذر بانه قد امضى من الخدمة عشرين عاما في اسطبل .

ـ بعد سنة قضاها القائمقام عباس زغلول في ادارة الجيش نريد ان نحاسبه عن الفوضى القائمة بمستشفيات الجيش والأدوية التي تصرف لكبار الضباط والاقارب والمحاسيب وهل يعتقد حقا ان عملية ينحصر نشاطها في محكمة الخدام والحصول على مكافأة فيها ؟ ؟ ؟

ابتدع الجيش المصري بدعة جديدة وهي منصب لواء بلا عمل . فيوجد الآن بادارة الجيش سبعة لواءات ليس لهم أي عمل وبذلك هانت كرامة المنصب والرتبة وعمت الفوضى .

علمنا من اوثق المصادر ان هناك بعض العسكريين قد توافر لهم العلم بمن دبر حوادث حريق القاهرة وان الايام ستكشف ذلك عندما تعود الحرية الى ربوع الوطن .

ــــــــــــــــ

الضباط الاحرار .
=====

أهداف الضباط الأحرار *

أولا ـ القضاء على الاستعمار الأجنبي وأعوانه الخونة في وادي النيل

ما هو الاستعمار .

الاستعمار هو الاستغلال الاقتصادي الذي تقوم به دولة أجنبية لموارد وأفراد شعب آخر وذلك من طريق الشركات ورؤوس الأموال الأجنبية التي تنهب موارد المواد الأولية وتستغل شعوب البلاد المستعمرة . وقد يكون مصحوبا باحتلال عسكري كمصر وقد لا يكون مصحوبا باحتلال كإيران التي تنهب الشركات الأجنبية بترولها لصالحها وحدها .
ومصر تخضع للاستعمار البريطاني أساسا ولكنها تخضع أيضا لاستعمار عدة دول أخرى تنهب مواردها بأبخس الأثمان كالاستعمار الفرنسي مثلا في شركة قنال السويس والاستعمار البلجيكي مثلا في شركات الترام وهليوبوليس والاستعمار الأمريكي مثلا في شركات الكوكاكولا والبيبسي والحرير الصناعي وغيرها .

لماذا نحارب الاستعمار

١ ـ لأنه سبب نكبة هذا البلد وتأخره في كل المظاهر اقتصاديا وماليا وفي التعليم والصحة والجيش .

٢ ـ لأنه منع تقدمنا الصناعي وحطم صناعتنا التي كانت قائمة حتى لا تنافس صناعاته وحول مصر الى بلد زراعي محض لا زال يستعمل حتى الآن آلات الزراعة المتأخرة التي كان يستعملها الفراعنة .

٣ ـ لأنه حطم الجيش المصري ومنع تقدمه وبعد أن كان لنا جيشا تعداده مائتي ألف أيام محمد علي وأسطول حربي هو الثالث في البحر الأبيض ومصانع حربية ضخمة أصبحنا لا نملك شيئا ولا أمل لنا في بناء جيش قوي الا بعد القضاء على الاستعمار .

٤ ـ لأن الاستعمار الأجنبي يريد أن يجرنا معه الى حرب عالمية ثالثة يحارب فيها لمصلحته الاقتصادية بجنود مصرية يضحون بأرواحهم في سبيله وخاصة بعد أن فقد مستعمراته الكبرى كالهند وبورما وغيرها التي كانت تمده بالرجال .

كيف يحكمنا الاستعمار .

والاستعمار لا يحكمنا حكما مباشرا بواسطة موظفين وحكام انجليز كما يفعل مع البلاد المتأخرة جدا في وسط افريقيا وانما يحكمنا عن طريق الخونة من المصريين حكما غير مباشر . هؤلاء الخونة هم الذين ترتبط مصالحهم بمصالحه عن طريق الرشوة والخدمات الخاصة والتعيين في مجالس ادارات الشركات والمكافآت الضخمة والألقاب والنياشين الأجنبية . وهم يتمثلون في رجال القصر ورجال الأحزاب المختلفة التي تتوالى على الحكم وفي الصحافة المرتشية التي تدافع بطريقة ظاهرة أو مكتوبة عن الاستعمار . ولا بد من القضاء على هؤلاء الخونة لتطهير البلاد .

كيف نحارب الاستعمار وأعوانه .

١ ـ برفض الارتباط بأية صلة كانت مع أية دولة من الدول الاستعمارية كالدفاع المشترك أو غيره من المؤامرات المماثلة له .

٢ ـ بالتمسك بالحياد في أي حرب مستقبلة ويجب أن تلعب القوات المسلحة دورا رئيسيا في هذه الدعوة وعلى ذلك يجب أن يعاد تنظيم الجيش وتسليحه بحيث يكون قادرا على خدمة أهداف البلاد . ويجب أن يعلم الجيش أنه جزء من الشعب وأن آماله ومطالبه هي آمال ومطالب الشعب وأنه لن تقوم له قائمة الا في بلد متحرر مستقل قوي .

٣ ـ باطلاق الحريات العامة جميعها للشعب حتى يستطيع أن يلعب دورا فعالا في الحرب ضد الاستعمار .

٤ ـ العمل على المساعدة في تكوين جبهة وطنية من جميع الأفراد والهيئات الوطنية المخلصة التي تكافح ضد الاستعمار ومحاربة الهيئات غير الوطنية .

ثانيا ـ تكوين جيش وطني قوي يقوم على الأسس الآتية :

١ ـ قيادة جديدة يفسح فيها المجال للشباب الوطني الكفء من الضباط

٢ ـ اعادة تنظيم وتدريب القوات المسلحة على أسس سليمة .

٣ ـ اعداد ضباط الصف اعدادا كاملا وافساح مجال الترقي لرتبة ضابط لمن يظهر كفاءة منهم في العمل .

٤ ـ ضمان مستوى معيشة مناسب للصف ضباط والجنود .

٥ ـ نشر الوعي الوطني بين الضباط والجنود .

وليست لمصر أهداف عدوانية ولكن يجب أن نكون قادرين على دفع أي عدوان سواء كان سياسيا أو اقتصاديا أو عسكريا .

الضباط الأحرار

* أصدرته حركة « حدتو » الشيوعية

المناسبة السعيدة

أيها الضباط

كنا نعتقد أن المحنة التي أصابت البلاد في حرب فلسطين قد أعطت درسا قاسيا للمسئولين لينهضوا بالجيش و يعملوا على تدريبه و تسليحه و يبعدونه عن تلك المظاهر الخادعه ، كالاشتراك في الحفلات و اقامة الزينات ـ و العالم اليوم تمر به المحن و الخطوب فتهز أركانه و تستعد الامم لكل طارىء و تتوجه الشعوب و الحكومات الى كل نافع مفيد ، الا نحن فى مصر حيث يصر سادة وأولى الامر فيها أن يعيشوا عيشة الدعة و البهجة فيقيموا الاحتفالات و المباهج بمناسبة و بغير مناسبة علها تنسى الشعب ما هو فيه من جوع و عرى و حرمان •

هل يليق ببلد يعاني أبناؤه سكرات الموت من المرض و الانحلال أن تقام فيها الافراح و الزينات و تنفق الاموال بغير حساب (بمناسبة سعيدة) ؟ أليس من الاسعد أن ننفق هذه الاموال لاحياء هؤلاء الموتى من العدم ••••؟!

لقد أجبروكم على دفع أموال طائله لهذه المناسبة من مرتباتكم التى أنتم فى أشد الحاجة اليها فى هذه الظروف العصيبة ، تزلفا من كبار الضباط للحصول على الرتب و النياشين و لولا تذمركم و معارضتكم لهذه الفكرة الفاسدة لما ردوا اليكم ما جمعوا من أموال و لقدمت الهدايا النفيسة ولاقيمت المآدب الفاخرة و الحفلات الصاخبة قربانا للمناسبة السعيدة •

لقد تفتق ذهن القادة عن اقامة عرض للجيش احتفالا بالمناسبة السعيدة متقربين الى أولى الامر زلفى ـ و الله أعلم بما انطوت عليه نفوسهم من رياء و نفاق ••••

سيخرج الجيش بمعداته و أسلحته و دباباته وقد زينت بالاضواء الملونه وخفقت على أجنابها الاعلام المزركشة و ستحلق الطائرات المزينة بالاضواء فى سماء القاهرة وستقام الاحتفالات الباهرة لتشيع جوا من السعادة المفتعلة • أى جيش يا أولى الامر ••••؟ و فى أى بلد من بلاد العالم تقام مثل هذه المهازل •••؟ لقد سئم الشعب هذه الاستعراضات الهزلية التى تخرج بالجيش عن مهمته الاصلية وهى الدفاع عن البلاد ••• هذه الاموال الطائله التى تنفق و تلك المعدات الحربية التى ستستهلك أما كان جدير بنا أن ندخرها لهذا المستقبل المكفهر أما كان الانفع للجيش أن يحتفظ بقوته و معداته الى يوم قريب •••؟ ان كل ضابط غيور لابد أن يكون ساخطا على هذه الاوضاع الغريبة رحمة منه بجيشه و شفقة على موارد بلاده •

اليكم يا من تجمعون المال من عرق الشعب لتنفقوه فى غير صالح الشعب ، اليكم يا من تسوقون البلاد الى هاوية سحيقة لتصلوا الى مآربكم و أطماعكم ، اليكم كلمتنا هذه لتكون نذيرا لكم فتثوبوا الى رشدكم وارجعوا عن غيكم و انتم أيها الضباط اليكم هذا العرض الموجز لما يحدث اليوم من مهازل فكونوا يقظين دائما لما يدبر لجيشكم و مستقبل بلادكم ولاتتهاونوا فى حقوقكم •

(الضباط الاحرار)

عرض برجاء الموافقه على تحويله لادارة المخابرات

١٩٥١/٥/٩

تحول للمخابرات للبحث وحفظ صورة منها هنا

يا رجـــال الجيش   يا أبناء الشعب

بعد أن ذهبت وزارة الوفد التى أرغمت على الخضوع للرأى العام و الضغط الشعبى للسير فى الطريق الوحيد الذى يضمن تحقيق مطالب مصر وهو الكفاح المسلح الدواء الناجح لشفاء البلاد من داء الاستعمار و عندما اسندت الامور لعلى ماهر أدى واجبه على أتم وجه بايقاف حركة المقاومة و استغلال الأحكام العرفية للقبض على الفدائيين و السماح للعمال بالعودة لخدمة القوات البريطانية و كان من الواجب بعد ذلك ان يبعد على ماهر ليحل محله آخر لاداء الواجب الثانى وهو تحويل المعركة بيننا و بين الانجليز الى معركة بيننا وبين أنفسنا فتنصرف أنظار الشعب عن قتال الانجليز الى التنازع و التناحر الذى قاست منه البـــلاد ومازالت تقاسى الامرين حتى وطئت أقدام المستعمر أرض الوطـــن •

هذه حقائق ملموسة نسوقها اليكم يارجال الجيش حتى تتدبروا الامر وتعدوا للغد المظلم عدته للتخلص من مخالب هوءلاء الطغاة المنتدبين من قبل المستعمرين لتنفيذ السياسة الاستعمارية التى تضمن ابقاء البلاد لهم و التى تكفل القضاء على أية محاولة يفكر فيها أى من بنيها الاحرار و أمام هذا الخطر المحدق بالوطن لايسعنا الا أن نطالب بما يلـــى :

١ـ جلاء القوات البريطانية جلاء عاجلا ناجزا دون ما شرط أو قيد يقيد مصر بما لايتفق ومصلحة شعبها مثل الدفاع المشترك أو الضمان الاجتماعى • و الاستفتاء الحر فى السودان بعد جـــلاء القوات المصرية و الانجليزية عنه •

٢ـ الغاء الاحكام العرفية فورا التى تهدف الى القضاء على كل مقومات المقاومة الشعبيـــة واعداد الشـــباب لمعركة التحرير •

٣ـ استئصال جميع الخونة من سياسيين و عسكريين وعلى رأسهم حافظ عفيفى و القاتل العـــام الفريق محمد حيدر و كاتم سره ومساعدة الايمن اللواء سعد الدين صبور •

٤ـ اعادة قوات الجيش الى ثكناتهم وسحب القوات المعنية بحراسة اعداء البلاد أمـــثال حافظ عفيفى و عبد الفتاح عمرو •

٥ـ تطهير الجيش ممن أحرقوا روما ومازالوا يعزفون ألحان الجحيم على أوتار " نيرون " مثل اللواء حسين سرى عامر و اللواء محمود صبحى المستتر حاليا فى الجيش المرابط وباقى أفراد العصابة التى باعت البلاد و الجيش لاعداء الوطـن و اتهموا بالخيانة و السرقة وسوء استغلال النفوذ وعدم التفكير فى اعادة اللواء ابراهيم المسيرى للخدمة فى الجيش بعد تبرئتهم وشكرهم المنتظر أسوة بما سلف و ليكن معلوما أن اللواء حسين فريد الذى كان اليوم لايمثل الا ذاتة فان ســـار على السراط المستقيم أيدناه و أن حاد عـن جادة الصواب لفظناه •

يارجال الجيش : ان البلاد تجتاز اليوم مرحلة حاسمة ولقد أصبحت مطالب الشعب واضحة ولم يعد هناك مكان لمنافق فاما مع الشعب واما عليه • ولن تسمح لنا وطنيتنا باخماد صيحـــات الحق و الحرية و انا ننذر كل من يقوم بتمثيل دور شاهين وحيدر وبدر الدين سنه ١٩١٩ •

ولقد أعـــذر من انذر

" اعط هذا المنشور لاكبر عدد من زملائك "

" اللجنة الوطنية لرجال الجيش "

الى ضباط الجيش

اجتمعت كلمتنـــا على مطالب عادلة لا مغالاة فيها ولا اسراف ، وارسلت هذه المطالب إلى الجهات المختصة منذ شهور ونشرتها جميع الجرائد المختلفه فكانت محل تأييد وتحبيذ من الجميع .

وعقد النادى اجتماعا ضم شمل عدد كبير وقد حضره الوزير عندما علم به ووعد أنه سيجيب المطالب ورغم أنها قد ارسلت إليه من شهور فقد آثرنا أن نوصلها ليده وأمام الجميع .

فقام بذلك اللواء عثمان باشا المهدى واتفق الجمع الحاشد على أن الموعد ينتهى فى ١٥ فبراير ، هو أقصى ما يسمح به الصبر وأطول ما يتسع له الموعد ... .

ونحن ما زلنا فى انتظار ذلك الوعد لنرى وفاء الوعد ونتيجة العهد .

ولكن لما كانت مصلحة الجيش ورفعته هى رائدنا الاول ورحينا الأكبر كان لزاما على جبهة الضباط أن توضح لكم أنه قد يصـــرف الجيش فى طرقات من التضليل اصرف أنظارنا عن مطالبنا الرئيـسية الأساسية التى لا نقبل بأقل منها بديلا فقد علمنا أنه قد تصدر نشرة تشمل ترقيات كثيرة ، وليس فى هذا تحقيق أى مطلب من مطالبنا

وقد يقال أن الجيش فى طريقه الى الاتساع ولكن نحن نتكلـــم عن الوقت الحاضر عن المستوى المادى والأدبى للمرتبة ذاتها وليس لأشخاصها .

وقد تتبع سياسة الوعود من جديد وهى سياسة تنفع مع الجميع إلا رجال الجيش الذين لا يثقون فى وعود لا تصحب بأعمال . .

وقد تعمل محاولة لتفرقة طوائف الجيش من بعضها فيحققون بعض مطـالب اما على حساب الجنود أو العكس وهى محاولة فاشلة إذ أننا نشعر مدى مايعانيه الجنود من شظف وبؤس وإلى أى مدى ينعكس ذلك على أعمالهم وتفكيرهم وروحهم المعنوية .

أيها الضباط اتحـــدوا . . . واحذروا عوامل التـــفرقة

واجتمعوا جميعا بالنادى فى ١٥ فـــبراير لاملاء كلمتـــكم

جبهـــة الضباط

الـــى ضـــباط الجيش

وأخيرا هاهو القضاء العادل يفصل فيما لفقة المغرضون المنافقون فى تلك التهمة التى حبكت لهوءلاء الابرياء من الضباط ـ و تحفظ النيابة القضية الجنائية المنسوبة اليهم ـ وسوف يتبع ذلك ـ ان شاء اللـه حفظ تلك القضية اداريا أيضا مادامت النيابة قد حفظتها جنائيا ٠

ولقد ظهرت حقيقة الفريق ابراهيم عطاالـلـه باشا ـ سافرة واضحة ـ وشاءت العناية الالاهية أن تخلق من الشـــر خيرا ، ورب ضارة نافعة ـ فبينما نراه فى مستهل هذه القضية يحـــيك الموءامـرات لهوءلاء الضباط و يفترى عليهم تلك الافتراءات الضخمة التى لا يمكن أن يفكر فيها جـندى بسيط ولا مصـرى يجرى فى دمائـه مـاء النيل ـ الخيانة العظمى ٠٠ يالـها من تهمة نكراء أعمى الحقـــد بصـــيرة رئيس هيئة أركانحرب حتى يصف بهاهوءلاء الضباط الذين أقسموا يمين الولاء و الفداء لجلالة الملك رمز أمانتهم ومعقد آمال وطنهم لقد كانت جريمتهم فى نظره كشفهم الســـتار عما يدور فى الخفـــاء من مـآسى خلقيـــة ـ و محاولتهم البريئه السليمة لاصـــــلاح حال الجيش بواسطة تلك المنشورات التى لم تقف عن الصدور حتى بعد اعتقالهم ٠

ان عجـــز الجيش فى معداته و عتاده المسئول الاول عنه هـــذا الفريق الذى نكب به الجيـــش ابراهيم عطا الله باشا وهاهو بعد أن يدمغ القضاء العادل افتراءاته ويظهر كذبه صراحة ـ نراه قـــد انزوى بعيـــدا وينعـــم باجازة طـــويلة لاســـباب صحيـــة !!!

نعم لقد انزوى ، فليست لديه الشجاعة الكافيـــة لمواجهة الناس بعـــد هذا الافتراء المشـــين و من ثم بعـــد هذة الفضائح التى كشف عنها الستار ، ثم نرجع فنقول ، ورب ضارة نافعـــة ٠

اتحاد ضباط الجيش

من صولات وضباط صف الجيش
الى مولانا قائد الجيش الأعلى

مولانا

منذ نيف وخمسين عاما أو تزيد إندلعت لهيب الثورة السودانية بزعامة المهدى . وجردت الحكومة المصرية جيشا لخوض غمارها فبرز من بين الصفوف ضباط صف إمتازوا بالبسالة والشجاعة والاقدام فنالوا إعجاب قوادهم ورقى الكثير منهم إلى رتب الضباط تقديراً لهم وتشجيعاً لغيرهم حتى وصل بعضهم رتبة الاميرالاى . وسار الجيش بعد ذلك على هذا النظام إلى أن جاء عام ١٩٢٤ وصدرت الاوامر بسحب الجيش من السودان ومعه جميع الضباط الذين كانوا بالوحدات السودانيه فزاد بذلك عدد الضباط بالنسبة لعدد الجيش ونقل الكثير منهم إلى البوليس ومصلحة السجون وغيرها واكتفى بالعدد الذى تخرجه الكلية الحربية. ثم نكبت مصر فى سنة ١٩٣٠ بوزارة صدقى باشا فأصدرت القانون بمرسوم ٦٠ سنة ١٩٣٠ الذى كان يقضى بتسريح صولات الجيش بمجرد أن يتم الصول عشر سنوات خدمه وهى الرتبة التى يصل اليها الجندى بعد أن استبعدت فكرة الترقى إلى رتبة الضباط

ثم جاءت بعد ذلك الحرب الأخيرة فزاد عدد الجيش واقتضت حاجه الجيش إلى إستبقاء الصولات وكذلك بعض ضباط الصف الأكفاء للانتفاع بمواهبهم الفنية فى العلوم العسكرية والأعمال الادارية فقاموا بكل ما كان يوكل اليهم من أعمال خير قيام طوال مدة الحرب وبعدها حتى الآن

مولانا

لقد شهدت بكفاءتنا الحربية أعظم قواد الجيوش الاجنبية كما شهد لنا كبار قواد الجيش كتابة وفى الاوراق الرسمية . وقد انتهت الحرب وتغيرت معالم الدول . وحالتنا من أسوأ ما يكون بل ونزلت بنا الى الحضيض من جميع الوجوه ولم يزد علينا اللهم الا الفقر والعرى والجوع

مولانا

لقد أفنينا شبابنا ووهبنا الوطن ارواحنا . وتجاوز الكثير منا سن الاربعين منها عشرون سنة فى الخدمة ومنها سبعة عشر عاما فى رتبة الصول . والغريب أن النظام الحاضر يقضى بان يستمر الصول فى الخدمة الى سن الخامسة والخمسين ، ومعنى هذا ان يقضى الواحد منا حياته صولا ويموت صولا فهل هناك اغرب واعجب من هذا فى بلد تتزعم امم الشرق .

مولانا

لقد يئسنا من هذا النظام الفاسد ولم نجد معنى لقيامه الآن فى جيش ترنو اليه عيون الأمم عامة والشعب خاصة. واننا نهيب بجلالتكم بما أوتيتم من حصافة فى الرأى وسديد الحكمة أن تقضوا على هذا النظام باعادة الجيش الى قديم عهده بترقية من هم أهلا للترقية من الصفوف الى رتبة الملازم أول مباشرة كما هو متبع فى جميع جيوش العالم إحياءاً لروحهم واحياءاً للجيش واحقاقا للحق بنسبة تتناسب مع ما تخرجه الكلية الحربية من ضباط .

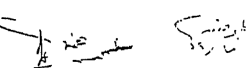
مولانا

ان ٣٠٪ من ضباط الجيش يقومون باعمال فنية هى أبعد ما تكون من عمل الضابط ومن الغرض الذى من أجله خلق بالكلية

مولانا

نحن عماد الجيش . وتلك صيحتنا نرسلها الى قائدنا الاعلى لتدارك الامر بما اوتيتم من حكمة قبل ان يفوت الاوان وينفلت الزمام ؟

صولات وصف وعساكر الجيش



من "الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني"

الي ضباط الجيش

....

تعمد بعض الحكومات التي لا ترتكز علي سند شعبي الي اتباع سياسة تتعارض مع مطالب الشعب حيوية وتتنافر مع مطالب فئاته الرئيسية رغم اننا نلاحظ أن اغلبية الشعب العظمي تقع فريسة ضائقة مادية تحيط بها احاطة تامة فتحيل حياتها ذلا وقسوة ورغم ذلك تأبي هذه الحكومات الا أن تزيدها عنتا علي عنت وتحملها ارهاقا فوق ارهاق،

وقد مرت علي الموظفين بمختلف طوائفهم محنة قاسية عام ١٩٣٨ عندما عمد احمد ماهر وزير المالية محمد محمود الي خفض المرتبات عموما دون اهتمام بصرخات الطوائف واحتجاجاتها ولكنه فشل فشلا ذريعا حيث نجح مع الجميع وما كان ذلك الا لاتحادهم وتضامنهم ووقوفهم في وجه الظلم كالصخرة صلدة لا تهون ولا تلين .

وظلت هذه الحكومات تتبع هذه السياسة الخرقاء حتي اعلنت الحرب وطافت علي العالم موجة الاتجاه نحو العدالة الاجتماعية وانصاف المظلوم ونصرة الضعيف وسري الوعي بين افراد الشعب وعرفت مختلف الطوائف ان حقهم مغتصب وأن حقوقهم مهيضة فبدأوا يتكتلون ويتحدون للحصول علي مطالبهم حتي تزيل عنهم قسوة العيش ومرارة الحياة والتقت معهم بعض الحكومات في منتصف الطريق فاعطتهم جزء من كل ونصفت بعض الطوائف دون الكل .

وانتهت الحرب وواجه العالم مشاكل السلم وكان من اشدها تعقيدا هذه التي تتعلق بطبيعة الحياة ووسائل المعيشة فهبت الطوائف جميعا من قضاء ورجال بوليس ومدرسين ومهندسين وعمال تطالب بحقوقها وتكافح في سبيل نيلها . ولما وقفت منها الحكومة الحاضرة موقفا سلبيا يدل علي التعنت والتجبر ضربت واعلنت انها لن تحيد قيد انملة عن تنفيذ مطالبها . واضطرت الحكومة ان تنبذ موقفها السلبي ازاء تعاونهم واتحادهم وقوة تصميمهم .

نالت معظم هذه الفئات مطالبها وبقي الجيش حيث هو فارتد من المقدمة الي المؤخرة . فلم تعد مرتبات الضباط بالتي ترنو اليها الابصار ازاء مرتبات رجال القضاء مثلا واصبح البعض يظل في رتبته خمسة اعوام ويزيد دون علاوة أو ترقية وليست الامر وقفا عند الضباط فان حال الصولات والصف والعساكر مما لا يحتاج الي شرح ولا يستدعي توضيح .

ان مرتبات رجال الجيش قد بلغت حدا من الضعف لا يتناسب مع طبيعة أعمالهم ورغم ذلك فلم تصدر عنهم صيحة تطلب حقهم المهيض ولم تبد منهم نزعة تنادي بمطالبهم الواضحة علما بان هذا هو السبيل الوحيد للوصول الي تحقيق المطالب في هذه الأيام التي اصبحت فيها الحكومات لا تخضع الا لعامل التهديد والقوة والاتحاد .

ان الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني لتؤيد ضباط الجيش تأييدا كاملا في كل ما من شانه أن يرفع مستواهم المعيشي هم والجنود معا ذلك أن الجيش يتكون أساسيا من ابناء الشعب ولذا فان لمطالبه صدي واضحا في النفوس وتأييدا قويا في القلوب ولان الجيش حصن من حصون الأمة في الدفاع عن اراضي الوطن وتحقيق استقلاله والذود عن سيادته وكرامته

بسم اللـه الرحمن الرحـــيم

منشور رقم (٢)

يريدون ليطفئوا نوز اللـه بأفواههم و اللـه متم نوره ولو كره الكافرون
(قـرآن كـريم)

لم يقف تبجح الحكومة المصرية عند إشاعة الفساد خلقيا و اجتماعيا و سياسيا بل امتدت يدها الاثيمة الى حل جماعة الاخوان المسلمين أتدرون الســر ؟
انه المستعمر رأى فى هذه الجماعة روح العمل و الكفاح المنتج لتحكيم مبادئ " القرآن الكريم" و من لم يحكم بما أنزل اللـه فأولئك هم الكافرون " حدثونى بربكم من يخشى هذا الامر ؟
أنه كل منافق فاسق أو جاحد أثيم ٠ سيبرز الشيطان على السنة بعضهم قائلا انهم يتخذون الدين ستارا لوصولهم الحكم لنخاطبهم وشياطينهم قائلين حكموا كتاب الله فستجدونا أول ملب و خير مطـيع ، فأن أبيتم الا الجحود و النكران فسنحارب فيكم روح الشر و الفتنــه و الضـلال ٠ " و أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا و أن الله على نصرهم لقدير "٠ ٠
الى الرأى العـام المصرى و العربى نتوجه قائلين هذه قضيتنا و تلك حجتنا على أن نعيش من أجلها و نفنى فى سبيلها وان فناء فــى الحق لهو عين البقاء ـ فاعملوا لـها فــى مجالـسكم و شجعوها بأعمالكم ولا تستمعوا الى قول حاكم فاسد أو عالم مأجور حتى لاتكونوا كمن قالوا " ربنا إنا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلونا السبيل ربنا آتهم ضعفين من العذاب و العنهم لعنا كـبيرا "٠

و اللـه أكـبر وللـه الحمـد

الاخوان المنحلــة

الجـــزء
الثـــانى

الدبلوماسية

مقدمة

أنهيت دراستى الجامعية بكلية التجارة بجامعة « فؤاد الأول » (وكنت مازلت ضابطا بسلاح الفرسان) وحصلت على بكالوريوس التجارة قسم الاقتصاد والعلوم السياسية فى عام ١٩٥٣ ، وكان ترتيبى « الأول » مع مرتبة الشرف الأولى . كما حصلت على جائزة « طلعت حرب » لأحسن طالب فى قسم الاقتصاد بشعبتيه ، وجائزة « أحمد عبد الوهاب » للحاصل على مرتبة الشرف الأولى . ثم التحقت بالسلك الدبلوماسى فى ١٩٥٣/٦/٣٠ بدرجة ملحق ، وتنقلت بين المناصب الدبلوماسية فى الخارج على مدى ثلاثين عاما على النحو التالى :

- ☐ قنصل مصر فى مرسيليا (فرنسا) .
- ☐ قنصل مصر العام فى مرسيليا (فرنسا) .
- ☐ قائم بالأعمال فى بروكسل (بلجيكا) .
- ☐ سكرتير أول بسفارة مصر فى روما (ايطاليا) .
- ☐ قنصل مصر العام فى تريستا (ايطاليا) .
- ☐ قائم بالأعمال فى باريس بعد عودة العلاقات مع فرنسا فى إبريل ١٩٦٣ .
- ☐ سفير مصر فى بون (المانيا الاتحادية) .
- ☐ سفير مصر فى بانجكوك (تايلاند) .
- ☐ سفير مصر فى كينشاسا (زائير) .

□ سفير مصر فى نيقوسيا (قبرص)*.
□ سفير مصر فى دمشق (سوريا) .
□ سفير مصر فى بلجراد (يوغوسلافيا) .

وعملت فى ديوان عام الوزارة وشغلت المناصب التالية :

□ مدير إدارة غرب أوروبا عام ١٩٦٥
□ وكيل وزارة الخارجية عام ١٩٧٥
□ وكيل أول وزارة الخارجية فى إبريل ١٩٨١
□ مساعد وزير الخارجية فى أغسطس ١٩٨١

وفى عام ١٩٦٢ ، جبت عواصم أخرى فى العالم ، فقمت بزيارة رسمية إلى عواصم دول أوروبا الشرقية ووصل ترحالى إلى الصين .

وفى عام ١٩٧٥ ، قمت بزيارة رسمية إلى دول أمريكا اللاتينية ، والتقيت برؤساء الدول والمسئولين فى أربع عشرة دولة فى هذا الجزء من العالم .

ولعل ظروف العمل الدبلوماسى هى التى جعلتنى اتنقل بين مناصب كثيرة فى الخارج والتى بلغت اثنى عشر منصباً ، من بينها سبعة مناصب كنت فيها رئيسا للبعثة الدبلوماسية ، وكان لكل منصب طابعه وأوصافه ، حرارته وبرودته ، غيومه وصفاء سمائه .

الفصل الرابع

مارسيليا . . أول الطريق

فى ١٦ إبريل ١٩٥٤ كنت أخطو أولى خطواتى نحو عالم الدبلوماسية حينما سافرت وزوجتى على الباخرة « كامبودج » القادمة من الشرق الأقصى فى طريقها إلى أوروبا . وكنت قاصدا « مارسيليا » فى جنوب فرنسا حيث كان قد تم تعيينى قنصلا بها . وقطعت الباخرة الرحلة بين الاسكندرية ومارسيليا فى أقل من ثلاثة أيام .

وعلى ظهر الباخرة تعرفت على أحد سفراء فرنسا القادمين من الشرق الأقصى ، وكان قد أنهى خدمته ليعود إلى بلاده بعد خمسة وثلاثين عاما من العمل فى الحقل الدبلوماسى . وجلست استمع إلى السفير الفرنسى الذى كانت شيبته تنطق بالخبرة وثقل السنين وتجاربها . وحدثنى الرجل عن سنى عمله فى مناصبه المختلفة ، وبدأ حديثه عن الدبلوماسية بشكل عام فقال : إن كثيرا من الناس ينظرون إلى الدبلوماسى وكأنه من طين أو عجين آخر ، يجذبهم مايحيط به من مظاهر الحياة الدبلوماسية وزخرفها و هم على بعد منها ، ويشدهم حديثه المنمق وكلامه المحسوب كأنه غير وارد فى قاموس اللغات ، يقتربون منه بحذر كأنه قادم من عالم الفضاء ويتحسسون قسمات وجهه وكأنها غير قسمات البشر ، ويتصورون أن العمل الدبلوماسى ماهو إلا رحلة طويلة تنظمها شركات السياحة العالمية على مدى السنين .

ثم يستدرك السفير فيقول : ربما كان لبعض الناس الحق فى هذا التصور . إذ أن هناك من الشباب من يبدأ حياته فى السلك الدبلوماسى بالسعى بكل الطرق ، إلى تعيينهم فى بلاد تجذبهم فيها ، المتعة واللهو أكثر من بلاد أخرى تشدهم للعمل الجدى ليضعوا اللبنات الأولى على طريق مستقبلهم الطويل . ويضيف السفير قائلا : لقد قابلت فى حياتى من الشباب من يقول إنه طالما يستطيع أن يذهب إلى المكان الذى يريده على خريطة العالم ، فلماذا يبذل الجهد فى عمله ؟ . ومع ذلك فإنى لا ألوم مثل هؤلاء الشباب بقدر ما ألوم رئيس البعثة الذى يترك الأمور فى سفارته لتسير على هوى من فيها|ولايهتم بلفت نظر هذا الشباب وتوجيهه إلى الطريق ، السليم ليسير عليه بخطى ثابتة نحو عمل ينفعه وينفع بلاده . وأرى أن السفير له مهمة المعلم الذى يلقن تلاميذه الدروس الأولى وينير لهم الطريق ويجازيهم على حسن أدائهم ويحاسبهم على أخطائهم حتى تنمو شخصيتهم ويشتد عودهم . ثم التفت إلى وقال : يجب أن تدرك ، وأنت فى خطاك الأولى على الطريق ، أن سمعة الدبلوماسى تبدأ معه منذ أن تطأ قدمه إلى الخارج ، وتظل عالقة به مدى حياته الدبلوماسية ، فإن كانت سمعة طيبة سارت معه حتى نهاية المشوار ، وإن كانت سيئة صعب عليه أن يخفف من سوئها أو يغيرها مهما طالت السنين .

ثم أضاف قائلا : أنصحك ألا تجعل هدفك فى عملك الدبلوماسى أن تسعى إلى النقل إلى أماكن تبدو براقة بين عواصم أوروبا أو غيرها ، وعليك أن تقتنع أن أى نقل ، حتى ولو كان للأسوأ من وجهة نظرك ، فإن فيه فائدة سوف تشعر بها رغم البداية الصعبة التى قد تحيط بالمنصب الجديد .

وأضاف السفير : أنه لايمكن أن نستبعد من حياتنا أسلوب الخواطر والمحسوبيات والذى نجده فى كل موقع فى الداخل والخارج ، ومع هذا فإنى أنصحك ألا تتعلق بكتف أحد،بكتف أحد الأقرباء المسئولين الذين يدفعونك على الطريق ويمسكون بيدك فى كل تحركاتك . سوف تجد نفسك محاطا بأعين حاقدة ، وحتى إذا حققت أى نجاح فى عملك فلن يحسب لك ، ولكنه يذهب إلى حساب من أخذ بيدك ووضعك فى مكان لاتستحقه . إن عملك وحدك وقراءاتك واطلاعاتك هى وحدها التى تبقى لك ، وهى التى تدفع المسئول إلى أن يختارك ويضعك فى المكان المناسب . إن العمل الجيد يعلن عن نفسه دائما . وأضاف السفير : إن لدينا فى قاموسنا الاقتصادى قولا مأثورا « النبيذ الجيد يعلن عن نفسه » ، فلا تجعل الحزن أو اليأس يأتى إلى قلبك إذا وجدت من هو دونك فى الكفاءة ، قد شغل منصبا مرموقا ، وأعلم أنه كأوراق الخريف تتساقط مع أول ريح قادمة ، وإن كانت هادئة .

وعاد السفير ليقول : إنه لمن الأهمية بمكان أن يكون الدبلوماسى على دراية كافية بتاريخ بلاده وحضارتها . ثم التفت إلى وقال : إننى اتوقع أن تكون معلوماتك عن تاريخ مصر على مر العصور منذ الفراعنة حتى الفتح الاسلامى حاضرة دائما فى ذهنك . إن بلادك قد أثرت الدنيا كلها بحضارتها القديمة ، وإنى على ثقة من أنك ستجد من بين المثقفين الفرنسيين من يسألك عن تاريخ الفراعنة مع الأمل الكبير فى أن يزوروا بلادكم لكى يشاهدوا بأعينهم ماخلّفه هؤلاء العظماء القدماء من ثروة حضارية وفكرية للعالم بأجمعه .

ثم استطرد السفير الفرنسى قائلا : إن السفراء أصحاب المدارس المعروفة فى تاريخنا الدبلوماسى قد وضعوا أمامنا برنامج عمل نسير عليه حينما نذهب إلى مكان عملنا الجديد ، ويتلخص فى أن نقرأ عن تاريخ البلد وعلاقاته بالدول المجاورة ، والتطورات التى حدثت فى هذا البلد على مدى السنين داخليا وخارجيا ، والوقوف على عادات وتقاليد أهل البلد ، وياحبذا تعلم اللغة المحلية إذا كان لديه الوقت الكافى لذلك .

وتحدث السفير عن أن الدبلوماسى لابد أن تكون له قراءاته فى أوقات فراغه ، ولاتلزم أن تكون فى الكتب السياسية فحسب ، بل فى كتب التاريخ والأدب والفن ، كلها قراءات توسع مدارك الدبلوماسى وتجعله أكثر قبولا لدى المجتمع الذى يعيش فيه . ويستدرك السفير قائلا : كم من الدبلوماسيين قابلتهم فى بلاد العالم يمضون جلساتهم دون القدرة على إثراء تلك الجلسات بأى معلومات جديدة ، أو رأى جديد فى أى فرع من فروع الثقافة ، ومثل هؤلاء لايجدون قبولا ولاترحيبا كبيرا فى تلك المجتمعات .

ثم تحدث السفير عن زوجة الدبلوماسى ، وقال إنها تعتبر شريكا متضامنا مع زوجها ، ودورها يعتبر عاملا مساعداً فى سبيل النجاح . إن ظهورها بالمظهر اللائق فى ملبسها وثقافتها ، وقدرتها على استقبال ضيوفها بإشراقة باسمة ، ومشاركتها لهم فى الحديث بلغة سليمة هادئة ، كلها عوامل تصنع خطوات النجاح أمام زوجها على طريق مستقبله . ولذلك فإن اختيار الزوجة التى تتوافر فيها مثل هذه الصلاحيات هو أساس من أسس النجاح وإلا كانت النتيجة عكسية .

وكم كنت سعيدا أن استمع إلى حديث السفير الفرنسى طيلة رحلتنا على المركب

« كمبودج » من الاسكندرية إلى مارسيليا ولعل الأقدار قد أعدت لى هذا اللقاء مع تجربة قيمة وغالية ، تجربة رجل مارس الحياة الدبلوماسية لسنوات طويلة ، فوضع أمامى كثيرا من معالم الطريق ، اتخذتها منارا لى على مدى خدمتى فى السلك الدبلوماسى ، وكلما خطوت خطوة نحو الأمام وأنا مازلت فى مقتبل عمرى وعملى ، تذكرت الرجل وحديثه وتجاربه وسرت على هداه بكل الرضا والاقتناع .

ومع اليوم الثالث من رحلتنا فى فجر يكاد لا يظهر بين السحب المنخفضة والضباب ، وصلنا إلى شاطىء الميناء الكبير « مارسيليا » وودعت السفير الفرنسى بكل حرارة شاكرا له كل ما قاله لى . واتفقنا على التراسل فيما بيننا ، وكنت أكتب له بين وقت وآخر فى مكان عزلته الجديد فى منطقة بريتانى .

سمو الأميرة .. زوجة السفير

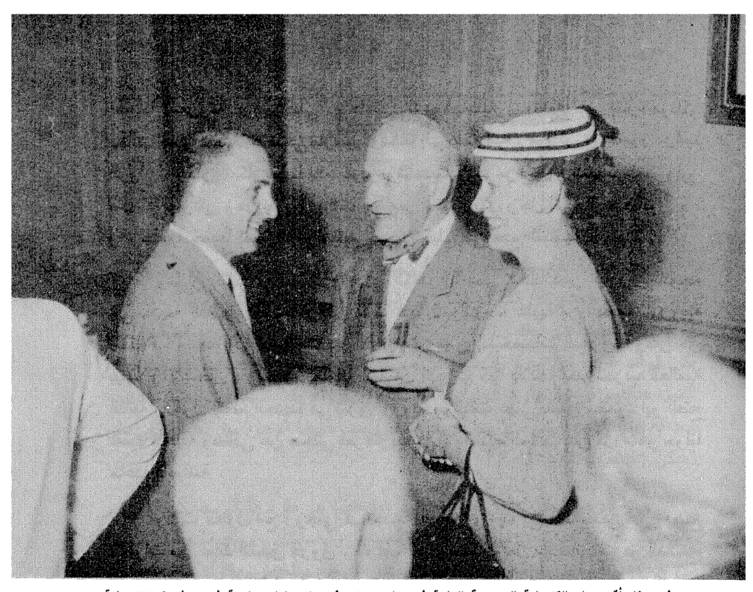
مارسيليا : ديسمبر ١٩٥٤

لم يكد يمضى على تسلمى العمل قنصلا فى مارسيليا سوى ثلاثة شهور ، وكنت مازلت فى مرحلة ترتيب أحوالى للاستقرار فى المنصب الجديد . وفى ١٠ ديسمبر ١٩٥٤ ، اتصل بى سفيرنا فى مدريد ورجانى أن أكون فى استقبال الأميرة العربية ، زوجة أحد السفراء العرب فى أسبانيا ، والتى كانت ستصل على الباخرة إلى الميناء مارسيليا ، وحدد لى موعد وصولها . وذهبت إلى الميناء فى الموعد المحدد ، وصعدت إلى الباخرة « فرانس » لاستقبال الأميرة وابنها الصغير . وكان معها ست من الوصيفات ومجموعة من الحقائب الكبيرة الحجم يزيد عددها عن خمس عشرة حقيبة . وذهبنا جميعا إلى الفندق القريب من القنصلية لكى تأخذ الأميرة قسطا من الراحة قبل مواصلتها السفر بالقطار فى نفس اليوم من مارسيليا إلى مدريد . ودعوت الأميرة وابنها على العشاء ، ولكنها اعتذرت وفضلت البقاء فى الفندق للراحة ، فاستأذنت منها وعدت إلى القنصلية حيث كان عندى على العشاء مجموعة من الدبلوماسيين المصريين والأجانب وزوجاتهم .

وما أن دخلت مع المدعوين إلى غرفة الطعام حتى دق جرس التليفون ، وإذا بالأميرة تطلب منى الحضور إلى الفندق لأمر هام ، فاستأذنت من المدعوين وتركتهم مع زوجتى وذهبت إلى الفندق لمقابلة الأميرة ، وانتحت بى جانبا وقالت لى إنها فى حاجة إلى مبلغ من المال حتى تدفع للفندق ثمن بعض المأكولات والمشروبات لها ولابنها والوصيفات ، فضلا عن حاجتها لمبلغ آخر يكون فى يدها تحسبا لأى طارىء وقالت لى إنه لايوجد معها سوى دفتر الشيكات ، وأن الساعة أصبحت الثامنة مساء والبنوك أغلقت أبوابها . ولم يكن معى المبلغ المطلوب ، وذهبت إلى دار سكنى بالقنصلية ، وعدت إلى الفندق ومعى المبلغ وسلمته للأميرة ، ووعدت سموها بأن ترسل لى شيكا بالمبلغ بمجرد وصولها إلى مدريد . ورجعت إلى القنصلية لألحق بالمدعوين قبل أن ينتهى العشاء . وفى منتصف الليل كان على أن أذهب إلى الفندق من جديد وأصطحب الأميرة ومن معها إلى محطة القطار فى مارسيليا حتى أطمئن على سفرها فى أمان الله إلى مدريد .

ومرت شهور طويلة لم أسمع كلمة من مدريد . وفى أحد الأعياد اتفقت مع بعض الزملاء لقضاء أجازة العيد فى مدريد ، وقابلت السفير العربى فى مكتب سفيرنا المصرى فى مدريد ، ولم يكلف خاطره بأن يوجه لى عبارة شكر على معاونتى لزوجته وابنه . ولم أهتم كثيرا وعدت إلى مارسيليا بعد بضعة أيام ومرت عدة شهور وتصادف أن ذهبت إلى ميناء مارسيليا لاستقبال أحد الزملاء القادمين من مصر على الباخرة المصرية « نفرتيتى » وكانت المفاجأة أن أرى سمو الأميرة وزوجها السفير ومعهما الابن الوحيد ، رأيتهم وهم يستعدون للسفر على المركب العائدة إلى الاسكندرية ومنها إلى بلادهم . وتجاهلتنى الأميرة كما تجاهلنى زوجها العزيز ، فتقدمت إليهما مصافحا ومذكرا لهما باسمى ووظيفتى واستقبالى للأميرة عند قدومها إلى مارسيليا منذ بضعة شهور .

ولكن لم يحظ كلامى بأى رد فعل وصافحانى بيد باردة ومشى السفير بصحبة أميرته وصعدا إلى المركب فى أمان الله . وعدت إلى نفسى وقلت إن كلمة « البجاحة » لابد وأنها جاءت فى قاموس لغتنا لوصف هذه الحالة فقط .. !! وربما اعتقدت الأميرة والسيد زوجها السفير ، أن هناك عبيدا على الأرض ملزمين بتأدية الخدمات إلى الأمراء والأسياد ، دون توجيه حتى كلمة الشكر لهم . وانتهت فترة



فى حفل أقيم بدار القنصلية المصرية العامة فى عام ١٩٥٥ فى مارسيليا بمناسبة ذكرى ثورة ٢٣ يولية .

خدمتى فى مارسيليا ـ بل وانتهى عملى الدبلوماسى ، ولم أسمع من الأميرة أو السفير أى جديد وكذلك لم يصلنى الشيك الموعود من شيكات صاحبة السمو ، الشيك بالمبلغ المقترض والذى كان يمثل ثلاثة أرباع مرتبى بالكمال والتمام .

لقاء مع فاروق .. الملك السابق فى زواج أمير موناكو

مارسيليا : ١٥ مارس ١٩٥٥

وجهت إلينا الدعوة لحضور حفل زواج الأمير رينيه أمير موناكو على ممثلة

السينما المعروفة جريس كيلى . وجاءتنى الدعوة باعتبارى معتمدا لدى إمارة موناكو بجانب عملى قنصلا عاما فى مارسيليا ودخلنا إلى كاتدرائية « موناكو » لحضور مراسم الزواج . وكان المكان مليئا بالمدعوين وشاهدت لأول مرة نجوم السينما المعروفين مثل آفا جاردنر وجريجورى بيك ، وجيمس ستيوارت ورجل الأعمال « هيلتون » ، وقد جاءوا جميعا لمشاركة زميلتهم جريس كيلى فى هذه المناسبة السعيدة .

وما أن انتهت مراسم الزواج فى الكاتدرائية حتى دعانا كبير الياوران للتوجه إلى حديقة القصر الواسعة والتى مدت فيها الموائد بما عليها من أطعمة أوروبية مختلفة . ودخلنا إلى حديقة الأمير ، ورأيت بعض الشخصيات المعروفة وكان من بينهم « الأغاخان » وبعض الملوك السابقين الذين تركوا بلادهم بعد الحرب العالمية الثانية ودخول النظم الجديدة فى شرق أوروبا . والتقت عينى بالسيد محمود أبو الفتح فقمت بتحيته وسألنى عن صفتى فعرفته بنفسى ، وتبادلنا الحديث عن كل ماهو حولنا ماعدا السياسة .

وكنت اتجول مع زوجتى فى حديقة القصر ، وإذا بى أجد نفسى على بضع خطوات من الملك السابق فاروق . فتوقف الملك لحظة ولعل ماشد انتباهه هو الملامح المصرية الصميمة الواضحة على وجه زوجتى ، ولم يتكلم أى منا وانصرف كل فى طريقه . وشاهدت « الملك » ، يتجه نحو محمود أبو الفتح ويتحدث معه وهو يشير إلينا بإيماءة جانبية . ويبدو أن « أبو الفتح » أفاده بأننى القنصل المصرى ، ورأيت الملك وهو يتجه نحونا بغضب ولكن يتوقف فجأة ويعود أدراجه لينضم إلى باقى مجموعة الملوك السابقين . ولست أدرى ماذا كان ينوى أن يفعله حينما اتجه إلينا وهو مقطب الوجه . ويبدو أن وجودى فى تلك المناسبة ممثلا للنظام الجديد الذى أقصى « فاروق » عن عرشه قد حرك مشاعر الملك ، وأعاد إلى نفسه ذكريات لم تكن سعيدة .

قارئة المنديل

مارسيليا : ٢٢ فبراير ١٩٥٥

بعد ساعة من ممارسة رياضة المشى فى إحدى الحدائق العامة ، جلست وزوجتى على إحدى الأرائك المنتشرة فى الحديقة ، وأقدم علينا طفل وطفلة ، وأخذت زوجتى تداعبهما فى لطف ، وانتهى الأمر إلى أن تعرفنا على والدى الطفلين . لم يكن الوالد غريبا عن مصر إذ عمل فى شركة قنال السويس سنوات طويلة ، ثم ترك العمل هناك وتفرغ للتجارة الدولية بين فرنسا وساحل أفريقيا الشمالى . ونشأت علاقة صداقة بيننا ودعيانا إلى منزلهما الريفى ، ثم وجهنا اليهما الدعوة مع الطفلين فى دار السكن بالقنصلية .

وبدأ الرجل يتحدث عن تجارته التى تعرضت فى فترة ما إلى خسائر كبيرة . ثم تحدث عن زوجته وقدرتها على قراءة الماضى والمستقبل ، وذلك بأن تأخذ منديلا من صاحب الشأن وتفركه بين يديها وتغمض عينيها وتلخص ماتراه عن الماضى والمستقبل . ويدلل الرجل على قدرة زوجته فى هذا المجال فيقول : كنت انتظر بضاعة سبق أن تعاقدت عليها من المغرب لتصل بالباخرة إلى مارسيليا وقبل وصول الباخرة بليلة واحدة ، كنا موجودين بالمنزل وسألت زوجتى مداعبا « ياترى أخبار البضاعة إيه ؟ » . فأمسكت الزوجة بمنديل زوجها ، وأغمضت عينيها وقالت : « إننى اعتقد أن البضاعة لن تصل .. » . فاندهش الزوج وقال لزوجته : « يبدو أنك متعبة الليلة ، وغير قادرة على الرؤية السليمة » . فقالت الزوجة : « إنى أرى البضاعة وهى تحترق على ظهر الباخرة .. » . فلم يلتفت الزوج إلى حديث زوجته ، وذهب إلى فراشه لينام . ويقول الزوج : وفى السادسة من صباح اليوم التالى وصلتنى برقية من وكيل شركة الشحن تفيد بأن السفينة الشاحنة للبضاعة قد احترقت فى عرض البحر .. ويعلق الرجل بأنه أصيب بخسائر كبيرة كادت تقضى على تجارته .

وهنا تحمست زوجتى وأعطت السيدة الفرنسية منديلا من عندها فأخذته بين يديها وأغمضت عينيها ، وقالت : « أرى أن أول مولود لك سيكون أنثى ، وأنها

ستمرض وتكون بين الحياة والموت ولكنها ستشفى بعد فترة » ، ثم قالت لزوجتى : « إنك ستفقدين شخصا عزيزا عليك أثر حادث » ، ثم أنهت قراءتها للمنديل وقالت : « ولكن المستقبل أمامك يبشر بكل نجاح مع زوجك » .

ومن الغريب أن تصدق السيدة الفرنسية فى كل ماقالت ، فقد كان أول مولود لنا أنثى ومرضت وكانت بين الحياة والموت ولكنها شفيت بعد فترة ، وفقدت زوجتى شقيقها الطيار الذى استشهد فى حرب ١٩٥٦ . ثم طلبت السيدة الفرنسية منديلا منى وأغمضت عينيها وقالت : « إنى أراك فى الماضى وكأنك مرتديا بذلة وعلى كتفيك مايشبه الشبكة النحاس ، وأراك وقد كنت فى لقاء مع شخصية كبيرة جدا قبل مجيئك إلى هنا وأرى فى مستقبلك أنك ستأتى مرة ثانية إلى هنا فى فرنسا ولكن فى منصب أعلى ، وأنه لن يكون لك ولد وأن ذريتك كلها بنات » .

وصدقت قارئة المنديل فيما قالت ، فقد كنت قبل التحاقى بالعمل الدبلوماسى ضابطا بالفرسان يضع الزرد (الشبكة) على كتفيه وقد قابلت الشخصية الكبيرة جدا وهو جمال عبد الناصر قبل سفرى إلى مارسيليا ، عدت إلى فرنسا مرة ثانية بعد سبع سنين لأتسلم منصب أول قائم بالأعمال فى باريس بعد عودة العلاقات بين البلدين ولم يمنحنى الله ولدا وكانت نعمته على بإبنتين .

وقد توطدت العلاقات بيننا وبين تلك العائلة الفرنسية وكنا نتزاور إلى أن جاءت أحداث عام ١٩٥٦ وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم شركة قنال السويس وكنا قد تواعدنا مع العائلة الفرنسية على اللقاء معا على الشاى فى دار السكن بالقنصلية وما أن جلس الرجل على مقعده حتى بدأ يتحدث بلهجة حادة مستنكرا ماقامت به مصر ، والخطأ الكبير الذى أقدمت عليه بتأميمها للقنال ، ثم وجه كلامه لى قائلا : إن أفضال فرنسا على العالم وعلى المنطقة لاتعد ولاتحصى ، وإن الوجود الفرنسى فى مصر حينما ذهب إليها نابليون ، كان خيرا وبركة لكم . إننا أصحاب الفضل فى تعليمكم ونقل ثقافتنا اليكم ، إننا صنعناكم وعلمناكم وثقفناكم وخلقنا منكم طبقة المتعلمين المثقفين ، وجعلنا منكم سفراء وقناصل وقد أصابنى نوع من الذهول أن اسمع مثل هذا الكلام من رجل مثقف وموجود فى رحابى ، ولم اتمالك نفسى وهممت بالرد عليه .. ولكن قامت عنى زوجته بهذه المهمة وهى تصرخ فى وجهه لكى تثنيه وتمنعه عن الكلام ، وقالت له ، كيف تجرؤ أن تتحدث بهذه اللهجة الجارحة إلى هذه

العائلة الكريمة ونحن فى ضيافتها ، إنك لابد أن تكون قد فقدت وعيك وعقلك ، إنك أخطأت خطأ جسيما ، إننى لن اسامحك ، لن أصفح عنك ، لن أصفح عنك . وجذبت الزوجة الفرنسية زوجها من يده ودفعته أمامها إلى باب الخروج . وفى اليوم التالى جاءت الزوجة دون موعد مسبق ، حزينة باكية تتأسف عما حدث من زوجها وتقول إنها لاتجد أى مبرر لذلك ، ورجت فى إلحاح أن نقبل عذرها وأن نصفح .

ومضت الأيام بسرعة وانقطعت العلاقات بين مصر وفرنسا بسبب الاعتداء الثلاثى . وفى يوم رحيلنا من مارسيليا ، جاءنا الأصدقاء وكان فى مقدمتهم الزوجة الفرنسية وزوجها ، وطلب الزوج أن نقبل اعتذاره وأسفه عما بدر منه .

السيدة الفرنسية تريد زوجا عربيا

مارسيليا : ٢٨ يولية ١٩٥٦

كانت لنا صديقة فرنسية تتردد على زوجتى فى زيارات من وقت لآخر وتوطدت العلاقات بيننا وأصبحت كفرد فى عائلتنا الصغيرة ، واستمرت العلاقات الطيبة قائمة معها حتى مغادرتنا مارسيليا . وكان يصل إلينا (إلى ميناء مارسيليا) كثير من المصريين القادميين من مصر أو العائدين إليها . وفى ليلة على العشاء كان هناك أحد المصريين الذى أدعى أنه يعرف فى علم الكف وقراءة الفنجان . وألحت السيدة الفرنسية على زميلنا المصرى لكى يقرأ لها الفنجان ، فقال لها : « إننى أرى رجلا عربيا فى قاع الفنجان ويده فى يدك ، وربما ترتبطين به فى المستقبل القريب » .

وظل هذا الكلام يداعب خيالها إلى حد أقتناعها بأنها سوف تتزوج من شخص عربى ، وفى الفترة الأخيرة من وجودنا فى مارسيليا تعرفت هذه السيدة الفرنسية عن طريقنا ، على قنصل إحدى الدول العربية التى كانت قد استقلت حديثا . ولم تمض شهور على هذا التعارف حتى اتصل بى القنصل العربى ، وكنت وقتها قائما بالأعمال

فى بروكسل ، وعبر لى عن رغبته فى الارتباط بتلك السيدة الفرنسية ، وقلت له إننا لانملك إلا أن نبارك هذا الارتباط لأنها سيدة فاضلة وكاملة . وكان على القنصل العربى أن يستأذن رئيس دولته للسماح له بالزواج من السيدة الفرنسية ، تم ذلك وأشهرت السيدة إسلامها وتسمت باسم عربى مسلم ، واصطحبها زوجها إلى أمريكا فى منصبه الجديد ثم إلى بلجيكا ، وأنجبا طفلة وهى الآن طبيبة مرموقة فى معهد باستير فى باريس . وظلت هذه السيدة تحفظ لنا على مدى السنين كل الوفاء والمودة ، وما من مناسبة تأتى إلا وتقول : « إذا كنت اليوم فى مثل هذا المركز ، زوجة لسفير فالفضل يرجع إلى عائلة منصور التى منحتنى كل المحبة وعرفتنى بزوجى ، وأخذت بيدى فى أوقات كانت أحيانا شديدة وقاسية » . إنها لمحة وفاء لانجدها كثيرا هذه الأيام . وصدقت نبوءة الزميل الذى قرأ الفنجان .. وتزوجت السيدة الفرنسية فعلا من زوج عربى .

دعوة إلى الخيانة

مارسيليا : ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦

كانت القنصلية المصرية فى مارسيليا تقع فى ممر « ليون جامبتا » . وفى نهاية هذا الشارع يوجد فندق اسمه « سلكت » . وكانت تربطنى علاقة طيبة بمدير الفندق الذى كان ينزل فيه كثير من المصريين القادمين من مصر والعائدين لها .

ولم يمض يوم على إعلان مصر قطع علاقاتها مع فرنسا بسبب الاعتداء الثلاثى ، حتى حضر إلى القنصلية مدير الفندق . بدون موعد وطلب مقابلتى على وجه السرعة ، وانتظرنى فى الغرفة الملحقة بصالون المكتب . وكنت مشغولا بحرق وإعدام الأوراق المتبادلة بين القنصلية والسفارة ومكتب الملحق العسكرى فى باريس ، وذلك تنفيذا لتعليمات الأمن . واستقبلت مدير الفندق الذى بدأ بإظهار أسفه لما حدث بين فرنسا ومصر ، وقال إن « صوت العرب » كانت سببا فى استفزاز فرنسا مما أضطرها إلى القيام بعمل عسكرى ضد مصر . ثم توقف فجأة ، وقال لى :

« إن لدى رسالة من السلطات الفرنسية (ولم يذكر ماهى تلك السلطات) ، رسالة تعرض عليك أن تبقى أنت وعائلتك فى رعاية هذه السلطات معززا مكرما ، لك سكن لائق وعربة بالسائق ومرتب محترم وخدم لمنزلك ، ولاداعى للعودة إلى مصر فى تلك الظروف » . فلم أصدق أذنى وطلبت منه أن يعيد علىّ ماقاله ، فارتبك الرجل وتلعثم وردد ماسبق . ولم أكن اتصور أن هذا الرجل عميل للمكتب الثانى الفرنسى الذى حمّله هذه الرسالة : فقلت لمدير الفندق : ليس لى رد على الرسالة سوى أن تخرج حالا من القنصلية ، ولاتعود لهذا المكان بعد الآن . فقال لى : « انت تطردنى من منزلك » فقلت له : هذا أقل مايمكن أن أفعله وأرد به على من حملك رسالة الخيانة .

ملجأ العَجَزة

بروكسل : ١٧ مارس ١٩٥٧

صدر قرار نقلى إلى بروكسل وكانت أول مرة أذهب فيها إلى تلك العاصمة . وكنت قد طلبت من السفارة هناك أن تحجز لى غرفة فى أحد الفنادق القريبة منها ، ووصلت إلى بروكسل واصطحبنى أحد الزملاء إلى الفندق . وفى الصباح ، أثناء تناولى طعام الافطار ، لاحظت أنه لايوجد بالفندق سوى رجال ونساء مسنين ، وأن أصغر من فيهم قد اقترب من الثمانين من عمره المديد ، واندهشت كيف يمكن تجميع مثل هذا العدد من المسنين فى فندق واحد . وفى الغداء ، لاحظت أن كافة النزلاء يتجمعون فى صالة كبيرة أشبه بالميس وبها موائد فى صفوف متتالية ، وأن الغداء له موعد محدد لايمكن التأخير عنه . وقبل نهاية الغداء حضر المسئول عن الفندق إلى صالة الطعام وسأل الموجودين عن نوع الفاكهة التى يرغبها كل منهم ، وقال : « اللى عاوز موز يرفع إيده » . . فيرفع ايده من يريد الموز ، ثم نادى مرة ثانية : « اللى عاوز تفاح يرفع ايده » . . فيرفع إيده من يريد التفاح . واندهشت من هذه الطريقة التى لم أصادفها فى حياتى فى أى فندق نزلت به فى الخارج .

وفى أحد الأيام وأنا ذاهب إلى صالة الطعام للعشاء ، جاءتنى زوجة صاحب الفندق مصطحبة سيدة تعدت السبعين من عمرها ، وقالت لى : « هل تسمح لهذه السيدة أن تجلس إلى مائدتك ، لأنها وحيدة ويسعدها أن تجد أحدا تتحدث اليه أثناء العشاء » فلم أرد أن أكسر بخاطرها ، وقلت فى نفسى اننى كنت أتحدث أحيانا مع جدتى وهى فى هذه السن ! وبدأت السيدة تقص علىّ تاريخ حياتها وأنها تزوجت ثلاث مرات ، الزوج الأول مات فى حادث على الطريق ، والزوج الثانى هرب منها إلى غيرها ، أما الزوج الثالث فقد أدركه الموت وهو نائم ، وأصبحت مقطوعة من شجرة لاولد ولا زوج . ثم استدركت قائلة إنها فى حاجة إلى من يملأ عليها حياتها ، وأنها تعتقد أنها فى هذه المرة ستكون أكثر حظاً .. ! وسألتنى عن نفسى ، فقلت لها إننى هنا فى بروكسل لمدة شهور محددة وسأذهب بعد ذلك إلى مكان ناء فى أفريقيا . وإذا بالسيدة ترد على قائلة : إننى جاهزة للذهاب معك وتشبثت بيدى وهنا توقفت عن الحديث معها واستأذنت منها بعد أن تمنيت لها نوما هادئاً . وفى اليوم التالى سألت صاحبة الفندق عن تلك السيدة فقالت لى إن شعورها بالوحدة وهى فى هذه السن قد سبب لها لوثة تظهر عندها من وقت لآخر فقلت فى نفسى لعل هذه اللوثة قد ظهرت بالأمس حينما كانت برفقتى على المائدة فى العشاء ، العشاء الأخير .

وفى نهاية الأسبوع الذى أمضيته بالفندق (أقصد دار المسنين) كنت عائدا فى ساعة متأخرة من الليل بعد العشاء عند أحد الزملاء فى السفارة ، وصعدت على السلم واتجهت إلى غرفتى وأدرت المفتاح ودخلت . وإذا بى أجد مدير الفندق وزوجته نائمين فى الغرفة ، واستيقظ الرجل منزعجا ونادى يابوليس .. !! ولكنه لم يكمل نداءه حينما شاهدنى وتحقق من شخصيتى وقال لى : « آسف ياسيدى يبدو انك قد أخطأت فى الحجرة إن موقع غرفتك هو نفس موقع هذه الغرفة ولكن فى الدور الثالث ونحن هنا فى الدور الثانى » . فتأسفت لصاحب الفندق على ماسببته له من إزعاج وصعدت إلى غرفتى فى الدور الثالث لأقضى آخر ليلة لى فى ملجأ العجزة .

عروس حامل

تريستا : ١٢ يناير ١٩٦٠

دخل إلى مكتبى نائب القنصل وهو منزعج ، وقال لى إن هناك سيدة إيطالية تريد أن تعقد قرانها على أحد المصريين ، فقلت وماسبب هذا الانزعاج ؟ فقال : استأذنك فى أن تأتى السيدة إلى مكتبك لتراها ، ودخلت السيدة ومعها والدتها وعليها علامات الحزن وكانت السيدة تتألم وهى قادمة إلى مكتبى وقد ظهر عليها أنها على وشك أن تضع مولودها .

ولخصت الوالدة القصة فى أن ابنتها كانت قد تعرفت على أحد الملاحين المصرين ، وهو يعمل على خطوط الملاحة بين تريستا والاسكندرية وبورسودان ، وأنهما اتفقا على الزواج ، وعبثا حاولت الابنة أن تكتب للملاح المصرى لكى يأتى إلى إيطاليا لعقد قرانه عليها ولكنه بقى شهورا طويلة فى رحلاته دون أى رد . وأخيرا أرسل توكيلا لأحد معارفه فى إيطاليا لكى يتم عقد القران فى أى قنصلية مصرية . فقلت لوالدتها إن هناك شروطا للزواج وفقا للشريعة الاسلامية وأهمها أن تكون العروس خالية من الموانع ، ومن الواضح أمامنا أن ابنتك فى شهرها التاسع ، وأنها تتوقع الولادة بين يوم وآخر . وأوضحت لها أن الشاب المصرى الذى يريد أن يتزوج من إبنتها غير موجود حتى نستمع إلى رأية وقراره ، لأنه من غير المعقول أن يتم عقد القران اليوم ويأتى المولود الجديد فى غضون أيام قليلة . وغادرت السيدة وابنتها القنصلية إلى فينيسيا حيث وضعت مولودها فى أحد المستشفيات هناك ، وأعطت المولود اسم عائلتها هى وليس اسم الشاب المصرى !

القنصل والنبيذ الفرنسى

تريستا : ٢٣ يناير ١٩٦٠

كان القنصل الفخرى للبنان من الشخصيات اللطيفة والمولعة بالمظاهر . وفى إحدى دعوات العشاء فى منزلى لأعضاء السلك القنصلى وبعض المسئولين والشخصيات الايطالية فى تريستا ، كان قنصل لبنان يتصدر إحدى الموائد . وحينما بدأ الخادم الايطالى بالمرور على موائد المدعوين ليفرغ النبيذ فى كئوسهم ، استوقفه القنصل اللبنانى وسأله : مانوع هذا النبيذ .. هل هو نبيذ فرنسى ؟ فأجابه السفرجى بأنه نبيذ إيطالى من أجود الأنواع فأمره بأن يرفع كأسه من أمامه وقال له بغضب : « إننى لاأشرب سوى النبيذ الفرنسى »

وكان الخادم الإيطالى سريع التصرف فقال للقنصل اللبنانى : -

اطمئن ياسيدى فسوف أحضر لك حالا نبيذا فرنسيا جيدا .

ونزل الخادم إلى المطبخ واختار إحدى الزجاجات الفارغة القديمة والتى كان بها نبيذ فرنسى وملأها من نفس النبيذ الايطالى الذى كان يقدمه إلى قنصل لبنان وعاد إلى المائدة وقال للقنصل - لقد أحضرت لك نبيذاً فرنسيا مميزا .. فقرأ القنصل ماهو مكتوب على الزجاجة بالفرنسية وأنه نبيذ فرنسى معبأ منذ عام ١٩٥٠ ، فطلب القنصل من الخادم أن يضع له فى كأسه بعضاً من النبيذ لكى يتذوقه وما أن انتهى من تذوقه حتى قال للخادم الايطالى : « أشكرك خالص الشكر ، هذا نبيذ فرنسى ممتاز أرجو أن تترك الزجاجة أمامى لأشرب منها بمفردى ، ويكفى باقى المدعوين أن يشربوا من النبيذ الايطالى » . وهكذا استمتع القنصل بشرب النبيذ الايطالى المعبأ فى زجاجة كان بها نبيذا فرنسياً يوماً ما .

الكونت يقبّل يد القنصل

تريستا : ١٣ إبريل ١٩٦٠

كان معظم أعضاء السلك القنصلى فى تريستا من القناصل الفخريين ، وهم من رجال المال والتجارة ، أو من العائلات المعروفة التى تهتم أو تسعى وراء المركز أو الجاه . وفى إحدى الحفلات على ظهر البارجة الحربية الأمريكية التى كانت فى زيارة رسمية لميناء تريستا ، كان أعضاء السلك القنصلى فى مقدمة المدعوين ، وكان من بيننا أحد القناصل الفخريين يدعى « كونت رومانو » وهو رجل متقدم فى السن ينتمى إلى إحدى العائلات الإيطالية القديمة ، ويحمل لقب « كونت » ويمثل كولومبيا ، إحدى دول أمريكا اللاتينية . وكان هذا الكونت مولعا بتقبيل أيادى السيدات حتى لم يكن لديه وقت للكلام وكلما اتجه النظر نحوه فى أى حفلة وجدته يقبل يد إحدى السيدات المدعوات .

وقدم الكونت رومانو إلى الحفلة ، وكانت هناك مجموعة سيدات يقفن مع قنصل لبنان وتقدم الكونت إلى مجموعة السيدات وانهمك فى تقبيل أياديهن الواحدة بعد الأخرى ، وفى غمرة تقبيله لايادى السيدات أخذ يد قنصل لبنان وقبلها . وعندما انتهى من هذا الواجب تدارك الأمر وأخذ قنصل لبنان على جانب وعاتبه قائلا : « كيف تعطينى يدك لأقبلها ؟ » . فرد عليه قنصل لبنان قائلا : « لقد رأيتك راغبا فى تقبيل يدى فتركتها حتى لاأحرمك من هذه الرغبة » . وصارت قصة يتندر بها أعضاء السلك القنصلى فى تريستا .

القنصل البريطاني .. والعدد ١٣

تريستا : ١١ نوفمبر ١٩٦٠

أمضيت فى تريستا أربع سنوات وأصبحت عميدا للسلك القنصلى هناك ، ووضعت تقليدا بالاتفاق مع باقى القناصل بأن نلتقى على غداء شهرى فى أحد الفنادق المعروفة . وكان عدد القناصل فى تريستا أربعة عشر قنصلا . وفى اليوم المحدد للغداء ذهبت إلى الفندق الذى كان قد أعد مائدة عليها أربعة عشر مقعدا ، وبدأ القناصل يتوافدون على الفندق . وبعد دقائق من وصول القنصل البريطانى اقترب منى وقال لى فى إصرار : « لن أجلس معكم على هذه المائدة » . فسألته : وماسبب ذلك ؟ هل حدث شيىء سبب لك مضايقة أو ازعاج ؟ فقال : « لا .. ولكنى عددت القناصل الموجودين فوجدتهم ثلاثة عشر ، ولن أقول لك إننى أتشاءم من هذا الرقم فحسب ولكنى أود أن أوضح لك أنه حدثت فى عائلتى ثلاثة وفيات الواحدة بعد الأخرى بسبب وجودهم فى حفلات أو مناسبات اجتماعية وكان عدد المدعوين فيها ثلاثة عشر ، وكان من بين الوفيات شقيقتى وعلى ذلك لن أجلس معكم على تلك المائدة » . فقلت له : إننا مازلنا فى انتظار قنصل اليونان الذى اعتاد أن يأتى متأخرا فإذا لم يحضر بعد عشر دقائق سأجد لك الحل .

وانقضت الدقائق العشر وجاءنى قنصل انجلترا وقال : « استأذن منك فإننى لن أتمكن من حضور هذا الغداء » . فقلت له : سأجد لك حلاً ، وأمرت المسئول فى الفندق أن يجهز مائدتين ، مائدة عليها ستة من القناصل ومائدة أخرى عليها سبعة وقلت للقنصل البريطانى لك أن تختار الجلوس على أى من المائدتين فليس فى أى منهما ١٣ مدعو ، ووافق القنصل على هذا العرض . وحينما تقدمنا للجلوس إلى المائدتين فاجأنا قنصل اليونان بالحضور وانضم إلى باقى القناصل وأصبحنا أربعة عشر ، فأمرت المسئول فى الفندق مرة ثانية لكى يضم المائدتين لتصبح مائدة واحدة عليها الأربعة عشر قنصلا واطمأن القنصل البريطانى أن الموت لن يصل إلى عنقه .. فلم يعد هناك العدد ١٣ .

« باريزى » .. والحذاء اللامع

تريستا : ٢٨ يونية ١٩٦١

دعانا « باريزى » الأبن إلى حفلته السنوية بمناسبة عيد ميلاده وينتمى « باريزى » إلى عائلة إيطالية معروفة فى منطقة فينيسيا جوليا ، وتعمل فى قطاع الأقطان ولها مخازن ضخمة فى ميناء تريستا . وكان « باريزى » يوجه الدعوة كل سنة إلى بعض الوجوه الجديدة وكنت من بينهم . ودخلنا إلى حدائق القصر ، وقد أضيئت أشجاره بالأنوار ، وعلى كل شجرة إناء به مشروب مختلف تستطيع أن تسكب منه ماتريد من شراب ، فضلاً عن الأطعمة الايطالية المعروفة التى تزين الموائد الممتدة فى جنبات الحديقة .

وكان من ضمن برنامج الحفلة أن يصطحب باريزى مجموعة بعد أخرى من المدعوين لزيارة القصر من الداخل حتى حجرات النوم وحجرات الملابس . ويبدو أن باريزى كان يريد دائما أن يعرف القادمين الجدد بما وصل إليه من مستوى معيشة مرتفع ، وان يستعرض ثراءه وأبهته . وكنت من بين آخر مجموعة من المدعوين الذين دخلوا إلى القصر فى صحبة « باريزى » ، وشاهدنا القصر ودخلنا إلى كل غرفة إلى أن وصلنا إلى غرفة النوم والملحق بها غرفة الملابس ، وقد فتحت الدواليب على مصراعيها لكى يشاهد الزائرون كل مايلبسه السيد باريزى ، حتى ملابسه الداخلية وأحذية ركوب الخيل وأحذية السهرة .

وما أن وقع نظر « باريزى » على دولاب الأحذية حتى توقف أمامه مبهوتاً ، إذ وجد حذاء قديما باليا بجانب أحذيته الجديدة البراقة واللامعة ، فأمر أحد الخدم برفع الحذاء القديم فوجد به ورقة مكتوب عليها « أعجبنى حذاءك اللامع .. إننى لم أسرقه ، ولكننى استعرته لكى أحضر به حفل زفافى غداً .. أرجو ألا تتأخر عن الحضور إلى الحفل .. !» . وظن « باريزى » أن أحد أصدقائه أراد أن يداعبه فوضع له حذاء قديما بدلا من حذاء السهرة اللامع ، واعتقد أنه لابد أن يعيد له الحذاء .

وبعد شهر من الحفلة قابلت « باريزى » فى إحدى المناسبات ، وسألته عما إذا

كان صاحبه قد أعاد له الحذاء ، فقال وهو مقطب الوجه : « أرجو ألا تذكرنى بتلك الليلة ، لم يكن صديقا لى أراد أن يداعبنى ، وإنما كان لصا تسلل بين المدعوين فى آخر الحفلة وسرق الحذاء اللامع » .

وقرر باريزى ـ بعد ذلك ـ أن تقتصر حفلته السنوية على تقديم الأطعمة والمشروبات إلى المدعوين ، وزيارة صالونات القصر دون الدخول إلى غرف النوم ، أو غرفة الملابس الملحقة بها .

الفصل الخامس

عم شمس بدران يجمع تحف بكين

وصلت البعثة الدبلوماسية إلى بكين قادمة من موسكو ، واستقبلنا مستشار السفارة فى المطار واصطحبنا إلى الفندق . وفى اليوم التالى ذهبنا إلى السفارة وتعرفنا على السفير وأعضاء السفارة . وقامت البعثة بالمهمة المطلوبة منها فى المدة المحددة لها.

وكان من بين الملحقين الفنيين ، المستشار الثقافى السيد « بدران » وهو عم شمس بدران ، النجم الذى كان يصعد فى كنف الثورة . وتعجبت أن يكون بيننا وبين الصين علاقات ثقافية هامة تحتم تعيين مستشار ثقافى لمصر فى بكين . وربما كان تعيين السيد « بدران » وايجاد عمل له فى الخارج أكثر إلحاحا وأهمية من وجود علاقات ثقافية ذات قيمة بيننا وبين الصين !! وحقيقة الأمر أنه لم يكن له عمل تقريبا ، ولذلك كان يقضى أيامه متنقلا بين السوق القديمة والسوق الجديدة فى بكين ، باحثا عن التحف القيمة الموجودة فى تلك الأسواق . وفى أحد الأيام دعانا السيد بدران إلى

منزله لكى نشاهد مالديه من تحف اقتناها على مدى السنتين الماضيتين ، ولم تكن شقة واحدة ، بل شقتان . وبعيداً عن أى مبالغة ، كنا نسير فى الشقتين بصعوبة وكأننا فى متحف يضج بما فيه من تحف وأثاث .

وكان السيد « بدران » معروفا لدى التجار الصينيين وفى إحدى زياراته للسوق القديمة عرض عليه أحد التجار إحدى التحف ، وهى عبارة عن علبة كبيرة قديمة من الصدف ومصنوعة صنعا مميزا ، فأعجبته كثيرا ودفع ثمنها . ثم عاد بعد جولة فى الأسواق إلى منزله وبدأ يعيد النظر أو يمتع النظر بما اشتراه من تحف ، وأمسك بالعلبة الصدف وهو فى غاية السعادة وأمعن النظر فيها وأخذ يقلبها بين يديه ، ثم حدثت المفاجأة والدهشة البالغة حينما قرأ ماهو مكتوب عليها من الخلف باللغة العربية : « صنع بمدرسة طنطا الصناعية عام ١٩٢٥ » .

« تعرف إن دمك تقيل ويلطش .. ! »

باريس : ١٠ يونية ١٩٦٣

أرسل لى أحد الزملاء السفراء رسالة ومعها خطاب مرفق راجيا أن أسلم الخطاب باليد إلى سيدة مصرية كانت تقيم فى تلك الفترة فى باريس ، وأعطانى رقم تليفون إقامتها هناك . فطلبت من السكرتيرة أن تتحدث مع السيدة المصرية وتحدد معها موعدا لمقابلتى .. وكلما حاولت السكرتيرة طلب رقم التليفون ، رد عليها صوت خشن يشبه كثيرا صوت الرجال وجاءتنى السكرتيرة لتقول إنها حاولت عدة مرات وفى كل مرة يرد عليها رجل وفى آخر مرة سبها . فقلت لها سأحاول أنا هذه المرة . وأدرت رقم التليفون فرد على الصوت الخشن ، فقلت له : ياسيدى هل استطيع أن اتحدث مع .. ولم يعطنى الفرصة للاسترسال فى الحديث ، وقال الصوت : « إننى سيدة ولست سيدا !! » فقلت : آسف جدا على هذا الخطأ ، وسألتها : هل السيدة فلانة تسكن طرفكم ، وهل استطيع أن أتحدث معها ؟ فقال الصوت : نعم إنها تسكن هنا ولكنها غير موجودة الآن . فتركت رقم تليفون السفارة راجيا أن تتصل بى عند

عودتها . وفى اليوم التالى تحدثت السيدة المصرية . وبدأت كلامها بأن تأسفت لما حدث فى اليوم السابق . وقالت : « إن هذا الصوت هو صوت خالتى ، وإنى أوافقك على أنه أوحش من صوت الرجال وقد سبب لى كثيرا من الازعاج كلما تحدثت إلىّ أى من صديقاتى » واتفقت معها على أن تأتى إلى السفارة لتسلم الخطاب المرسل اليها من القاهرة .

وجاءت السيدة المصرية فرحبت بها وسلمتها الخطاب وجاء الساعى وقدم لها فنجان قهوة ، ثم انشغلت عنها دقائق محدودة للنظر فى بعض الأوراق العاجلة الموجودة على مكتبى ، إلى أن تنتهى من شرب القهوة وفجأة وبدون مقدمات ، وجهت السيدة كلامها لى وقالت : « تعرف إن دمك تقيل ويلطش .. » فرفعت رأسى عن الأوراق التى كانت أمامى ، ولم أتصور أن هذه السيدة التى أراها لأول مرة توجه إلى هذه العبارة داخل مكتبى بالسفارة . ثم قالت بسرعة : « انت حتشوفنى مرة واحدة وأنا قاعدة قدامك دلوقت ، أما الأوراق الى على مكتبك يمكن تشوفها فى أى وقت ثانى » ولم أتمالك نفسى من الضحك ولم تترك لى فرصة التعليق على كلامها وقالت : « أنا معرفكش ولكنى أعرف مراتك » . وتحدثت تليفونيا من مكتبى مع زوجتى التى دعتها إلى العشاء فى نفس الليلة بمناسبة وجود وفد رسمى مصرى .

وسمعتها تقول لزوجتى : « أنا مش واخدة على عشوات السفارات ، ومكنتش عاملة حسابى إن حد فى السفارة هيعزمنى ومعنديش فستان مناسب ، جهزى لى فستان من عندك عشان أحضر به العشاء » . وذهبت السيدة إلى الجانب الآخر من الطريق حيث دار السكن وأخذت الفستان من زوجتى ، وحضرت معنا العشاء الرسمى فى السفارة فى نفس الليلة .

ولم يمر وقت طويل حتى صارت هذه السيدة ، زوجة مرموقة لأحد كبار سفرائنا فى الخارج .

« اللهم ارحم .. حرم الاكسلانس »

باريس : ١٨ أكتوبر ١٩٦٣

وجه شيخ جامع باريس ، وهو شيخ من بلاد المغرب ، الدعوة إلى السفراء العرب والمسلمين والجالية المسلمة فى باريس للصلاة فى الجامع صلاة الجنازة على روح زوجة سفير الباكستان التى توفيت فى اليوم السابق .

وتجمع المدعوون فى الجامع ووقفوا خلف الجثمان ، وبدأ الشيخ يردد بعض الآيات القرآنية ، وجاء مساعده ومعه مبخرة تطلق البخور . ثم أخذ يلقى خطبته بالتحدث عن الفقيدة ، ويعدد مناقبها ويسرد تاريخ حياة الأسرة المسلمة التى تنتمى اليها . وطال وقوفنا ، وإذا بأحد الجزائريين من كبار السن يخرج من الجامع بعد أن أصابه التعب من الوقوف ، فلمحه شيخ الجامع فتوقف عن الخطبة وقال بصوت مرتفع باللغة الفرنسية : إن بعض المسلمين لايعرفون من الاسلام سوى الاسم ، وهم لايمارسون شعائره . وأنزل سخطه على من ترك الجامع وتجاهل تعاليم الاسلام والمراسم الدينية الواجبة فى مثل تلك المناسبات . ثم عاد إلى خطبته لكى يستكمل حديثه فاقترب منه سفير الباكستان ورجاه فى أن يعجل وينهى خطبته . وجاءت المرحلة الأخيرة فى خطبة الشيخ بالاستغفار للراحلة وطلب الرحمة لها وإنزالها فى جنات الخلود . واختتم قائلا : « اللهم ارحم .. اللهم ارحم .. ولكن يبدو أنه نسى صفة الراحلة وتلعثم وتردد ، ولم تسعفه لغتة العربية فقال :« اللهم ارحم .. حرم الاكسلانس » .

ابتسامة هذه الآنسة وعروض بالزواج

باريس : عام ١٩٦٣

أعيدت العلاقات بين مصر وفرنسا فى ٤ إبريل ١٩٦٣ ، بعد قطيعة دامت سبع سنوات منذ عام ١٩٥٦ بسبب العدوان الثلاثى على مصر . وأعدت وزارة الخارجية كشفا بأسماء بعض الزملاء لاختيار أحدهم قائما بالأعمال فى باريس ، وكنت من بين المرشحين . وقد وقع الاختيار على وصدر القرار الجمهورى بتعيينى أول قائم بأعمال لسفارة مصر فى باريس بعد عودة العلاقات .

وفى لقاء مع السفير حافظ اسماعيل وكيل وزارة الخارجية فى ذاك الوقت ، تحدثنا عن التشكيل الجديد للسفارة المصرية فى باريس والأعضاء الذين تم اختيارهم للعمل هناك ، وكانت من بينهم الملحق الدبلوماسى « هدى المراسى » ، وكانت أول تجربة للخارجية المصرية فى إرسال إحدى الدبلوماسيات المصريات للعمل بالخارج . واقترحت على السفير حافظ اسماعيل أن يتم تعيين آنسة أخرى هى « إلهام فهيم » لتعمل معنا فى السفارة ، ولاتاحة الفرصة للآنستين للمعيشة معا وتدبير أمورهما وتهيئة حياتهما سويا فى جو الأمان والهدوء وهما فى بداية عهدهما للعمل فى الخارج . ولقد اقتنع السفير حافظ اسماعيل وتم سفر الآنستين إلى باريس واختارا سكنا مناسبا لهما قريبا من السفارة .

وما أن ظهرت صورة هدى المراسى على اتساع الصفحة الأولى فى جريدة « فرانس سوار » وتحتها تعليق الصحيفة « ابتسامة هذه الآنسة تساوى إعادة العلاقات بين مصر وفرنسا » ، حتى إنهالت المكالمات التليفونية على السفارة تسأل عن الآنسة الملحقة الجديدة صاحبة الوجه الباسم . ووصلت الى « هدى » كثير من الدعوات الاجتماعية من الفرنسيين ، ومن أعضاء السلك الدبلوماسى الأجنبى الأوروبى واللاتينى فى باريس . وجاءتنى « هدى » تسألنى ماذا تفعل مع هذا السيل من الدعوات الاجتماعية ، فقلت لها : هذا أمر طبيعى ، ويجب أن تنتظرى دعوات مثيلة على مدى حياتك الدبلوماسية ، ولك أن تختارى بعضها وتعتذرى عن الأخرى وفقا لارتباطاتك ولابد من الاندماج فى العمل الدبلوماسى بكافة نواحيه والذى يتمثل بعض منه فى

تلك المناسبات الاجتماعية ، والتى عن طريقها يمكن التعرف على المسئولين وأعضاء السلك الأجنبى وتكوين نوع من الصداقات الهادفة والتى تفيدك فى عملك الدبلوماسى .

ومرت بضعة أيام على ظهور صورة « هدى » فى جريدة « فرانس سوار » ثم جاءنى خطابان ، أحدهما من مستشار سفارة شيلى فى باريس والآخر من سكرتير أول سفارة الارجنتين - وعبر كل منهما فى خطابه عن رغبته فى الاقتران بالانسة هدى وسألا عن كيفية تحقيق هذا الأمل . وأنهيت الموضوع منذ بدايته ، فأرسلت خطابا لكل منهما أوضحت فيه أن الشريعة الاسلامية لاتسمح بذلك ، فضلا عن أن هناك قواعد تحكم أسس العمل لأعضاء السلك الدبلوماسى المصرى ، ومنها عدم السماح بالزواج من أجنبى أو أجنبية ، وإلا فقد العضو وظيفته الدبلوماسية . وبدأت عجلة العمل تدور فى السفارة بعد أن تم توزيع الاختصاصات علي كل عضو .

ووصلتنى برقية من الخارجية المصرية بتكليف السفارة بمهمة تتسم بطابع الحذر والجدية . واستدعيت إلى مكتبى أحد أعضاء السفارة وشرحت له المهمة ، وحددت له ساعة وتاريخ اللقاء مع الطرف الآخر فى محطة باريس Gare du Nord ، وكان الموعد فى ساعة متأخرة . وجاء اليوم المحدد ، وغاب الزميل الفاضل عن السفارة من أول النهار ولم يخطر أحداً . وعبثا حاولنا الاتصال به فى منزله ، وكانت ترد علينا « المربية » . كان الزميل الفاضل يصطحب معه مربيته السودانية التى اهتمت به منذ الصغر ، علما بأنه كان قد تجاوز الخمسين من عمره . كانت المربية ترد علينا بأنه غير موجود ولاتعرف له مكانا . لقد اختفى الزميل حتى يتجنب الذهاب إلى المكان المحدد خوفا من أى عواقب غير متوقعة قد تحدث له .

وكان لابد من تنفيذ المهمة . ودخلت هدى المراسى إلى مكتبى وقالت : سأقوم أنا بهذه المهمة مهما كانت النتائج ، وأصرت على ذلك . فأكبرت لها موقفها وثباتها . وذهبت هدى إلى محطة باريس وقابلت الطرف الآخر وتسلمت منه الرسالة وأتمت مهمتها على خير وجه وعادت تحمل إلىّ نتيجة اللقاء .

هكذا كان موقف هدى المراسى ، وهكذا تصرفت بشهامة تفوق شهامة الرجال وبكل الضيق والحزن والأسى نظرت إلى الرجل أو مايشبه الرجل ، عندما عاد إلى السفارة فى اليوم التالى ليبرر غيابه لأسباب واهية وأعذار بعيدة عن أى حقيقة ، إذ

اتضح فيما بعد أنه كان بمنزله بكامل عافيته ، ولكنه آثر الاختفاء حتى ينتهى اليوم المحدد لتنفيذ المهمة التى سبق أن طلبت منه . وحزنت فى نفسى وندمت أن يكون بين أبناء الخارجية مثل هذا الرجل ، الحاصل على درجة الدكتوراه من باريس .

الكاتب الكبير

باريس : ٢٥ أكتوبر ١٩٦٣

بعد بضعة أشهر من وصولى إلى باريس ، علمت بأن الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل سوف يأتى إلى فرنسا فى زيارة خاصة . ووصل هيكل إلى باريس بالقطار قادما من جنيف وكان فى استقباله الزميل السكرتير أول صلاح بسيونى وقبل وصول هيكل بعدة أسابيع كان يرد إلى السفارة خطابات عديدة من أشخاص لهم مكانتهم فى كافة المجالات فى فرنسا ، وأذكر من بينهم مستشار الرئيس ديجول فى مجال الردع النووى ، وتجمعت لدى مايقرب من مائة خطاب يطلب أصحابها تحديد موعد للقاء مع هيكل . واتصلت بالاستاذ هيكل فى الفندق ، وقلت له : إنه يسعدنى أن نلتقى على العشاء فى دار السكن وسوف أدعو المسئولين الفرنسيين الراغبين فى اللقاء معك والتحدث إليك واتفقنا على الموعد ، وجاء هيكل إلى دار السكن كما جاء كل من وجهت إليه الدعوة على العشاء . وكانت اللقاءات كثيرة ومتعددة مع المسئولين الفرنسيين امتدت حتى الساعة الثانية من صباح اليوم التالى . وكان محور اللقاءات « لماذا أرسلت مصر قواتها إلى اليمن ؟ » وتعددت لقاءاتى مع الأستاذ هيكل فى تلك الفترة التى قضاها معنا فى باريس . وفى لقائى معه فى السفارة تحدثنا عن العلاقات الفرنسية المصرية ، وماذا يريد ديجول منا فى المرحلة القادمة وماذا نريده منه ، وكان حديثا طيبا ومفيدا وشيقا .

وبقى هيكل معنا حوالى أسبوعين عاد بعدهما إلى القاهرة ، ولم تمض عشرة أيام حتى وصلنى منه خطاب شخصى فيه الشكر وفيه العتاب . أما الشكر فكان للفترة الطيبة التى قضيناها معا فى باريس ، وأما العتاب فكان لأننى لم أعرفه بنفسى كما

يجب ولم أذكر شيئا عن الماضى ودورى فى ثورة يولية . وحينما التقيت بهيكل بعد ذلك فى القاهرة ، قال لى إنه بعد عودته من باريس ، قابل الرئيس عبد الناصر وعبر له عن تردده فى الذهاب إلى السفارة فى باريس فى أول الأمر حينما عرف أن القائم بالأعمال فيها أصله ضابط لايعرفه ، وأترك لهيكل رواية ماقاله لعبد الناصر على النحو التالى : « ولكنى ذهبت إلى السفارة والتقيت بجمال منصور وتحدثت معه وأدركت أنه شخصية أخرى تختلف عما كنت أتصوره » فقال له عبد الناصر والكلام للأستاذ هيكل : « أنت ماتعرفش جمال منصور .. » فرد هيكل : ولم أسمع عنه ، فهى أول مرة التقى به وأتعرف عليه . **فقال عبد الناصر** : « **انت ماتعرفش أن جمال منصور هو اللى سمانا** « **الضباط الأحرار** » **وهو اللى كتب أول منشور ثورى باسم** « **الضباط الأحرار** » » . فرد هيكل قائلا : « **لقد مكثت فى باريس حوالى أسبوعين وقابلت جمال منصور عدة مرات ولكنه لم يذكر لى مرة واحدة أى شىء عن الثورة أو ماضيه فيها ، أو أى علاقة تربطه بك أنت** » . فسكت عبد الناصر لحظة وقال : « **الحقيقة الراجل ده ظلمناه ، عمره ماطلب حاجة ، وإحنا أدينا للى يسوى واللى مايسواش ورقينا ناس ملهمش دعوة بالثورة وكل واحد أخد له درجة ودرجتين ، أما جمال منصور فدخل وزارة الخارجية** « **ملحق** » ، **وكان أحق من غيره بأن ننصفه ..** » .

السفير المصرى الجديد فى باريس ..
دولتان ترفضان ترشيحه

باريس : ١٨ نوفمبر ١٩٦٣

أرسلت وزارة الخارجية ترشيح أحد سفرائها فى الجزائر فى عام ١٩٦٢ ، وما أن علم « بن بلا » بهذا الترشيح حتى قال للسيد على صبرى عند التقائه به فى مطار تونس « أرجو أن تعفونا من هذا الرجل .. ! » ثم أرسلتِ القاهرة طلب ترشيح نفس السفير فى المغرب ، فجاءت برقية الملك الحسن حاملة رفض الموافقة على هذا الترشيح . وقد تصور بعض المسئولين المصريين أن المخابرات الفرنسية

« المكتب الثانى » كانت وراء رفض هذا السفير فى كلا البلدين الجزائر والمغرب .

وحينما بدأ التفكير فى تعيين سفير جديد لمصر فى باريس ، قال عبد الناصر ضاحكا : « سوف أرشح (فلان .. نفس السفير) سفيرا فى باريس ، فإن قبله الفرنسيون يبقوا يشربوه ، وإذا لم يقبلوه ستبقى العلاقات على مستوى القائم بالأعمال إلى حين تعيين سفير آخر » .

وفى ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ ، وصلتنى برقية شفرية من القاهرة بترشيح نفس الشخص سفيرا لمصر فى باريس . وتوجهت إلى الخارجية الفرنسية وقابلت مدير المراسم وسلمته مذكرة بتاريخ حياته وطلب ترشيحه وما أن قرأ مدير المراسم « المذكرة » ووقعت عينه على الأسم حتى رفع رأسه وعلى وجهه علامات الدهشة والتعجب ، وسألنى : « هل السفير الجديد هو الصاغ الذى كان يعمل مساعدا للملحق العسكرى فى باريس فى أوائل الخمسينات ؟» فقلت له : « نعم وهذا واضح من تاريخ حياته المقدم لكم مع هذه المذكرة ..! » فرد مدير المراسم بانفعال : « ليس من شأنى أن أعبر عن دهشتى لهذا الاختيار ، ولا أملك إلا أن أعرض اسم السفير الجديد على المسئولين . ولكنى أود أن أقول لك بصراحة أنه سوف يظل فى نظرى دائما الصاغ الملحق العسكرى المساعد فى باريس » . ثم رجع بمقعده إلى الخلف وقال فى حزم : « لعلك تعلم من هو المرشح ليكون سفيرا لفرنسا فى القاهرة بعد قطيعة سبع سنين ، إنه جاك رو ، أحد فطاحل الدبلوماسيين الفرنسيين ، إنه كان مديرا للدائرة السياسية المختصة بآسيا ، وهو المهندس الذى قام بتصميم العلاقات بين باريس وبكين لأول مرة فى تاريخ البلدين ، وهو من أكثر سفرائنا علما وثقافة ..» وأضاف : « لقد اختارته فرنسا ليكون سفيرا لها فى مصر تقديرا له وإدراكا لأهمية موقعه الجديد فى القاهرة .. » وكانت حالة عدم الرضا ظاهرة فى حديث مدير المراسم كأن لسان حاله يقول : « لقد نظرت فرنسا إلى أهمية علاقاتها المستقبلة مع مصر فرشحت لها خيرة سفرائها ، أما مصر فلم تفعل ذلك .. !» .

وكان الجنرال ديجول حريصا على فتح صفحة جديدة فى العلاقات الفرنسية المصرية ، فلم يرغب فى أن يجعل من قبول الاسم المقترح أورفضه سببا فى تعكير صفو العلاقات بين البلدين وهى تخطو خطواتها الأولى بعد قطيعة سبع سنين وتمت الموافقة على ترشيحه سفيرا لمصر فى باريس ، وبقى هناك خمس سنوات كاملة .!!

شيخ الأزهر بالبدلة

باريس : نوفمبر ١٩٦٣

وصلتنى برقية من الوزارة تفيد بأن بعثة رسمية برئاسة السيد وزير الصحة د . النبوى المهندس ، ستأتى إلى باريس فى طريقها إلى نواكشوط عاصمة موريتانيا . وكانت أول بعثة مصرية تذهب إلى هذه البلاد بعد الاستقلال فى عام ١٩٦٣ وكان من بين أعضائها د . الفحام شيخ الأزهر ، والسفير مصطفى مرتجى ، وبعض كبار المسئولين فى الوزارات المصرية المختلفة وجاءت البعثة إلى باريس وأمضت يوما معنا ثم واصلت رحلتها إلى نواكشوط . وبعد أن انتهت مهمتها هناك ، عادت إلى باريس مرة ثانية لتمضى يومين قبل رحيلها إلى القاهرة . وفى اليوم التالى ذهبت إلى الفندق لكى أسأل إذا كانت البعثة فى حاجة إلى أى شىء قبل مغادرتها إلى القاهرة . وأثناء وجودى مع بعض أعضاء البعثة فى بهو الفندق ، رأيت من بعيد رجلا يشبه تماما الشيخ الفحام ولكنه يرتدى الزى الأفرنجى . ولم أصدق ناظرى فتحدثت إلى السفير مرتجى مشيرا إلى الرجل الذى أراه من بعيد وأقول لمرتجى إن الرجل يشبه تماما الشيخ الفحام . فنظر إلى الرجل وقال لى إنه فعلا الشيخ الفحام ، وقمت متجها إليه لتحيته ودعوته على عشاء خفيف معنا فى الفندق ، فقال لى : « إنى ذاهب إلى مكان إقامتى القديم حينما كنت أدرس الدكتوراه فى باريس منذ سنين طويلة » ، واعتذر عن دعوتى على العشاء .

وفى حوالى منتصف الليل ونحن جالسون فى البهو رأينا د . الفحام يدخل إلى الفندق وقمت للقاءه وأصطحبته إلى حيث كنا نجلس ؟ فسأله السفير مرتجى مداعبا : « وأين كنت ياد . الفحام ؟ » فرد قائلا : « كنت أرد الوفاء لمن أظهروا إلىّ الوفاء حينما كنت أدرس الدكتوراه هنا فى باريس » وأضاف د . الفحام قائلا : « لقد ذهبت فى تاكسى ومعى عنوان العائلة التى كنت أقيم فى ضيافتها على مدى سنى إعدادى للدكتوراه ، وأوصلنى التاكسى إلى المنزل وصعدت السلم إلى الدور الثالث وطرقت الباب ، وإذا بالباب تفتحه واحدة من أفراد العائلة التى كنت أعيش فى ضيافتها . ومأن رأتنى حتى سقطت أمام مدخل الشقة من هول المفاجأة ، فهرع اليها باقى أفراد العائلة

وحملوها إلى داخل الشقة وأسعفوها إلى أن أفاقت » . ويضيف الشيخ الفحام قائلا : « لم أكن أتوقع أن يحدث لتلك السيدة ماحدث لها عندما وجدتنى أمامها بعد هذه السنين الطويلة .. وجلست مع أفراد العائلة بعض الوقت وقدمت لهم بعض الهدايا المصرية ثم هممت بالانصراف إلا أن أفراد الأسرة أصروا جميعا على أن أتناول العشاء معهم ، فقبلت الدعوة وتحدثنا طويلا عن ثلاثين سنة مضت وماحملته من ذكريات الدراسة الصعبة والحياة الأوربية لرجل أزهرى فى باريس عاصمة النور » .

الفصل السادس

خطة على صبرى لجعل أمريكا تركع

تمت صفقة السلاح بين اسرائيل والمانيا الاتحادية بمباركة وتأييد أمريكا وما أن تكشفت تفاصيل تلك الصفقة حتى ذهبت للقاء شرويدر وزير الخارجية الألمانية وقلت له : إن الدول العربية لم تكن فى يوم ما طرفا فيما لاقاه اليهود على يد النازى ويؤسفنى أن أقول : « **أنتم اقترفتم الجريمة ونحن ندفع ثمنها** » **وتساءلت** : « **لماذا ندفع نحن فاتورة هتلر ؟** » ثم تحدث شرويدر فقال : **إن مصر قد سبق لها أن افتتحت مكتبا تجاريا لها فى برلين الشرقية ، له كافة الاختصاصات القنصلية والتجارية يرأسه دبلوماسى مصرى برتبة عالية . وإن وجه الخطورة فى ذلك هو أن هذا الإجراء كان سابقة جديدة فى عالم العلاقات الدولية ومثلا تحتذى به دول العالم الثالث** . وأضاف الوزير شرويدر قائلا : **وهكذا دخل فى سجلات الخارجية الألمانية فى بون ، ملف جديد لمصر سمى فيما بعد « النموذج الذى ابتدعته مصر »** فى سبيل إنشاء علاقات دولية مع حكومة ألمانيا الشرقية ، واقتفى أثرها باقى دول العالم الثالث .

وانتهت المقابلة عند هذا الحد . واصطحبنى « شيرمر » وكيل الخارجية لشئون الشرق الأوسط إلى مكتبه وقال لى : « هذه ورقة وقلم .. أكتب على هذه الورقة طلبات السلاح التى تريدها مصر من بلادى ونحن على استعداد للاستجابة لها فورا » .

وفى صيف ١٩٦٤ ، مرت مصر بأزمة اقتصادية خطيرة ، مما أدى بالسيد على صبرى رئيس الوزراء فى ذاك الوقت الى إصدار تعليماته بإغلاق القنصليات والمكاتب الفنية فى الخارج ، وذلك لضغط المصروفات . وأدركت حكومة بون الأزمة الاقتصادية التى كانت تعانى منها مصر ، فاستدعانى « شولز » وكيل الخارجية الألمانية للشئون الاقتصادية وقال لى : « **إن بلادى تقدر الظروف التى تمربها مصر ، وإنها حرصا منها على صداقتها معكم فإنها تريد أن تقدم لها مساعدات اقتصادية ، وهى على استعداد لتنفيذ الخطة الخمسية الثانية** » . وأستأذنت فى السفر إلى القاهرة وقابلت رئيس الوزراء على صبرى ، وعرضت عليه ماقاله لى وكيل الخارجية الألمانى واستعداد بلاده لتنفيذ الخطة الخمسية الثانية . فرد على صبرى قائلا : « **لسنا فى حاجة اليهم ولا إلى الأمريكان .. نحن نسير وفق خطة يدعمها الاتحاد السوفيتى والدول الشرقية** » . ثم ذهبت للقاء د . عزيز صدقى وزير الصناعة وتحدثت معه عن العرض الألمانى ، فلم تكن إجابته أفضل من إجابة على صبرى ، وردد ماقاله رئيس الوزراء .

ثم تحدد لى موعد مع الرئيس عبد الناصر ، وتحدثت معه مستفسرا عما إذا كان الاقتصاد المصرى يسير فى مجال الكتلة الشرقية على طول الخط ! فأجابنى : « **هذا غير صحيح ، ويجب أن تضع فى اعتبارك أن سياسة مصر الاقتصادية هى التعاون مع الغرب بنسبة ٥١٪ ، ومع الشرق بنسبة ٤٩٪** » فلخّصت للرئيس مادار بينى وبين كل من السيد على صبرى والدكتور عزيز صدقى ، فلم يهتم الرئيس عبد الناصر بالاستماع إلى رأى أى منهما أو التعليق عليه . ثم سألنى فى حزم : « متى تسافر إلى مقر عملك فى بون ؟» فقلت له : « غدا إن شاء الله » فرد علّى قائلا : « **لاتسافر إلا ومعك الخطة الخمسية الثانية بكل المشاريع التى تتضمنها وإنى أوافق على أن تقوم ألمانيا الاتحادية بتنفيذ مشاريع الخطة بكاملها ..** »

وعدت بالخطة إلى بون وبدأت اتصالاتى مع المسئولين الألمان الذين رحبوا



السفير جمال منصور يستقبل المهنئين بعيد ثورة يولية فى سفارة مصر ببون عام ١٩٦٤ .

كثيرا بتنفيذها ، إلا أن الأحداث تدفقت بسرعة وسدت طرق التفاهم بين البلدين ، فقد أعلنت القاهرة عن زيارة « أولبرخت » رئيس دولة ألمانيا الديمقراطية .

« إذن .. سأعترف بألمانيا الشرقية .. !! »

القاهرة : ٢١ ديسمبر ١٩٦٤

تحدد لى موعد للقاء الرئيس عبد الناصر فى منزله بمنشية البكرى . وفى هذا اللقاء قلت للرئيس إن العلاقات بين مصر وألمانيا الاتحادية سوف تمر بأزمة خطيرة فى المستقبل القريب . لأن « بون » سوف تعترف باسرائيل ، فقال لى فى حدة : « وكيف عرفت ذلك ؟» فقدمت له تقريرا من صفحة واحدة بخط يدى وبه كل الأسانيد

التى توضح بما لايدعو للشك أن « بون » سوف تعترف باسرائيل وجاء فى ختام تقريرى الفقرة التالية :

« إن إقامة العلاقات الدبلوماسية بين ألمانيا الاتحادية واسرائيل هو أمر واقع لاريب فيه ، وإن عامل الوقت فقط هو الذى يحدد قيام هذه العلاقات على أعلى المستويات ، وعلى ذلك يجب أن نبنى سياستنا مع ألمانيا الاتحادية من الآن على اعتبار أنها سوف تعترف باسرائيل وتقيم العلاقات الدبلوماسية معها » .

وما أن انتهى الرئيس من قراءة تلك الخاتمة حتى انتصب واقفا وهو فى غاية الانفعال وأمسك بالتقرير فى يده ملوحا وقال : « **إذن سأعترف بألمانيا الشرقية ...** » .

وقد تأكد ماجاء فى تقريرى إلى الرئيس عبد الناصر من أن عامل الوقت فقط هو الذى يحدد قيام العلاقات بين ألمانيا الاتحادية واسرائيل ، فلم تمض ثلاثة شهور وعلى وجه التحديد فى ٧ مارس ١٩٦٥ حتى أبلغنى نائب وزير الخارجية كارستنز بأن حكومته قررت تطبيع علاقاتها مع اسرائيل .

زيارة أولبرخت

القاهرة : ٢٤ فبراير ١٩٦٥

تم الإعلان عن زيارة « أولبرخت » رئيس ألمانيا الديمقراطية إلى مصر . ودعانى جرستنمير رئيس البوندستاج الألمانى ورجانى أن أطلب من مصر إعادة النظر فى هذه الزيارة مع استعداد بلاده لتقديم كل أنواع المساعدات إلى مصر ، وقال إن الرئيس عبد الناصر وحده هو القادر على تأجيل الزيارة أو إلغائها .

فاستأذنت فى الحضور إلى القاهرة وقابلت السيد على صبرى رئيس الوزراء فى ذاك الوقت ، وأخبرته بما قاله جرستنمير بشأن زيارة « أولبرخت » لمصر وأمله فى تأجيل الزيارة أو إلغائها ، فضحك على صبرى وقال : إن تأجيل الزيارة له ثمن

وإلغاءها له ثمن آخر . فقلت له إن « بون » على استعداد لدفع أى من الثمنين . فأجاب قائلا : **هذه الزيارة لابد أن تتم ولامجال للتراجع عن إتمامها . إنها ليست موجهة لألمانيا فقط ، ولكنها موجهة ضد أمريكا فى المقام الأول .. هذه الزيارة « حتخلى الأمريكان يركعوا على ركبهم .. !! » .**

« كروب » .. للسلام

إسن : ١٨ يولية ١٩٦٤

دعانى « كروب » لزيارة مصانعه الضخمة فى بلدة « إسن » ، ثم اصطحبنى على الغداء فى قصره الكبير الذى يبعد خطوات عن المصانع ، وبدأ كروب حديثه عن أمريكا بمرارة نظراً لما فعلته ضد عائلته ، والاجراءات التى اتخذتها من أجل محو اسم « كروب » . واستطرد قائلا : « كان أمرا طبيعيا أن يستمع والدى إلى أوامر هتلر ، ويقوم بانتاج السلاح لجيش الرايخ . ولم يخطىء أبى فى أنه نفذ تعليمات هتلر وأقام ترسانة السلاح فى مصانعه بـ « إسن » ، فقد كان هذا واجبا وطنياً فى المقام الأول . ولكن عندما انتهت الحرب وأتت فى غير صالح ألمانيا تجمعت دول الغرب وعلى رأسها أمريكا لكى تحاكم أبى واعتبرته « مجرم حرب » . ووقف فى محاكم نورمبرج ، وحكم عليه بالسجن المؤبد . وبعد بضع سنين ساءت صحته وأصبح معرضا للموت فذهبت إلى قيادة « الحلفاء » لأعرض أن أتحمل عن والدى باقى عقوبة السجن المؤبد ، ثم وضعتنى أمريكا ـ الدولة الديمقراطية ـ على القائمة السوداء وأصبحت من الممنوعين من الدخول إلى أراض أمريكا » .

ويستطرد « كروب » فى كلامه ويقول : « وتمر السنين ، ويستدعينى « شتراوس » وزير الدفاع الألمانى ، ويطلب منى تجهيز مصانعى فى « إسن » لصناعة الأسلحة لسد حاجة الجيش الألمانى فى عهده الجديد » ، فقلت لشتراوس : « لقد استمع والدى إلى أوامر هتلر وأقام صناعة الأسلحة فى مصانعه .. ولكن انتهت الحرب وكان مصيره السجن المؤبد . وإنى إذا استمعت إليك الآن ياهر « شتراوس »

وقمت بإعداد مصانعى لانتاج السلاح فلست أدرى أى مصير ينتظرنى إذا جد جديد فى عالم السياسة الدولية » ، ويضيف كروب الأبن قائلا : « لقد رفضت دعوة شتراوس ، وقلت له إن مصانع كروب لن تنتج أسلحة من أجل الحرب والدمار بل تصنع من أجل السلام والتعمير » .

وكان الرجل يتحدث ، وقد ظهرت عليه علامات التأثر والحزن .. إذ لم يكن له سوى ابن وحيد ، مات فى يافع شبابه فى ظروف غامضة ولم يعد هناك من يحمل اسم العائلة ويدير المصانع بإسمها . ولكن تدخلت الحكومة وأدارت المصانع وظلت تعمل وتنتج للسلام ، وهى تحمل اسم الجد الأكبر رب العائلة « كروب » .

العامل .. المصرى

بون : ١٩ نوفمبر ١٩٦٤

دق جرس التليفون لدى سكرتيرة السفارة ، وكان المتحدث أحد رجال الأعمال الألمان ، يتحدث من تليفون سيارته راجيا تحديد موعد مع السفير لأمر عاجل وهام . وأبلغتنى السكرتيرة بأنه لايوجد لدى مواعيد سابقة فى ذاك الصباح ، وعلى ذلك يمكن لرجل الأعمال الألمانى أن يحضر لمقابلتى . ودخل رجل الأعمال الألمانى إلى مكتبى وقدم لى نفسه باعتباره رئيسا لمجلس إدارة إحدى كبرى شركات المقاولات فى ألمانيا ، وأن شركته تقوم حاليا ببناء جامعة فرانكفورت ، وأن لديه فى الموقع مائة عامل مصرى أحضرهم أحدالمقاولين المصريين ، إلا أن المقاول المصرى اختلف مع العمال على الأجر ويريد إعادتهم إلى مصر ، ورجانى أن أتدخل لدى المقاول المصرى وأبدى استعداده للاحتفاظ بالعمال المصريين المائة مع زيادتهم فى الأجر فاتصلت تليفونيا بالمقاول المصرى وطلبت منه الابقاء على العمال المصريين أولا ثم يأتى لمقابلتى ، لإيجاد حل لتلك المشكلة فى خلال الأيام القادمة .

وقبل أن يغادر مكتبى ، قلت لرئيس الشركة الألمانى : إن لديك هنا فى ألمانيا

الكثير من العمال اليوغوسلاف والأتراك فضلا عن الألمان أنفسهم ، فلماذا تتمسك بالعامل المصرى ؟ فأجابنى بقوله : إن العامل المصرى يستطيع أن ينجز المتر المكعب من الأسمنت المسلح فى نصف ساعة فى حين أن أى عامل من الجنسيات التى ذكرتها لايستطيع إنجازه فى أقل من ثلاثة أرباع الساعة ، ثم نظر إلىّ وقال : « أعتقد أنك تعطينى الحق للتمسك بالعامل المصرى ».

العشيقة .. والزوجة

بون : ٨ مارس ١٩٦٥

استدعانى البروفسور « كارستنز » نائب وزير الخارجية (ورئيس دولة ألمانيا الاتحادية فيما بعد ..) ، وذهبت إلى وزارة الخارجية الساعة السابعة مساءً وكان يوم أحد ، ولم يكن بالوزارة سوى « كارستنز » وحارس الأمن الألمانى .

بادرنى كارستنز بالحديث قائلا : « هناك من الرجال المتزوجين من يكون له علاقة خاصة بإحدى السيدات غير زوجته ، وهى ماتسمى بالعلاقة غير الشرعية » .. فتعجبت أن يستدعينى كارستنز على عجل يوم « أحد » لكى يبدأ حديثه معى بتلك المقدمة ، وانتظرت حتى يتم حديثه لأعرف مامقصده من وراء تلك البداية . فاستطرد كارستنز قائلا : « إن الزوجة الشرعية أمرها معروف ومصاريفها تكاد تكون محددة فالعلاقة طبيعية بينها وبين زوجها ، أما العلاقة الخاصة أعنى علاقة الرجل بأمرأة أخرى غير زوجته ، فإنها تتطلب منه الكثير من الأعصاب ، فهو يحسب كل خطوة يخطوها ويتلفت حوله حيثما سار ، كما أنها تكلفه كثيرا . فطلبات العشيقة لاتنتهى وهى تستغل تلك العلاقة الخاصة لكى تستفيد من العشيق أكبر استفادة طالما ظلت تلك العلاقة قائمة » .

ثم قال : « أما إذا تبدلت هذه العلاقة غير الشرعية إلى علاقة شرعية وصارت العشيقة زوجة فإن الأمر يختلف تماما وتأخذ العشيقة حجمها الطبيعى . فتصير زوجة ، وبالتالى تصبح تكاليفها محدودة ومعروفة » .

فقلت لكارستنز : « أود أن أعرف ماسبب هذه المقدمة ، وهل هناك مايدعو لتعريفى بمثل هذا النوع من العلاقات » . فرد كارستنز ضاحكا وقال : « إننى جئت بهذه المقدمة لأقول لك إن علاقة بلادى باسرائيل مازالت علاقة غير شرعية ، وأن اسرائيل مازالت عشيقة وليست زوجة بالنسبة لنا ولذلك فإن علاقتنا معها تتم فى الخفاء مما يزيد من تكاليفها ، وتدرك اسرائيل ذلك ولهذا فإنها تستغلنا أسوأ استغلال . وإن لقائى معك اليوم هو لكى أخبرك أننا رأينا أن نتزوج اسرائيل حتى تصبح علاقتنا معها علاقة شرعية ، وحتى تقل تكاليفها وتتحدد مصروفاتها . ولقد أتخذت حكومتى قرارها بتطبيع علاقاتها مع اسرائيل » .

هذه .. رشوة ..

أصدرت الحكومات العربية قرارها باستدعاء سفرائها فى بون ، بعد أن أعلنت حكومة بون تطبيع علاقاتها مع اسرائيل . وفى اليوم التالى لوصولى إلى القاهرة تحدث معى تليفونيا رئيس البوندستاج الألمانى « جرستنمير » وقال لى : « إننى أعلم أن مجلس جامعة الدول العربية سوف يجتمع على مستوى وزراء الخارجية لاتخاذ قرارات هامة تتعلق بالعلاقات المصرية الألمانية فى ضوء الظروف والأحداث الجارية » . وعقب قائلا : « **لكم أن تصدروا ماشاء لكم من قرارات ، ولكن أرجو إبلاغ السيد الرئيس رجاء خاصا من حكومة بون ومجلسها النيابى ، ألا تصل هذه القرارات إلى حد الاعتراف بألمانيا الديموقراطية** ». وأضاف بأن حكومته ستظل صديقة لمصر وهى على استعداد دائم للتعاون معها فى كافة المجالات وبالذات فى تنفيذ الخطة الخمسية الثانية .

وبعد أن انتهت المكالمة التليفونية بينى وبين مستر جرستنمير قمت بإبلاغ ملخص حديثى معه إلى السيد سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات . وما أن انتهى حديثى معه حتى قال بانفعال : « **يعنى رشوة .. يعنى حكومة بون عاوزة تدينا رشوة عشان مانعترفش بألمانيا الشرقية** » . فقلت له : بأن لكل منا وجهة نظره

فى تفسير الرجاء الألمانى ، ولكننا نتفق جميعا فى أن المصالح الوطنية تأتى قبل الانفعالات . وأوضحت له أن الاعتراف بألمانيا الديمقراطية ليس واردا لدى كثير من الدول العربية ، ومن الممكن أن توافق هذه الدول على قرار جماعى بقطع العلاقات مع حكومة بون ، ولكنها « بكل تأكيد » لن توافق جميعها على الاعتراف بحكومة ألمانيا الديمقراطية . وطلبت من سامى شرف أن يبلغ السيد الرئيس رجاء حكومة بون . مع التأكيد على وجهة نظرى بعدم الاعتراف بألمانيا الديمقراطية ، فى هذه المرحلة على الأقل .

واجتمع وزراء الخارجية العرب يوم ١٤ مارس ١٩٦٥ ، وجاءنى السيد فيليب تكلا وزير خارجية لبنان وسألنى عن موقف مصر ، فأجبته بأن الاتجاه هو الاعتراف بألمانيا الشرقية ردا على اعتراف « بون » بإسرائيل . فانزعج الوزير اللبنانى وقال إن بلاده لاتستطيع أن تساير مصر فى هذا الاتجاه ، كما أن السعودية وباقى الدول العربية الاسلامية سوف تتردد كثيرا فى اتخاذ مثل هذه الخطوة . وقام فيليب تكلا باتصالات عديدة مع وزراء الخارجية العرب للتكتل ضد فكرة الاعتراف بحكومة ألمانيا الشرقية ، ونجحت مساعى الوزير اللبنانى ، وصدر قرار الوزراء العرب بقطع العلاقات مع ألمانيا الاتحادية ، وهكذا لم تستطع مصر تنفيذ سياستها ، ودفع الدول العربية نحو الاعتراف بحكومة ألمانيا الشرقية ، وسارت مع الأغلبية واكتفت بقطع العلاقات مع حكومة بون .

الجناح الخفى

واتساءل هنا إذا كان جمال عبد الناصر رئيس الدولة قد وافق على أن تقوم حكومة بون بتنفيذ مشروعات الخطة الخمسية الثانية فى مصر ، بل طلب منى ألا أغادر القاهرة إلا ومعى مشروعات الخطة لعرضها بكاملها على الجانب الألمانى لتنفيذ مابها من مشروعات فى مصر ، فمن المسئول عن تعطيل هذا القرار والوقوف ضد هذا الاتجاه ؟

إننى لا أجد أمامى إجابة على تساؤلى إلا أن أشير إلى الجناح الخفى الذى كان قريبا من قمة الرئاسة والقادر على التأثير على سياسة مصر الخارجية حينذاك . هذا الجناح الذى اعتبر ماعرضته حكومة « بون » لتنفيذ الخطة الخمسية الثانية وماتضمنته من مشروعات ذات أهمية بالغة أساسها البنية الأساسية فى مصر ماهو إلا رشوة حتى لانعترف بألمانيا الديمقراطية على حد قوله .. !! هذا الجناح الذى شجع على دعوة « أولبرخت » لزيارة مصر زيارة رسمية بدلا من أن تكون زيارة شخصية كما كان مقررا لها فى البداية ، وتخيل هذا الجناح الخفى أن هذه الزيارة سوف تجعل الأمريكيين يجثون على ركبهم .. أمام مصر . هذا الجناح الذى تصور أن المانيا الديمقراطية تستطيع أن تحل محل ألمانيا الاتحادية ، وتجلب معها المساعدات من كل نوع ، وتنقذ مصر من كبوتها الاقتصادية التى كانت تعيشها في ذاك الوقت ، فمهد كل الطرق لاعتراف مصر بألمانيا الديمقراطية إلى أن تحقق له ذلك فى ١٩٦٩/٧/١٠ . هذا الجناح الذى صوّر لعبد الناصر أن ألمانيا الاتحادية سوف تكون الخاسرة إذا قطعت العلاقات معها ، فوضع أمامه تقريرا فحواه أن التجارة الخارجية بين « بون » والدول العربية تمثل ٢٨٪ من مجموع تجارة ألمانيا الاتحادية . وقد جاء هذا فى أكثر من خطاب للرئيس عبد الناصر أثناء جولته فى المحافظات إبان الأزمة الألمانية العربية وقد تعجب الألمان بل العالم العربى أن يذكر عبد الناصر هذه الاحصائية البعيدة عن الواقع تماما ، إذ أن تجارة المانيا الاتحادية مع الدول العربية فى ذاك الوقت لم تكن تتعدى ٠,٣٪ .

وأذكر أننى حينما عدت إلى القاهرة بعد سحب السفراء العرب من بون ، كلفنى السفير أحمد حسن الفقى وكيل وزارة الخارجية فى ذاك الوقت ، بأن ألقى محاضرة على أعضاء السلك الدبلوماسى المصرى عن الأزمة العربية الألمانية وتوضيح أبعادها وأثرها على مستقبل العلاقات بيننا وبين ألمانيا الاتحادية ، وقد تطرقت فى المحاضرة إلى العلاقات التجارية بين بون والدول العربية وأوضحت أنها لاتتعدى ٠,٣٪ وتقدمت بإحصائية وافية تؤكد ماقلت .

ولم يسكت هذا الجناح الخفى عند هذا الحد بعد قطع العلاقات ، بل قام بتحطيم كل الروابط بين القاهرة وبون حتى الروابط الثقافية والمهنية . فقد كان

الآلاف من طلبة الجامعات المصرية والمهنيين ، وخاصة طلبة كليتى الهندسة والعلوم يذهبون إلى المصانع الألمانية للتدريب هناك فى مصانع « كروب » وغيرها ، وخاصة فى فترة الصيف . وقد وصل عددهم أثناء وجودى سفيرا لمصر فى بون ، إلى أربعة آلاف طالب ومهنى . لكن هذا الجناح لم يوافق على استمرار ذهاب الطلبة والمهنيين إلى المانيا الاتحادية ، ومنع أى بعثات على المستوى الفردى أو الجماعى من الذهاب إلى بون ، ولكن فتح الطريق أمامهم إلى دول المعسكر الشرقي .

احتلال المستشفى الألمانى .. فى أسوان

القاهرة : ٣٠ يونية ١٩٦٧

بلغ التحدى لأى مظهر من مظاهر الوجود الغربى فى مصر بعد هزيمة ١٩٦٧ حد أن قامت وحدة عسكرية مصرية ، باحتلال أحد المستشفيات الواقعة على النيل فى أسوان والذى تديره راهبات مسيحيات من ألمانيا الاتحادية . وقامت الوحدة العسكرية بطرد الراهبات والمسئولين فى المستشفى وأوجدت حالة من الذعر داخله . ولم يمض يومان حتى جاءنى فى وزارة الخارجية ، مندوب مجلس الكنائس العالمى فى بون ومعه القائم بالأعمال الألمانى فى القاهرة ، وعبّرا لى عن انزعاج المجلس لاحتلال الجنود المصريين للمستشفى الألمانى وطرد الراهبات المسيحيات ، والمسئولين عن المستشفى التى تعمل لخدمة الانسانية .

وما أن انتهت المقابلة حتى ذهبت إلى الوزير محمود رياض ، وأوضحت له أبعاد هذا الإجراء وأثره على مصر دوليا مما يسبب إثارة مجلس الكنائس العالمى والدول المسيحية ضدنا فى الوقت الذى كنّا نسعى فيه لكسب صداقة أى دولة بعد هزيمة ١٩٦٧ . وتحدث الوزير تليفونيا مع الفريق محمد فوزى وشرح له الآثار السلبية التى تؤثر علينا دوليا نتيجة لهذا الاجراء ، فأعطى الفريق فوزى أوامره إلى قائد الوحدة التى احتلت المستشفى بالجلاء فورا عنها . وعادت الراهبات الألمانيات

إلى المستشفى . وجاءنى مندوب مجلس الكنائس العالمى والقائم بالأعمال الألمانى للتعبير عن ارتياحهما لما قامت به الخارجية المصرية .

« العالم يصفق دائما للمنتصر .. »

القاهرة : ٥ أغسطس ١٩٦٧

بعد هزيمة ١٩٦٧ ، جاءنى سفير هولندا فى القاهرة ، وقال لى أنه اقترح على حكومته أن تقوم بإرسال مساعدات طبية إلى مصر ، نظرا لحاجتها إلى هذه المعونات خاصة بعد الحرب . وعرضت الأمر على الجهاز الرئاسى بالوزارة فأمر برفض تلك المعونات من هولندا لأنها صفقت وهللت لاسرائيل بعد انتصارها فى حرب ١٩٦٧ .

وحينما أبلغت السفير الهولندى بهذا القرار ، أجابنى قائلا : « إذا كان الانتصار قد تحقق لاسرائيل فوجد التصفيق والتهليل فى بلادى ، فلماذا لاتقوموا بعمل تحققون به الانتصار وسوف تجدون التصفيق من بلادى والتهليل على اتساع العالم » . ثم قال بحزم : « إن العالم يصفق دائما للمنتصر .. ! »

وكانت تربطنى علاقة طيبة بالمرحوم الدكتور النبوى المهندس وزير الصحة الأسبق ، وما أن علم بنبأ رفض مصر للمعونة الطبية الهولندية حتى اتصل بى تليفونيا ورجانى أن تجد وزارة الخارجية الوسيلة للحصول على تلك المعونات حيث أن مصر فى شدة الحاجة إليها . وجاءت إلى ذهنى فكرة فحواها أن يقوم « الصليب الأحمر الهولندى » بتقديم المعونة الطبية إلى « الهلال الأحمر المصرى » ، وبذلك نتجنب الناحية الرسمية من أن حكومة هولندا تعطى حكومة مصر . وتقدمت بمذكرة عاجلة إلى وزير الخارجية محمود رياض ، ووافق على ماجاء فيها ، فاستدعيت السفير الهولندى وأبلغته بما تم التوصل إليه بشأن المعونات الطبية من بلاده ، فاظهر ارتياحه للفكرة وقال : « لقد جنبتنى أن أقف موقفا حرجا أمام حكومتى لأننى صاحب الاقتراح بإرسال المعونة إلى مصر » . ولم تمض أيام حتى وصلت المعونة الطبية الهولندية

إلى مطار القاهرة وتسلمها الهلال الأحمر المصرى . وتحدث إلىّ وزير الصحة ليقول : « كانت مصر فى حاجة ماسة إلى تلك المعونات » .

« إننى لا انحنى إلاّ أمام الله .. »

بانجكوك : ٢٨ يونية ١٩٦٨

تحدد موعد تقديم أوراق اعتمادى إلى ملك تايلاند فى ٣٠ يونية ١٩٦٨ . وقبل الموعد بيومين حضر إلى دار السفارة مدير المراسم فى وزارة الخارجية التايلاندية وشرح لى الخطوات التى سوف تتم فى قصر الملك منذ لحظة الدخول إلى قاعة الاستقبال حتى المثول بين يدى الملك . وهى فى الواقع عملية طويلة تتطلب الانحناء أمام الملك كل عدة خطوات إلى أن يصل السفير أمام الملك بثلاث خطوات ، وينحنى أمامه ولايصافحه ، ثم يلقى خطابه ويسلم أوراق اعتماده إلى كبير الأمناء ، ويصاحب السفير فى كل خطواته مدير المراسم وكبير الياوران .

وحينما انتهى من شرح تلك الخطوات قال لى : أرجو ألاّ تسبب لنا الحرج كما سبق أن أحرجنا سفير .. (وذكر اسم دولة عربية) عند تقديم أوراق اعتماده . فقلت له : أى حرج تقصده .. ؟ فقال : « عندما تحدد موعد تقديم أوراق اعتماد السفير العربى إلى جلالة الملك ، ذهبت اليه فى دار السفارة وشرحت له ماسبق أن شرحته لك . وجاء موعد تقديم أوراق الاعتماد ، ودخل السفير بعباءته الطويلة الجميلة ووقف على يمينه كبير الياوران وعلى يساره مدير المراسم . وما أن انفتح الباب الرئيسى وشاهد السفير أن الملك يقف على بعد ثلاثين خطوة منه ، حتى أخذ طريقه إلى الملك تاركا مصطحبيه يلهثان من خلفه . وكان عليه أن ينحنى أمام الملك كل عدة خطوات فلم يهتم بذلك بالمرة .. ولحق به مدير المراسم ، وفى كل مرة تستوجب الانحناء يقول له مدير المراسم « انحنى ياسيادة السفير » ، وأخذ يكررها له عدة مرات ، ولكن السفير لم ينفذ أى خطوة من الخطوات التى تم شرحها له . وحينما اقترب من الملك صافحه بيده ، وكان المفروض أن ينحنى أمامه فقط دون مصافحة وبدأ فى إلقاء

خطابه . وما أن انتهى منه حتى صافح الملك مرة ثانية وسلمه أوراق اعتماده ، بدلا من أن يسلمها إلى كبير الأمناء الواقف على يمين الملك .

وكان على السفير أن يغادر القاعة ، ويعود إلى الخلف معطيا وجهه دائما للملك . وحاول السفير أن يتحرك للخلف بهذه الطريقة فكاد يقع بسبب عباءته الطويلة ، فما كان منه إلا أن عاد معطيا ظهره إلى الملك ، تاركا كبير الأمناء ومدير المراسم يعودان وحدهما . وحينما انتهت المراسم ، لحق به مدير المراسم وسأل السفير : « لماذا لم تنحنى أمام الملك كما شرحنا لك ، لقد سببت لنا كثيرا من الحرج ، وهذه أول مرة نقع في مثل هذه الورطة » . فرد السفير العربى فى هدوء : « **إننى لا أنحنى إلا أمام الله ..** » .

البحث عن السكن

بانجكوك : ٤ يولية ١٩٦٨

كان اهتمامى الأول منذ وصولى أن أبحث عن دار للسكن حيث أن السكن القديم لم يكن ملائما وتم تسليمه إلى أصحابه قبل حضورى . وذهبت مع عائلتى إلى الفندق الذى أمضيت به حوالى أربعة شهور ، فلم يكن بالأمر الهين الحصول على السكن المناسب .

ووضعنا إعلانا فى الجرائد عن حاجتنا إلى سكن . وفى أحد أيام الآحاد دق جرس التليفون فى الفندق ، وتحدثت معى سيدة تايلاندية ، وقالت لى بالانجليزية إن لديها سكنا مناسبا ، وأنها على استعداد لتأجيره لنا . فقلت لها : إننى فى عجلة من أمرى و أوّد معاينة المنزل فى أقرب وقت ممكن ، وحددت لها موعدا فى اليوم التالى . فأجابتنى : « ولكن زوجى سيكون مازال موجودا فى المنزل » . فلم التفت لما سمعت وقلت لها : « ومع ذلك فإنى أريد معاينة المنزل » . وذهبت فى الموعد المحدد ، تصحبنى زوجتى للقاء صاحبة المنزل . واستقبلتنا السيدة التايلاندية وهى فى ثوب الحداد الأسود ، وكذا باقى من فى المنزل من أبناء وخدم ، وفهمت أن



مع ملك تايلاند عند تقديم أوراق اعتماد جمال منصور سفيرا لمصر هناك .

زوجها قد مات منذ شهور قليلة وكان نائبا لوزير الاقتصاد ، واصطحبتنا السيدة لمعاينة أرجائه الواسعة غرفة غرفة . ثم توقفنا أمام غرفة كبيرة مغلقة . فقلت لصاحبة المنزل : هل لنا أن ندخل إلى هذه الغرفة ؟ فترددت لحظة ثم قامت بفتحها . وما أن دخلنا حتى وجدنا صندوقا كبيرا يكاد يملأ الغرفة بأكملها ، وفى وسطه مايشبه المدخنة التى تصل إلى سقف الحجرة ومنها إلى الخارج . وأدركت السيدة التايلاندية دهشتى ولم تعطنى الفرصة للسؤال عما شاهدته ، وقالت : « هذا هو زوجى لقد توفى منذ ثلاثة شهور ، وحيث أنه كان وزيرا ومن المقربين للملك ، فإن العائلة لاتستطيع

القيام بمراسم الجنازة إلا بإذن من الملك ، ومازلنا منتظرين هذا الإذن » . واستدركت السيدة التايلاندية قائلة : « من أجل هذا قلت لك إن زوجى سيكون مازال موجودا فى المنزل » .

ورغم تقديرى لعادات وتقاليد الشعوب التى عشت بينها ، فإننى صرفت النظر عن التحدث مع صاحبة المنزل بشأن إيجاره ، إذ أن المنظر الذى رأيته لم يكن مشجعا لى لكى أعيش فى رحاب هذا المنزل ، وكذا كانت زوجتى .

الأب .. والابن

بانجكوك : ١٨ يولية ١٩٦٨

ذهبنا إلى أحد مصانع الأثاث المعروفة فى بانجكوك ، واستقبلنا المدير وهو شاب لايتجاوز الثلاثين عاما ، ومر بنا فى أنحاء المصنع لكى نختار مما هو معروض أو للاتفاق على أى شكل جديد للأثاث الذى يمكن تنفيذه . وقضينا بالمصنع ثلاث ساعات واخترنا منه ما أعجبنا وحددنا موعد التسليم ، وتم كل شىء على مايرام . واصطحبنا مدير المصنع إلى الحديقة المؤدية إلى الشارع الرئيسى ، وقبل أن نصل إلى نهايتها لمحت رجلا طاعنا فى السن يجلس على كنبه فى طرف الحديقة وقد أصابه الشلل الرعاش ، وما أن اقتربنا منه حتى قال الشاب مدير المصنع : « هذا والدى ، لقد بدأ عمله صبيا فى سن الخامسة عشرة وأمضى خمسين عاما من حياته فى هذا المصنع ، لم نكن نراه ، لم يكن لديه الوقت لكى يشاركنا حتى فى وجبة واحدة . لقد قضى كل عمره بين الأخشاب والآلات ، وهذه هى النتيجة ... !! لقد تدهورت صحته كثيرا وأصيب بشلل » . ثم استوقفنا الشاب وقال : « إننى لن أعمل مثل ماعمل أبى ، سوف أتجه فى حياتى اتجاها آخرا . سوف أهتم بمصنع أبى لأنه أمانة فى عنقى ، ولكنى عند سن معينة سوف أتوقف عن العمل ، وأعهد به إلى ابنى أو إلى قريب أو صديق مأمون ليتسلم القيادة ، وأقف أنا من خلفه أدفعه على الطريق الصحيح ، وأبذل له النصيحة والتوجيه حتى أطمئن على أنه أصبح قادرا على السير بالمصنع

بمفرده أو تحت إدارته ثم أنسحب من المجال لأعيش بقية عمرى مع زوجتى ، وأجنى ثمار سنى التعب التى قضيتها بين ضجيج الآلات ونشر الأخشاب » .

وأضاف الشاب قائلا : « هذه نصيحة أوجهها إلى رجال الأعمال مثلنا فى كل أرجاء العالم . إن الحياة ليست العمل المتواصل وفقدان الصلة والروابط بين رب الأسرة والأسرة نفسها . إن الحياة هى الجمع بين العمل وجنى ثماره . وإذا كانت الثمار يجنيها الأبناء من وراء الآباء ، فإن من حق هؤلاء الآباء أن يجنوا بعض هذه الثمار ويأخذوا نصيبهم فى الدنيا قبل أن يأتيهم خريف العمر ويقعدهم المرض فلا قدرة على العمل ولا قدرة على الاستمتاع بالحياة تماما كما حدث لوالدى » .

شحن الجثمان .. بأرخص الأسعار

بانجكوك : ٣٠ يولية ١٩٦٨

دعانا سفير الهند على العشاء فى منزله ، وكان من بين المدعوين سفير الدانمرك وهو من المعروف عنهم شرب الخمر إلى حد الإدمان . ومنذ أن قدم إلى دار السفارة الهندية وحتى نهاية العشاء لم يتوقف عن الشرب حتى كاد يفقد توازنه . وعند انتهاء العشاء ، تقدم سفير السويد من زميله الدانمركى وعرض عليه أن يصطحبه إذ أنه كان يسكن بالقرب منه ، فشكره سفير الدانمرك ودخل إلى عربته وقادها بمفرده متوجها إلى منزله . وبينما هو يقود عربته ، فقد القدرة على التحكم فى عجلة القيادة واصطدم بإحدى المركبات المحملة بالخضر ، وكانت الصدمة عنيفة أدت إلى وفاته فى الحال .

وقامت سفارة الدانمرك بإخطار رئاستها فى كوبنهاجن بالحادث ، وطلبت الإذن بنقل جثمان السفير بالطائرة إلى بلاده ، وابرقت لها بتكاليف الشحن المرتفعة ، واقترحت فى نفس الوقت طريقة أخرى رخيصة التكاليف وهى أن يتم حرق الجثمان على الطريقة البوذية بناء على نصيحة سفير الهند .

وفضّلت الخارجية الدانمركية الطريقة الأرخص ، وأرسلت تعليماتها إلى سفارتها بحرق جثمان السفير . وتحدد الموعد وذهب أعضاء السلك الدبلوماسى مع المسئولين التايلانديين لحضور مراسم الحرق . وما أن انتهت العملية ، حتى تقدم رئيس الكهنة البوذيين ومعه زجاجة معبأة ببعض الرماد المتخلف عن حرق الجثمان ، وأعطى الزجاجة إلى مستشارة سفارة الدانمرك التى سلمتها إلى قائد طائرة شركة الطيران الاسكندينافية دون دفع أى مصاريف لنقل الزجاجة إلى كوبنهاجن ، وتسليمها إلى الخارجية الدانمركية ومنها إلى عائلة الفقيد .

وهكذا تم شحن جثمان السفير بأرخص الأسعار ...

حفـــل زواج ...

بانجكوك : ٤ يناير ١٩٦٩

دعتنى إحدى الأسر المسلمة إلى حفل زواج فى قرية صغيرة خارج العاصمة بانجكوك . وتم عقد القران فى جامع القرية وبدأ الاحتفال بالزواج ، وتقدم العريس فى موكب مع أهله متجهين نحو منزل العروس . وكان أحد زملائى فى السفارة قد أخذ مكانه فى الصفوف الأولى من الموكب ، وما أن اقترب الموكب من دار العروس حتى شاهدنا الطريق مغلقا بأفرع الأشجار والبوص والأحجار ، وتقدمت مجموعة من الشباب من أقارب العروس وانهالت بالضرب بأفرع الأشجار على القادمين ، ونال زميلى نصيبه من هذه المقابلة الأمر الذى جعله يعود إلىّ فى نهاية الموكب ويطلب منى أن نترك الحفل ونكتفى بما حدث . وتحدثت مع أحد أقرباء العريس ، والذى كان بجوارى فى الموكب أسأله عما حدث ، فاعتذر الرجل وقال إنها مظاهرة تتم دائما فى هذه المناسبات لإشعار العريس بأن الحصول على عروسه ليس بالأمر الهين وأنه لابد أن يصادف عقبات وصعوبات . ووصل الموكب إلى منزل العروس ، وانطلقت الزغاريد وزاد التصفيق ، واستقبلنى والد العروس وأجلسنى بجانبه فى سرادق حديقة المنزل .

وجاءتنى والدة العروس ودعتنى إلى الصعود إلى الدور العلوى ، ووجدت نفسى الرجل الوحيد الموجود فى هذا المكان ، وقدمت لى قدحا من ماء جوز الهند وآخر من ماء معطر برائحة الورد وبعد برهة ، أصطحبتنى والدة العروس إلى غرفة معلق على بابها قطع من النسيج المتعدد الألوان ، وبها سرير كبير محلى بأشرطة ذهبية على كل أركانه وعليه غطاء من الحرير التايلاندى بألوان صاخبة ، وطلبت منى السيدة أن أنام على السرير ، فترددت وخشيت أن يكون هناك مفاجآت أو تقاليد أخرى لاعلم لى بها . ودخلت سيدة أخرى إلى الغرفة وتحدثت معى باللغة الانجليزية راجية منى أن أجلس على كل ركن من أركان السرير بدلا من النوم عليه ، وأقرأ بعض الآيات القرآنية ، إيماناً منها بأننى رجل مسلم أردد كلمات القرآن فتنتشر فى كل جزء فى الغرفة ، وتحدث البركة ويمتلىء المكان بالسعادة . وماأن انتهيت من هذه المهمة حتى جاءت والدة العروس لتقبل يدى وأنا فى غاية الخجل . وخرجت من الغرفة دون مفاجآت ، وقابلتنى السيدات بالتهليل والتصفيق وتقبيل يدى ، وكأننى أحد الأئمة من ذوى البركات ، ثم جاءت العروس وانحنت على ركبتيها لتعبر عن شكرها على هدية الزواج التى قدمتها إليها .

قارىء شهر رمضان

بانجكوك : ٥ مارس ١٩٧٠

يحل شهر رمضان ، ويأتى معه أحد القارئين المصريين المبعوثين من وزارة الأوقاف لتلاوة آيات القرآن الكريم فى مساجد تايلاند شمالاً وجنوبا ويقضى القارىء المصرى معظم شهر رمضان فى بانجكوك ويكون ضيفا على شيخ الإسلام ..

وفى عام ١٩٧٠ جاءنا قارىء مصرى مبعوثا من الأوقاف ، وكان شيخا قد تجاوز السبعين عاما ، وكان رجلا خفيف الظل . وما أن قابلته حتى بدأ فى سرد ماحدث له فى مطار بانجكوك الذى وصل إليه دون أن تخطرنا وزارة الأوقاف بموعد وصوله ، فوصل الشيخ إلى المطار ولم يكن هناك أحد فى انتظاره وكان يلبس الجبة وتعلو رأسه عمامة عالية .

ويقول الشيخ : « وصلت إلى المطار ، ولم أجد أحداً فى انتظارى فأسلمت أمرى إلى الله وتربعت على أحد المقاعد فى المطار ، وكانت الساعة حوالى الثالثة صباحا ، وقلت فى نفسى لعلنى أغفو بضع ساعات يأتينى بعدها من ينقذنى ويصطحبنى إلى أحد الجوامع فى المدينة . وأثناء غفوتى على المقعد سمعت رجلا يقول : « السلام عليكم ورحمة الله » فظننت أنه حلم ، وفتحت أعينى لأجد الرجل أمامى ، فقلت له : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، ونهضت بمنتهى الحماس لكى أتعلق بالرجل الذى نزل لى من السماء ، وبدأت فى الحديث مع الرجل باللغة العربية ، وعرفته بنفسى وقصصت عليه ما صادفنى من صعوبات ، وأننى مبعوث وزارة الأوقاف ، وأنى قادم لتلاوة القرآن فى مساجد المسلمين فى تايلاند . كل هذا قلته للرجل ، وانتظرت منه أن يجيبنى بأى إجابة ، فلم ينطق بأى كلمة . وما أن انتهيت من كلامى ، حتى قال لى السلام عليكم وذهب لحاله ، وأدركت أن الرجل لايعرف من اللغة العربية سوى كلمتى السلام عليكم . وعدت إلى مقعدى ، وأسلمت رأسى إلى جانب من الكنبة ورحت فى إغفاءة .

ولم تمض دقائق حتى سمعت صوت رجل يقول : « السلام عليكم » وتصورت أننى عدت إلى أحلامى مرة ثانية ، فلم أنهض ، ولكنى سمعت الرجل يقول مرة ثانية : السلام عليكم، فنهضت وقلت له ببرود : وعليكم السلام وخلاص ، هو مش أنتم بتوع السلام عليكم وبس ، أذهب عنى فقد سبقك أحد زملائك الذى قرأنى السلام وشرحت له موقفى ولم أجد صدى لأى كلمة قلتها ثم قرأنى السلام وانصرف . وهنا أدرك الرجل ماحدث للشيخ وضحك كثيرا ، ثم بدأ فى الرد على الشيخ بلغة عربية سليمة ، وسأله عن ظروف مجيئه إلى بانجكوك ، وعما يستطيع أن يفعله لمساعدته . فلم يصدق الشيخ أذنيه وإذا به يأخذ الرجل بين ذراعيه فى عناق بالغ الحماسة ، وأخذ يتحسسه ويربت على كتفه ويقول له لقد جئتنى من الجنة ، إنى لن أتركك حتى تحملنى إلى غايتى . وقام الرجل واصطحب الشيخ إلى شيخ الإسلام فى العاصمة . واتضح أن الرجل كان أحد موظفى السفارة السعودية فى بانجكوك ، وأتى بالصدفة إلى المطار لانتظار أحد القادمين من السعودية .

وكنت أقابل الشيخ فى الجامع بعد الإفطار لأستمع إلى آيات الله فى شهر رمضان . وفى إحدى السهرات الرمضانية اقترب منى الشيخ وقال لى : « مش

توصى على شيخ الاسلام » . فقلت له : إننى أعلم أنك فى ضيافة شيخ الإسلام ، وأنه أعطى التعليمات للاهتمام بك بحفاوة وكرم ، فأجاب الشيخ : هل يرضيك أن يرسلوا لى بالأمس على السحور موزاً فقط ؟ ثم استدرك قائلا : أنا أعرف أن الموز بيتاكل بعد حاجة ، لكن فين الحاجة دى ؟ وضحكت كثيرا ، وتحدثت إلى شيخ الاسلام الذى اعتذر عما حدث بسبب نسيان أحد العاملين لديه من أن يحمل إلى الشيخ القارىء طعام السحور الكامل ..

ومن عادات المسلمين فى تايلاند أن يقدموا الهدايا إلى القارىء بعد كل سهرة . وجاءنى الشيخ بعد السهرة وقال لى : ماذا أفعل بكل قطع القماش التى أتسلمها كهدايا من المسلمين . إننى إذا دخلت إلى الجمارك فى مصر ومعى كل هذه الأقمشة فسوف تتصور الجمارك أننى تاجر مانيفاتورة ، أو تاجر شنطة متخصص فى قماش الجبب . ولو عملت لى جبتين أو ثلاثا وقمت بتوزيع الباقى ، فسوف يغطى أئمة الجوامع كلهم ، وضحك . فقلت له : سوف اتحدث إلى شيخ الاسلام لايجاد طريقة أخرى . واحتفظ الشيخ ببعض قطع القماش لنفسه وعائلته ، وتم إعادة الباقى إلى المحلات ، وتجمع مبلغ من المال وضع فى ظرف مغلق وتم تسليمه إلى الشيخ القارىء . ويبدو أنه قد أعجبته الفكرة . واتفق المسلمون فى كل جامع على تجميع ثمن الهدايا على أن تعطى للشيخ بعد كل سهرة . وظهرت مشكلة تغيير عملة البلد (البات) لأنها غير معروفة فى مصر . فتطوع أحد المسلمين العاملين بالبنوك بتغيير ماتم جمعه وتحويله إلى دولارات ، وأعطيت للشيخ فشكر لنا مافعلناه ، وسافر سعيدا إلى القاهرة بعد أن سماه المسلمون هناك .. الشيخ « دولار » بدلا من الشيخ « دويدار » .

الملكة . . والقمر

بانجكوك : ١٩ إبريل ١٩٧٠

تعتبر الملكة « سيريكيت » ملكة تايلاند أجمل وأرق ملكات العالم ، وكانت السيدة الأولى التى ترعى الصليب الأحمر فى بلادها ، وتقيم لذلك حفلا سنويا تحت رعايتها فى حدائق القصر الملكى وتدعو له كبار الشخصيات التايلاندية وأعضاء



الملكة « سيريكيت » ملكة تايلاند تفتتح المعرض المصرى ببانجكوك فى يناير ١٩٧١ وخلفها إلى اليسار حرم السفير جمال منصور .

السلك الدبلوماسى الأجنبى . وفى إحدى هذه الحفلات فى عام ١٩٧٠ ، كانت الملكة ، بدافع من رقتها البالغة وترحيبها بضيوفها ، تمر على المدعوين تتحدث إليهم أثناء تناولهم الشاى فى حدائق القصر . وقدمت الملكة إلى المائدة التى كانت تضم مجموعة من السفراء ومن بينهم سفير السعودية وسفير الباكستان وسفير الهند وسفير مصر . وما أن اقتربت « الملكة » من المائدة حتى وقفنا جميعا لتحيتها . ثم جلست « الملكة » على أحد المقاعد حول المائدة . وأراد السفير السعودى أن يرحب بها فقال لها : « اسمحى لى ياجلالة الملكة أن أقول لك إنك جميلة كالقمر YOU ARE AS BEAUTIFUL AS THE MOON » فابتسمت الملكة ، وقالت : « إننى أرأف بحال الرجال الآن حينما يريدون التعبير عن مشاعرهم نحو المرأة ويصفونها كالقمر ، فبعد

أن تم الوصول إلى القمر واكتشاف مايحتويه من صخور وأحجار ، فسوف يصعب على الرجال أن يصفوا المرأة بالقمر » .

فرد السفير السعودى قائلا : نحن لم نكتشف القمر بعد ، وسوف يظل القمر بالنسبة لنا هو أسمى آيات الجمال . وإذا كان الأمريكيون قد اكتشفوا القمر ومافيه من صخور وأحجار فهذا قمرهم وحدهم ، أما نحن فلم نكتشفه وسوف يظل بالنسبة لنا هو الجمال فى أبهى صوره ، واسمحى لى ياصاحبة الجلالة أن أقول لك مرة ثانية : إنك جميلة كالقمر ، القمر الذى نراه فى سمائنا نحن . فضحكت الملكة ، وقالت للسفير السعودى : « أشكرك على مشاعرك ، على أن يكون القمر الذى تعنيه هو القمر قبل اكتشاف أحجاره وصخوره » .

الفصل السابع

اسم يهودى لموبوتو

صدر قرار نقلى من بانجكوك فى آسيا إلى كينشاسا فى أفريقيا . وتم إعداد أوراق الاعتماد باسم رئيس دولة زائير « فرانسوا ديزيريه موبوتو » . وقبل أسبوع من مغادرتى القاهرة تم إبلاغ الخارجية المصرية أن اسم رئيس الدولة قد تغير ، وأصبح : « موبوتو سيسى سيكو كوكو وازابانجا » وتعنى « القائد الأسد المغوار الشجاع » . وحدث هذا التغيير حينما أطلق « موبوتو » شعارا جديدا تحت اسم « الاصالة » أو العودة إلى الأصل ، ودعا أهل بلاده إلى العودة إلى أسماء عائلاتهم القديمة ، والغاء اسمائهم التى فرضها عليهم المستعمر البلجيكى . وبناء عليه تغيرت أوراق اعتمادى وأصبحت بالاسم الجديد للرئيس موبوتو .

وفى لقائى الأول مع الرئيس موبوتو بمناسبة تقديم أوراق اعتمادى ، قال لى : « لقد أعطونى عند ولادتى اسما « يهوديا » .. ولم أكن أستطيع أن أغيره شأنى فى ذلك شأن باقى المواطنين . لقد أراد الاستعمار أن يمحو شخصية الفرد وينتزعه من جذوره ، فأملى عليه اسما لايمت له بصلة وليس له علاقة باسم قبيلته أو اسم أجداده وجاءت أسماء المواطنين هنا فى بلادنا أسماء مستوردة من الخارج ، ومستوحاة من

فكر الاستعمار البلجيكى حتى يشعر المواطن بأن كيانه ووجوده ومستقبله مرتبط تماما بما يراه « مالك الأرض ومن عليها » ، باعتبار أن الكونجو قبل الاستقلال لم تكن مستعمرة بلجيكية بل كانت « عزبة » يملكها الملك ليوبولد ملك البلجيك » .

ويسترسل « موبوتو » فى حديثه معى فيقول : « أطلقت شعار العودة إلى الأصل ، وطالبت أبناء الشعب بأن ينبذوا الأسماء الأجنبية المستعارة ، ويختاروا أسماء أخرى لهم تنبع من واقع أصلهم الافريقى وجذورهم فى هذه الأرض . وقد بدأت بنفسى ، فبدلا من الاسم اليهودى الذى كنت أحمله رغم أنفى ، أسميت نفسى اسما إفريقيا مستمدا من جذورى الأساسية التى نبتت بين أيدى الأجداد والأسلاف فى موقعهم القديم فى غرب القارة الافريقية » .

احتلال السفارة . . مؤقتا

كينشاسا : ١٢ يولية ١٩٧٢

بعد منتصف الليل سمعت حركة غير عادية فى حديقة السكن بالسفارة . ومن المعروف أن السلطات الزائيرية لاتضع أى حراسة على مبانى السفارات وسكن السفراء . وقمت من نومى منزعجا وخرجت إلى الحديقة ، وكانت المفاجأة أن أجد مجموعة من جنود المظلات المسلحين بالمدافع الأوتوماتيكية قد تجمعوا بجانب سور الحديقة من الداخل وهم فى وضع الاستعداد . فتقدمت إلى الضابط قائد المجموعة وسألته مندهشا عن سبب وجوده داخل حديقة السفارة ، وعما إذا كان لديه تعليمات لاحتلال السفارة المصرية . فقال الضابط إن التعليمات الصادرة إليه أن تقوم مجموعته العسكرية بمحاصرة المبنى الملاصق لدار السفارة ، وأنه لم يكن هناك بد من الدخول إلى حديقة السفارة حتى يمكن محاصرة المنزل المجاور . فقلت له : إن هذا الإجراء مخالف لكل الأعراف الدولية ، وأن عليه أن يأمر وحدته بالخروج فورا من حديقة السفارة . فاستجاب الضابط وأمر جنوده بالدخول بالقوة إلى المنزل المجاور دون حاجة إلى حصاره . ورأيت الجنود يقتحمون المنزل للقبض على أحد الأطباء المعروفين فى زائير ، وهو مدير مستشفى كينشاسا العام . واندفع خمسة من الجنود

إلى داخل المنزل ، وقام الضابط بوضع القيد الحديدى فى يد الطبيب ودفعه إلى عربة عسكرية نقلته إلى مكان غير معروف . وبقى الجنود فى المنزل واحتلوا الحديقة والشرفة ومنعوا الدخول والخروج ، وبقيت زوجة الطبيب بمفردها مع أبنائها الصغار وإحدى الخادمات .

ولقد اندهشت كثيرا لما حدث ورغبت فى معرفة سبب هذا الإجراء العنيف الذى اتخذته مجموعة جنود المظلات ضد الطبيب الزائيرى . فاتصلت بأحد الأطباء الدانمركيين الذين يعملون بالمستشفى العام وذكرت له ماحدث . فقال لى : إن هناك رواية يتداولها أطباء المستشفى ، ويبدو أن وقائعها كانت السبب فى القبض على الطبيب مدير المستشفى . والرواية تقول إنه فى إحدى ليالى « السبت » مرض أحد الأطفال من أبناء محافظ كينشاسا ، والذى يمت بصلة قرابة إلى أحد كبار المسئولين فى الجيش ، وتم نقل الطفل إلى المستشفى العام وأجريت له الاسعافات الأولية إلا أن حالته ساءت ولم يمكن إنقاذه ومات الطفل ، فثار المحافظ ثورة عارمة وسأل عن رئيس المستشفى، فقيل له إن اليوم « الأحد » أجازة يقضيها مدير المستشفى فى أحد النوادى المعروفة ليمارس هواية ركوب الخيل كعادته . ويبدو أن المحافظ اتصل بقريبه المسئول فى القوات المسلحة ، وصدر الأمر بالقبض على رئيس المستشفى وهو فى منزله فى نفس اليوم . واعتبر أن المستشفى فى شخص مديرها ، قد أهملت إهمالا شديدا أدى إلى وفاة الطفل ابن السيد المحافظ .. (وكم من مئات من الأطفال يموتون ، ولم تهتز الدنيا كما اهتزت للطفل المتوفى .. ابن السيد المحافظ !!) .

وفى اليوم التالى ذهبت إلى منزل الطبيب المجاور لى ، وقدمت نفسى إلى قائد القوة الموجودة ، وطلبت منه أن يأذن لى بالدخول إلى منزل الطبيب لكى أطمئن على عائلته وهذا أضعف الايمان . ودخلت إلى المنزل ووجدت زوجة الطبيب فى حالة من التوتر والانزعاج والبكاء . وانتحت بى جانباً وقالت لى : « إن زوجى لم يقصر يوما فى عمله وله سمعته الطيبة التى يعرفها الجميع ، ولكن الظروف التى نعيشها هى التى دفعت بزوجى إلى السجن دون تحقيق أو محاكمة » . ثم التفتت قائلة : ياسيادة السفير نحن دولة من دول العالم الثالث مازلنا على أعتاب الطريق نحو التقدم وسيادة القانون ، ولابد أن يحدث فى بلادنا مثلما حدث لزوجى نتيجة لتصرفات جهات غير واعية من أجل إرضاء أصحاب النفوذ أمثال السيد المحافظ . ثم قالت : إن زوجى قد وضع فى السجن مع المجرمين ، وأنا هنا مسئولة عن أطفالى الصغار ،

كما أننى مسئولة عن هذه المجموعة من جنود المظلات المقيمين بصفة دائمة فى المنزل ، فإنى أقدم لهم الشراب والطعام ، إذ لايصل لهم من وحداتهم لاشراب ولاطعام ، ولايمكننى أن أتوقف عن ذلك وإلا أساءوا معاملتى وربما معاملة زوجى فى السجن ، وإنى أتوجه إلى الله أن يفرج الأزمة ويعود زوجى إلى عائلته وأطفاله . وسألت الزوجة إذا كانت فى حاجة إلى أى عون مادى فقالت إن لديها مايكفى إلى أن يعود زوجها ، وإذا احتاجت لأى شىء فسوف تتصل بى .

وكان فى المستشفى العام فى كينشاسا مجموعة من الأطباء البلجيكيين ، وما أن علموا بما حدث لزميلهم ورئيسهم الطبيب الزائيرى حتى ثارت نفوسهم ، وذهبوا إلى وزير الصحة وأوضحوا له تضامنهم مع رئيسهم الزائيرى ، وأنهم سوف يقدمون استقالاتهم ويعودون إلى بلجيكا مالم يتم الإفراج عن الطبيب المعتقل فى السجن والتحقيق فيما حدث . وعقدت عدة لقاءات ، على مدى شهر بين وزير الصحة والأطباء البلجيكيين ولما طالت المدة ذهب أقدم الأطباء البلجيكيين إلى وزير الصحة ومعه استقالات زملائه المشروطة بالإفراج عن رئيس المستشفى الزائيرى . وأدرك وزير الصحة أن تلك الاستقالات معناها أن يتوقف العمل بأهم مستشفى فى العاصمة ، ومايتبع ذلك من آثار سيئة على المواطنين أنفسهم . وحدثت اتصالات سريعة بين وزير الصحة ورئاسة الجمهورية ، وانتهى الأمر بالإفراج عن الطبيب الزائيرى . وفى المساء كانت مجموعة جنود المظلات قد رحلت عن منزل الطبيب وعاد الهدوء إلى المنطقة .

وذهبت لرؤية جارى الطبيب الذى شكرنى على سؤالى عن عائلته خلال فترة اعتقاله . وأشهد أن الرجل لم يتكلم كلمة واحدة عما جرى له ، وكان متساميا على كل ماحدث ، وأحاط نفسه بكل الإعزاز والكرامة . وعاد إلى عمله رئيسا للمستشفى كما كان .

الصديق .. رئيس المحكمة

كينشاسا : ١٢ أغسطس ١٩٧٢

كنت قد تعرفت بأحد رؤساء المحاكم الوطنية ، وكان مولعا مثلى بصيد السمك ، وكنا نذهب سويا كل يوم « أحد » فى مركب صغير بموتور ونبحر فى نهر زائير الذى لايمكن اعتباره نهرا ولكن ربما بحرا أو محيطا ، فلا تستطيع أن ترى على مرمى النظر الشاطىء المقابل إلا حينما يضيق النهر بين الكونغو كينشاسا والكونغو برازافيل ، وتقطع المسافة بين الشاطئين بالمركب فى حوالى نصف ساعة .

كنا نذهب إلى الجزر المنتشرة فى النهر بعد رحلة تدوم حوالى ساعتين بالمركب الصغير . وفى إحدى المرات توقفنا على شاطىء إحدى الجزر وبدأنا فى الصيد وإلقاء خيوطنا فى النهر ، وإذا بى أرى كتلة أشبه بجذع الأشجار قادمة فى اتجاه الشاطىء ، وتصورت أنها كتلة خشبية يدفعها تيار النهر نحونا . فنظرت إلى القاضى ، وكان معه أحد أبناء عمه ، وقلت له : ماهذا ؟ فلم يرد على ، ولكنى لمحت اللون الأصفر يعلو جبينه ، ولم يصغ إلى كلامى وبادرنى بالقول إن هذا المكان لايوجد به أسماك ، وأنه من الأفضل أن نذهب إلى مكان آخر ، ولم ينتظر موافقتى وأدار موتور المركب ورحلنا من المنطقة على عجل إلى جزيرة أخرى بعيدة . وحينما وصلنا إلى شاطىء الجزيرة سألته مرة ثانية عن تلك الكتلة القاتمة اللون التى كانت قادمة فى اتجاهنا ، وأضفت بأنه ربما كانت أحد التماسيح . فرد على قائلا : هذه هى الحقيقة ، لقد كان تمساحا ضخما فى طريقه إلينا ، ونحمد الله أننا سارعنا وتركنا المكان وإلا كانت العاقبة وخيمة ، وربما حدثت أزمة دبلوماسية بين مصر وزائير .

وبمناسبة التماسيح التى تعيش فى النهر ، أذكر أن بعض الأجانب كانوا يمارسون هواية ، الانزلاق على الماء . وفى ذات مرة كان الملحق العسكرى الأمريكى يمارس تلك الهواية ،وفجأة انقلب الجهاز الذى كان يضعه فى قدميه للانزلاق على الماء ، وهوى الرجل فى النهر وغاص فيه . وانتظرت السفارة الأمريكية عودة الملحق العسكرى ولكنه لم يحضر ، وأدرك المسئولون فى السفارة

أنه لابد أن يكون قد لحقه أذى وهو يمارس هوايته . وكان على السفارة الأمريكية أن تستدل على رجلها حيا أو ميتا ، فأعدت مجموعة من الفنيين ووضعوا كمية من الديناميت فى المنطقة الذى وقع فيها الملحق العسكرى وتم تفجيرها ، ولم تنقض دقائق حتى طفا على السطح مجموعة من التماسيح الميتة ويتدلى من فم أحدها ذراع الملحق العسكرى الأمريكى وعليه أسورة فضية بها اسمه . ومن هنا تم التأكد من أن الملحق العسكرى الأمريكى قد توفى بتلك الطريقة القاسية .

وفى إحدى رحلات الأحد للصيد فى النهر وقع بين خيوطنا أحد أنواع السمك يسمى « كابتن » وما أن رآها صديقى رئيس المحكمة حتى تهلل وجهه ، وقال نحمد الله أن الاستعمار البلجيكى قد رحل عن بلادنا . فقلت له ومادخل الاستعمار مع السمك ؟! فقال إنه أثناء الوجود البلجيكى لم يكن من حق أى كونجولى يذهب للصيد فى النهر أن يصطاد هذا النوع من السمك الممتاز ، وإذا وقع بين خيوطه وجب عليه أن يعيده إلى النهر ثانية ، لأن هذا السمك من الأنواع المميزة ، فهو ليس طعاما للكونجوليين من أهل البلاد ولكنه طعام البلجيكيين أسياد البلاد . وإذا ضبط أحد الصيادين وفى سلته هذا النوع من السمك صودر كل مامعه وأحيل إلى مركز البوليس حيث الاهانة والضرب . ويضيف رئيس المحكمة أن أى كونجولي لو أخطأ فى أى شىء ولو كان خطأ بسيطا كان نصيبه الإهانة والضرب أمام أهله . وأضاف أنهم جاءوا بوالده يوما وأوثقوه من أيديه وأرجله وضربوه ضربا مبرحا أمام أبنائه للإمعان فى إهانته .

السيارة .. بلا ثمن

كينشاسا : ٣٠ نوفمبر ١٩٧٢

كان أحد زملائى فى السفارة قد أشترى عربة بيجو جديدة ، وعند ذهابه إلى السوق فى أحد الأيام تركها لمدة ساعة واحدة ، وعاد بعدها ليجد أن الجزء الخلفي منها قد تهشم وأن محتويات الشنطة قد سرقت . وكان عليه أن يسافر فى مهمة إلى

القاهرة فى اليوم التالى . فأعاد العربة إلى حوش السفارة ، وقال لى إنه لم يعد فى حاجة إلى العربة لأنه تشاءم منها ويريد بيعها ، ورجانى أن أجد له أحد المشترين للعربة أثناء غيابه فى القاهرة ، وتحملت هذه المهمة عن طيب خاطر .

وفى إحدى جلساتى مع صديقى الكونجولى رئيس المحكمة ، سألته عما إذا كان لديه أحد معارفه لشراء عربة وأعطيت له أوصافها . فطلب منى أن يراها وكانت جديدة بحالتها فيما عدا الجزء الخلفى الذى يمكن إصلاحه بثمن زهيد . وحضر إلى حوش السفارة وشاهد العربة وكان معه زوجته ، وعرض شراء العربة على أقساط فوافقته على ذلك ، وقام بدفع مايعادل $\frac{١}{٦}$ من الثمن على أن يتم دفع الباقى على دفعات شهرية . وكما سبق أن قلت ، كان رئيس المحكمة الكونجولى يحضر إلى فى دار السكن كل يوم أحد لكى نذهب للصيد معا فى النهر ، إلا أنه بعد أن أخذ العربة لم أره ولم أسمع منه . وسألت عنه بكل الطرق فلم أجد له طريقا ولم أستدل عليه . ومرت فترة تزيد على ثلاثة شهور ، فقررت أن أذهب فى يوم الأحد إلى المكان الذى كانت ترسو فيه المركب التى نستقلها للصيد فى النهر ، فوجدت صديقى رئيس المحكمة ، وبدا عليه الارتباك والفزع إلا أننى لم اتحدث معه بشأن العربة ، واكتفيت بالسؤال عنه وعن عائلته . ولكنه أبدى تأسفه لعدم ظهوره الفترة السابقة بسبب تحقيقات معه وجرد خزينة المحكمة وفحص الأوراق الدالة على صرف بعض الأشياء ، ثم صارحنى بأنه سوف يحضر إلىّ يوم الأحد التالى لكى يدفع ماعليه من متأخرات الثلاثة شهور ، ويستمر فى دفع ماتبقى كل شهر كالاتفاق وانتظرته فى دار السكن ولم يحضر حتى كتابة هذه السطور ، وضاعت عربة المستشار بهذا الثمن البخس .

المسئول الزائيرى الكبير

كينشاسا : ٢٠ يناير ١٩٧٢

بينما أنا جالس فى مكتبى بالسفارة ، دخلت السكرتيرة المصرية لتقول لى إن مدير إدارة شئون الأجانب بوزارة الداخلية الزائيرى موجود فى غرفة الانتظار ، وأنه يرغب فى مقابلتى على وجه السرعة . فأمرت السكرتيرة بإدخاله لمقابلتى فى الحال ظنا منى أن هناك شيئا هاما يحمله وكيل الوزارة ويريد أن يبلغه لى . وما أن جلس على مقعده حتى قال لى : « لقد كنت صديقا لسلفك ، وإنى أرجو أن تستمر هذه الصداقة مع كل سفير مصرى يأتى إلى بلادنا » . أجبته بأن هذا أعظم أمنياتى ، ففاجأنى بقوله : « إن زوجتى أنجبت بالأمس توأما » ، فقلت له : « نهنئتى لك ولزوجتك والتوأم » . وقمت الى الدولاب بجانبى وأخرجت منه بعض المشغولات الفضية المصرية وأعطيت أربعة منها له ولزوجته والتوأم ، فتسلمها دون تعبير وسألنى : « هل هذه مشغولات من الفضة ، أم من النحاس المطلى بالفضة ؟ » فقلت له : « إذا دققت فى أى منها فسوف تجد ختم التمغة الذى يؤكد أن المصنوعات كلها فضية » . وانتظر عدة دقائق ثم فاجأنى بقوله : « إننا فى مثل هذه المناسبات نقيم حفلا عائليا » .. فتصورت أنه جاء ليدعونى لحضور ذلك الحفل ، وكنت سوف ألبيه شاكرا حتى أتعرف على تقاليد وعادات تلك البلاد فى مثل هذه المناسبات إلا أنه استدرك قائلا : « إن مثل هذه الحفلات تحتاج إلى مصروفات لشراء البيرة والمشروبات والمأكولات » ، وسكت فجأة ثم قال بالفرنسية إنه يحتاج إلى ١٠٠ زائير (العملة المستعملة فى البلد) .

ونزل علىّ هذا الكلام كالصاعقة ولم أصدق أذناى ووضح على وجهى علامات الدهشة والذهول . ولم أرد ولكنى تحسست مافى جيوبى بعض الوقت ، فتصور وكيل الوزارة أن طلبه مبالغ فيه فقال لى بحزم وبصوت عالى : « إسمع ٥٠ زائير لا أقل ولا أكثر » . فأخرجت من محفظتى المبلغ المطلوب وسلمته إياه فوضعه فى جيبه قائلا : سوف أرده لك فى أقرب وقت ممكن ، وحتى كتابة هذه السطور لم يحن هذا الوقت الممكن .. !!

فــرس البـحــر ..

كينشاسا : ٧ يونية ١٩٧٢

فى عطلة نهاية الأسبوع ، وجه سفير إيطاليا الدعوة إلى مجموعة من السفراء على العشاء فى منزله الواقع بالقرب من نهر زائير فى الطريق إلى فندق « أوكابى » . وكان الاتفاق أن نتجمع أمام السفارة المصرية ، وتتحرك العربات الواحدة بعد الأخرى ونسير فيما يشبه القول ، وكان سبب ذلك أنه انتشرت فى تلك الفترة عمليات قطع الطريق والسطو المسلح بواسطة بعض الجنود الذين أنهوا مدة خدمتهم فى الجيش وكانوا يختفون بين الأشجار ليلا ، ثم يظهرون على الطريق فجأة لايقاف أى عربة تسير بمفردها ، ويسلبون ركابها وإلا تعرضوا لأسلحتهم .

وتحركت العربات الواحدة فى حماية الأخرى حتى وصلنا إلى منزل السفير الايطالى ، وقضينا وقتا ممتعا ، وأنتهى العشاء وبدأنا نستعد للعودة معاً فى قول واحد . وتحركت عرباتنا على الطريق ، ولم تمض عشر دقائق حتى وجدنا أنفسنا أمام كتل ضخمة سوداء رابضة على الطريق ، وحاولنا الاقتراب وسلّطنا أنوار العربات على تلك الكتل فتبين لنا أنها مجموعة من فرس البحر جاءت من النهر ووجدت راحتها على الطريق وسدته بالكامل ، وكانت نائمة وخالدة إلى كل السكون فأسقط فى يدنا . وكانت الساعة قد قاربت الواحدة صباحا ، فاضطررنا أن ندير عرباتنا إلى الخلف واتجهنا إلى فندق « أوكابى » وأمضينا الليلة ونحن بملابس السهرة . وفى الصباح كان مدير الفندق أول من جاء ليبلغنا بأن مجموعة « فرس البحر » قد عادت إلى النهر ، وأن الطريق أصبح خاليا ، فأخذنا عرباتنا وعدنا إلى منازلنا فى أمان .

موبوتو .. وهيكل

كينشاسا : ٢٤ يولية ١٩٧٣

لم تنقضى سنتان على وجودى فى منصب السفير فى زائير حتى جاءنى قرار نقلى إلى قبرص . وذهبت إلى القصر الجمهورى للقاء الرئيس « موبوتو » ووداعه والاستئذان فى السفر . واستقبلنى « موبوتو » وهو متجهم الوجه وقال لى فى ضيق : « إنك لم تستكمل حتى سنتين فى بلادنا .. إننى سأرسل إلى أخى « السادات » لكى يبقى عليك فترة أخرى » . ثم التفت إلى فى غضب وقال : « ماهذا الذى كتبه « هيكل » عنى فى جريدة الأهرام فى مقاله الأسبوعى « بصراحة » إن سفيرى فى القاهرة أرسل إلىّ ترجمة لما جاء فى مقال هيكل ، ولم يعجبنى ماجاء به .. ! » (وكان هيكل قد كتب فى ذلك المقال أن موبوتو يعتبر واحداً من أغنى سبعة فى العالم !) ثم استطرد موبوتو قائلا : « إن هذا أمر خطير . إننى لن أترك هذه المسألة تمر بهدوء . وإذا كنا نسلم بأن هيكل له كيانه ومركزه ، وأنه قريب من قمة السلطة ، فإن هذا لايعنى أن يأخذ الأمور بتلك البساطة ويتحدث عن رئيس دولة صديقة بتلك الطريقة المرفوضة تماما . كيف يسمح هيكل لنفسه أن يكتب فى مقالة مثل تلك الأدعاءات التى لاتفيد إلا فى تشويه صورتى وحقيقتى لدى شعبى . هل هذا مايريده أخى السادات .. وهل يوافق على ذلك .. ؟ »

وأردت أن أخفف عليه حدته وغضبه ، فانتقلت إلى الحديث عن نظريته التى اسماها « العودة إلى الأصل » ، وهو الحديث الذى لايمل (موبوتو) من مناقشته والاستماع إلى الرأى فيه فقدمت له كتاب « القاهرة فى ألف عام » باللغة الفرنسية ، وعلى الغلاف اسم الرئيس موبوتو بأحرف بيضاء مصقولة ، وقلت له : « إن هذا الكتاب يحتوى على تاريخ أقدم عواصم أفريقيا ـ تاريخ القاهرة على مدى ألف عام ، أقدمه لكم لكى تجدوا فيه صورة الشعب المصرى فى مختلف العصور ـ فرغم الاحتلال والاستعمار على مدى سنين طويلة ، ظل الشعب المصرى محافظا على جذوره متمسكا بكيانه وأصوله . ولعل فى هذا الكتاب مايلتقى مع نظريتكم التى تنادون بها « العودة إلى الأصل » ، ففى هذه العودة نجد الجذور التى تشدنا جميعا إلى أرضنا

الطيبة .. » . وقد وقع كلامى على موبوتو وقعا طيبا ، وخفف من حدة المقابلة بسبب مقالة « هيكل » .

هذا وقد بلغنى فيما بعد ، أن موبوتو أرسل رسولا إلى هيكل يدعوه للقاء به فى بروكسل ، ولكن هيكل فضل عدم الاستجابة لتلك الدعوة ، حتى يتجنب أى تطورات ليست فى الحسبان .. !

« لندعو معا .. أن يأتى المطر .. »

نيقوسيا : ٢٠ أغسطس ١٩٧٣

حدد لى الرئيس القبرصى مكاريوس موعدا للقائه فى قصره ، وكان لقاءً غير رسمى ، وخلع الرئيس غطاء الأساقفة من على رأسه حتى يشعرنى بأن اللقاء وديا لايحمل الصفة الرسمية ، ودعانى إلى الجلوس إلى جانبه على الأريكة أمام مكتبه ، واستفسر عن أحوالى فى قبرص ومدى استقرارى فى بلاده ثم سألنى : « هل تجيد لعب الطاولة مثل سلفك ؟ » ، فأجبته بأن لعب الطاولة ليس من هواياتى المفضلة ، ولكنى أهوى الذهاب إلى البحر لصيد السمك فأنا مولع به . فسألنى الأسقف : ومانصيبك من أسماك الجزيرة ؟ ثم ضحك وقال : لقد بلغنا أنك تأكل السمك على العشاء معظم أيام الأسبوع . فقلت له : دعنى اتحدث إليك بصراحة ياسيدى الرئيس ، إذ أننى أحيانا أتصور أن الجزيرة تقع على بحر من الرمال وليس بحر من الماء . فاندهش الأسقف ، وقال : لماذا ؟ قلت : إننى أذهب إلى سواحل الجزيرة القريبة من نيقوسيا فى عطلة الأسبوع بغرض صيد الأسماك وألقى خيوطى من على الشاطىء أملا فى أن أحقق هوايتى فى الصيد ، ولكنى أتعجب أن أقضى النهار بأكمله فلا أجد سمكة واحدة تقترب من الطعم مما جعلنى اتصور أننى ألقى خيوطى على الرمال وليس فى الماء . فضحك الأسقف وقال : إننى أعرف أن السمك موجود عند التقاء الماء العذب بالماء المالح ، وإنى آسف أن بلادى ليس بها أنهار عذبة تصب فى بحرنا المتوسط ، ولذلك فلا يوجد سمك بكثرة على سواحل الجزيرة . ونعلم جميعا أن

الجزيرة تعيش على ماء المطر ، فادعو الله معى أن يأتى مطرا غزيرا يسير فى الوديان ويكون الأنهار ويندفع الماء العذب إلى ماء البحر فتكثر الأسماك . وحينئذ تستطيع أن تشبع هوايتك المفضلة . وضحك الأسقف ، ورفع يدية للسماء وقال : لندعو الله معا أن يأتى المطر .. !!

مكاريوس يترك القصر من الباب الخلفى .. على دراجة

نيقوسيا : ١٥ يولية ١٩٧٤

فى ٥ يولية ١٩٧٤ ، كان مكاريوس قد بعث برسالته الشهيرة إلى الحكومة العسكرية فى اليونان وجاء فيها : « أعود إلى نفسى مرات كثيرة .. وأحس بأن يدا أثيمة تمتد الىّ من أثينا وتحاول أن تلتف حول عنقى ، تريد تدميرى وتصفية وجودى . ورغم أننى أدرك تماماً أن من واجبى القومى أن أمد يد التعاون لكل حكومة يونانية تأتى إلى الحكم فى أثينا ، فإننى لا أستطيع الإدعاء بأننى أحس بأى نوع من التعاطف ، أو التآلف مع النظم العسكرية الحاكمة ، وخاصة فى اليونان .. » .

ويبدو أن رسالة مكاريوس إلى أثينا قد ألهبت مشاعر العسكريين هناك ، ولم يعد النظام العسكرى يستطيع أن يحتمل قسوة الكلام الذى جاء على لسان مكاريوس فى رسالته . وجاء صباح يوم ١٥ يولية ١٩٧٤ ، ومعه أصوات المدافع تهز العاصمة وتقصف كل مكان يحتمل أن يكون فيه مكاريوس . وسرت إشاعة فى الجزيرة بأن مكاريوس قد مات ، وأن البحث جارى عن جثته تحت الأنقاض ، ونقلت إذاعات العالم هذه الإشاعات وظلت ترددها عدة أيام . ولكن مكاريوس كان لايزال حيا يرزق ، ففى فجر يوم الانقلاب قام الأسقف لتأدية صلاته فى محرابه ، وجاءت الخيوط الأولى للنهار وجال مكاريوس بنظره خارج النافذة ، فلمح تحركات عسكرية غير عادية تقترب من القصر وتحيط به ، فأدرك فى الحال أن انقلابا عسكريا ضده وشيك الوقوع فخلع لباس الأساقفة ولبس الزى الأفرنجى وتحرك على دراجة كان يتجول بها أحيانا

فى حديقة القصر ، وخرج من الباب الخلفى وسار على طريق جانبى ، فصادف سيارة صغيرة يقودها أحد القبارصة اليونانيين فاستوقفه وطلب منه أن يذهب به إلى « بافوس » فى طرف الجزيرة ، وهناك تحدث إلى شعبه وقال إنه مازال حيا . ثم جاءت طائرة هليكوبتر لتنقله إلى القاعدة الانجليزية فى « اكروتيرى » ومنها إلى مالطة . وفى ١١ ديسمبر ١٩٧٤ ، عاد الأسقف إلى بلاده وتولى رئاسة الدولة إلى أن مات فى ٣ أغسطس ١٩٧٧ . وهكذا طويت صفحة الرجل الذى ناضل من أجل قبرص واستقلالها على مدى عشرين عاما .

الوزراء ... فى حماية السفراء

نيقوسيا : ١٥ يولية ١٩٧٤

وما إن قام الحرس الوطنى اليونانى بانقلابه ضد مكاريوس حتى انفرط عقد الحكومة ، وتوارى الوزراء عن الأنظار وسارعوا إلى السفارات يجدون فيها ملجأ وملاذا ، وإلا وقعوا فى أيدى رجال الانقلاب الذين كانوا يبحثون عنهم فى كل مكان للقضاء عليهم وتصفيتهم . وذهبت إلى السفارة الليبية بعد ظهر اليوم التالى للانقلاب ، فدخلت وكأننى أدخل ثكنة من ثكنات الجيش ، فقد جاء رجال مكاريوس ومعهم الأسلحة ووضعوها فى السفارة الليبية توقعا لأى أحداث أو صدام مع النظام الجديد . ودخلت إلى مكتب السفير « الزنتانى » وفهمت منه أن لديه مجموعة من الوزراء فى حكومة مكاريوس . وبمجرد لجوئهم ، قامت السفارة بكل المساعدات الممكنة ويسرت لهم البقاء فيها إلى أن ينجلى الموقف . وسألت السفير « الزنتانى » إذا أراد نقل بعض المسئولين إلى دار السفارة المصرية حتى يخفف الضغط عليه فأجابنى بأن المكان يتسع للموجودين حاليا ، وإذا جاء أى قادم جديد فسوف يرسله فى عربته الرسمية مع الحارس إلى دار السفارة المصرية .

وأثناء خروجى من السفارة لمحت بالدور الأول وزير المواصلات القبرصى ، وكان عارى القدمين ويلبس بيجامة والشعر الغزير يكسو ذقنه ، وكان يتحرك فى

المكان بكثير من الحرص . وتلاقت أنظارنا واقتربت منه لأسأله عما إذا كان فى حاجة إلى أى عون منى فشكرنى قائلا إنه يجد فى دار سفارة ليبيا كل عون وأمن وسلام .

وانتقلت إلى سفارة سوريا وقابلت الوزير المفوض « محمد خضر » القائم بالأعمال السورى فى قبرص (وهو سفير سوريا فى الهند حاليا) . وعلمت منه أنه يوجد لديه فى السفارة فى الدور الأرضى « كبريانو » الذى لجأ إليه يوم الانقلاب لقرب سكنه من دار السفارة السورية ، وبقى هناك حتى انجلى الموقف . وتشاء الأقدار أن تمر سنين قليلة ، ويأتى « كبريانو » رئيسا لدولة قبرص بعد وفاة مكاريوس .

أما السفارة المصرية ، فقد لجأ إليها بعض كبار الموظفين وزوجاتهم ، إلى دار السكن فيها ، كما لجأ بعض قوات حرس مكاريوس إلى دار السفير « جالبى » سفير كوبا ، ولجأت العناصر الشيوعية إلى سفارات الدول الشرقية .

« أنت تمثل دولة إسلامية .. وأنا أخاطب فيك روح الإسلام »

نيقوسيا : ١٧ يولية ١٩٧٤

إثر الانقلاب الذى حدث ضد مكاريوس ، وتعيين « سمسون » رئيسا للجمهورية ، ذهبت فى اليوم التالى إلى القطاع التركى للقاء رءوف دنكتاش الزعيم التركى فى الجزيرة ونائب رئيس الجمهورية لكى أقف على ردود الفعل لديه بعد تلك الأحداث . وأجابنى قائلا : « إن « سمسون » قاتل وسفاح اشترك فى عصابة أيوكا الارهابية ، وله أكثر من سابقة فى حوادث القتل والاغتيال للأبرياء ، فأى مصير ينتظرنا تحت رئاسة هذا السفاح على أرض الجزيرة ومجموعة السفاحين فى أثينا الذين لايعرفون سوى المدفع والسلاح » . ثم قال لى بعصبية : أنت ممثل لدولة عربية إسلامية ، وأخاطب فيك روح الإسلام ومبادئه التى تنادى « إنما المؤمنون إخوة ..»

إننى أطلب منك أن تخطر حكومتك بالخطر الذى يحل بالجزيرة والهلاك الذى ينتظر إخوة لكم فى الإسلام ، وتوضح للمسئولين فى بلادك أن جالية إسلامية تمثل ٢٠٪ من تعداد سكان الجزيرة مصيرها التصفية على أيدى هؤلاء الطغاة . وأضاف دنكتاش قائلا : « إننا نخشى على أولادنا من القتل وعلى نسائنا من الاغتصاب ، وعلى ديننا أن يعبثوا به وبمقدساته فى ظل النظام العسكرى المتطرف فى أثينا وأذنابه على أرض قبرص . لقد حشدنا الشباب والرجال وراء الأسوار والخنادق ، ومعنا بعض الأسلحة ندافع بها عن أبنائنا وأرضنا وشرفنا ، وسوف نظل نقاوم هذا النظام الجديد إلى أن يسقط » . ثم استدرك قائلا : « إن تركيا الدولة الأم لن تسكت على مَاحدث . إننى لن أندهش إذا رأيت جموع الأساطيل التركية ترسو على شاطىء الجزيرة قادمة لانقاذ آلاف الاتراك المسلمين من بين أيدى الشرذمة العسكرية فى أثينا وممثلها المجرم القاتل سمسون » .

« ضاع القصر إلى الأبد ... »

نيقوسيا : ١٩ يولية ١٩٧٤

كان لنا صديق قبرصى من كبار رجال الأعمال يدعى « فوتوس فوتيادس » ، وكنا فى ضيافته فى قصره بشمال الجزيرة بمنطقة كارينيا يوم الأحد ١٩ يولية ١٩٧٤ ، وأمضينا يوما سعيدا فى رحابه وضيافته . وطاف بنا أنحاء الحديقة التى تحيط بالقصر وشرح لنا مشروعاته المستقبلة التى خطط لها لاقامتها على الأرض الواسعة خلف القصر .

وفى فجر يوم الاثنين ٢٠ يولية ١٩٧٤ جاءت أنباء غير مؤكدة أن الأسطول التركى قد أنزل قواته على الساحل الشمالى بالجزيرة فى منطقة كارينيا فاتصل بى فوتوس فوتيادس وسألنى عن صحة تلك الأخبار لأنه لايصدق مثل هذه الاشاعات فقلت له : « سوف أذهب بنفسى صباح اليوم إلى كارينيا لارتباطى بموعد سابق هناك وسوف أخبرك بصحة تلك الأنباء أو عدم صحتها .. » .

واصطحبنى السائق إلى كارينيا فى اتجاه الفندق المطل على الميناء الصغير حيث كان موعدى السابق ، وما أن اقتربت من مشارف الميناء حتى استوقفنى أحد الضباط الأتراك ومنعنى من متابعة السير ، وأحاطت بعربتى مجموعة من الدبابات والعربات المصفحة التركية ، وبعد الاتصال برئاسته عاد الضابط وسمح لى بالعودة من حيث جئت .

وفى الطريق الذى يقع فيه « القصر » ... القصر العظيم الذى كنا فيه بالأمس ، استوقفنى ضابط آخر وأمر السائق بالسير على طريق آخر جانبى دون توقف ، ورأيت القصر من على حافة الطريق .. لقد أصبح ثكنة عسكرية ، وصار مقرا للقيادة العامة للقوات التركية التى نزلت إلى الجزيرة . وعند عودتى إلى نيقوسيا تحدثت إلى رجل الأعمال وأبلغته بما رأيت فأصابه الذهول وقال : « لقد ضاع القصر إلى الأبد » .

السيدة .. العجوز

نيقوسيا : ٢٠ يولية ١٩٧٤

فى فجر يوم ٢٠ يولية ١٩٧٤ ، بدأ الأسطول التركى فى إنزال قواته على الساحل الشمالى للجزيرة فى منطقة كارينيا ، وأخذت المدافع والطائرات فى التركيز على ضرب مواقع الحرس الوطنى اليونانى وبعض الأحياء فى العاصمة نيقوسيا . وسادت حالة من الذعر والفزع فى أنحاء الجزيرة .

وجاءتنى جارتى السيدة اليونانية العجوز ، وهى تحمل نفسها بصعوبة وقد أصابها الخوف الشديد وقالت : « أين الصداقة بين مصر وقبرص ؟ .. كيف تقف مصر مكتوفة الأيدى إزاء مايحدث من هدم لبيوتنا وقتل لأولادنا ؟ .. أين السادات يدافع عنا ؟ .. إننى ياسيدى قد بلغت هذه السن واقترب من ختام حياتى .. ولكنى لا أريد أن أموت على يد الأتراك ... !» ثم تقدمت إلىّ وأخرجت من تحت عباءتها سلة صغيرة مملوءة بالخبز ، وقالت لى : إن « الخبز » فى عاداتنا معناه السلام

والأمان ولقد صنعت هذا الخبز فى منزلى لأن المخابز قد أغلقت أبوابها وكذا محلات المواد الغذائية وقد سمعت فى الاذاعة نداءات من المسئولين يحثون أصحاب هذه المحلات على فتح أبوابها ، وإلى حين أن تفتح تلك المحلات ستجد لديك بعض الخبز لتأكل منه ، فأنت مثل إبنى واريد أن أطمئن عليك فى هذه الظروف الصعبة . ثم قالت : أدعو الله أن يحفظك من السوء .. وأدعو لقبرص بالسلام ..

وفى لحظة خروجها سمعنا طلقات تدوى فى طرف المنزل وبالتحديد فى المطبخ فأصيبت السيدة العجوز بالذهول والاغماء ، وصعد السائق إلى دار السكن وتعاوننا فى حمل السيدة إلى منزلها المجاور لنا حيث تولاها أهلها بالرعاية إلى أن أفاقت . ثم توجهت إلى السفارة ، وفى الطريق وجدت جماعات من الشباب القبرصى اليونانى وقد تجمهرت أمام السفارة الأمريكية التى تبعد خطوات عن دار سكنى ، تهتف ضد أمريكا ، إذ اعتبرتها مسئولة عن الانقلاب العسكرى ضد مكاريوس وأنها تقاعست عن وقف الغزو التركى للجزيرة .

وما أن وصلت إلى مكتبى حتى جاءنى نبأ اغتيال السفير الأمريكى على يد بعض الشباب القبرصى الذى أطلق عليه النار من منزل لم يتم بناؤه فى مواجهة السفارة الأمريكية ، وأصيب السفير إصابة قاتلة حينما كان يراقب جماعات الشباب القبرصى من خلف النوافذ المغلقة بالسفارة ومات مع السفير سكرتيرته واثنين من أعوانه . واتضح لى فيما بعد أن الطلقات التى دوت فى مسكنى كانت من بين الطلقات الطائشة من المدافع الرشاشة التى قتلت السفير الأمريكى .

الفصل الثامن

زوجة السفير تصر على أن يقبلها الرئيس

فى زيارتنا إلى شيلى ، أقام رئيس الجمهورية بينوشيه إحدى الحفلات الرسمية ، ودعا إليها رؤساء البعثات الدبلوماسية وزوجاتهم . وكان الرئيس الشيلى يمر على السفراء ويصافحهم باليد ، ثم يقبل الزوجات على وجناتهن ، كما هى العادة فى كل بلاد أمريكا اللاتينية . وكان يقف أحد السفراء العرب وزوجته بين السفراء الآخرين ، وكان بجانبه سفير الأرجنتين وزوجته . وجاء الرئيس بينوشيه وصافح سفير الأرجنتين باليد ثم قبل زوجته على وجنتيها . ثم أقترب من السفير العربى وصافحه وتردد فى تقبيل زوجته فسلم عليها باليد خوفا من أن يكون تقبيلها خروجا على التقاليد العربية . وماأن تركها بعد مصافحتها حتى قالت بصوت مسموع وبلغة أسبانية سليمة موجهة كلامها إلى الرئيس بينوشيه : مامعنى هذا .. تقبل كل السيدات من قبلى .. وحينما يأتى دورى لاتقبلنى مثلهن ، وقالت ضاحكة : « هو إحنا منعرفش نتباس ولا إيه .. ! » وما أن سمعها الرئيس الشيلى حتى ضحك عاليا ، وعاد أدراجه إلى زوجة السفير العربى وقبلها على وجنتيها مثل باقى زوجات السفراء .. وصارت قصة يتحدث عنها السلك الدبلوماسى الأجنبى فى شيلى .

عرفت الرئيس من صورته

كيتو ـ الاكوادور : ٢٢ يونية ١٩٧٥

تحدد موعد اللقاء مع رئيس جمهورية الاكوادور ، وذهبت مع باقى أعضاء البعثة إلى القصر الجمهورى واستقبلنا كبير الأمناء واصطحبنا إلى صالون الانتظار . وبعد عدة دقائق دخل إلى الصالون أحد المسئولين وأسر فى أذن كبير الأمناء ببعض الكلمات ثم انصرف . ووجه الينا كبير الأمناء الكلام قائلاً : « إن الرئيس شعر بألم فى الأسنان وإنه يوجد حاليا فى المستشفى الصغير المحلق بالقصر ، ولذلك سوف يتأخر لقاء البعثة بسيادته حوالى نصف ساعة .. » ولم يمض وقت طويل حتى جاء إلينا أحد الضباط واستأذن فى أن يصطحبنا إلى أحد المكاتب المجاورة ، وأفهمنا أننا سنتوجه لمقابلة أحد مساعدى رئيس الجمهورية إلى حين أن يعود الرئيس من المستشفى . وهممنا بالدخول إلى الغرفة المجاورة إلا أن ضابطا آخر استوقفنا وتحدث مع الضابط الذى كان فى صحبتنا ووجدنا أنفسنا متجهين إلى غرفة أخرى .

ودخلنا إلى غرفة كبيرة بها مكتب فخم يجلس خلفه رجل فى الخمسينات من عمره يرتدى الزى العسكرى الموشّى بالنياشين العديدة ويبدو عليه سمات العظمة والثقة بالنفس وتقدمت إلى الرجل فصافحته مصافحة عادية ، ودعانى إلى الجلوس على مقعد إلى جانب مكتبه وبينما اتحدث إليه وقع نظرى على صورة معلقة خلف المكتب ، ولاحظت التشابه الكبير بين الصورة والرجل الذى أمامى فأدركت أن تلك الصورة هى صورة رئيس الجمهورية وأن الشخص الذى أمامىّ هو رئيس الجمهورية نفسه . وأسقط فى يدى واعتدلت فى جلستى ، وبدأت أتحدث إلى الرئيس بطريقة تتفق وسلطان الرجل الذى أمامى ، وكنت منذ دقائق على وشك أن أقول له « إننا سعداء أن نلتقى بكم وإننا فى انتظار لقائنا مع السيد رئيس الجمهورية ، لنبلغه الرسالة التى أتينا بها من مصر والتى تعبر عن رغبتها المخلصة فى إقامة السلام فى الشرق الأوسط .. !! » وأحمد الله أن الصورة المعلقة خلف المكتب هى التى بينت لى شخصية من اتحدث إليه .. فأنقذتنى من مطب كنت لا أحب أن أقع فيه .



لقاء مع رئيس جمهورية الاكوادور فى يونية ١٩٧٥ .

ويبدو أن الرئيس قد أدرك ماكنت فيه من حرج بسبب عدم معرفتى لشخصيته منذ البداية ، ولكنه كان مبتسما ومجاملا مما شجعنى على مسايرة الحديث دون تعثر أو تردد . وانتهت المقابلة ، وخرج الرئيس من خلف مكتبه وصافحنى مصافحة حارة ، كما قمت بتقديم وافر الاحترام الذى كان يستحقه منذ البداية باعتباره رئيسا للجمهورية وربما كان خطأ من جانبى أننى لم أعرف مقدما شكل الرئيس . وكان من الضرورى عند الترتيب للزيارات الرسمية فى هذه البلاد ، التى تكثر فيها الانقلابات العسكرية أن أضم بين أوراقى صورة آخر رئيس تمكن من الوصول إلى كرسى الرئاسة حتى لايختلط على الأمر ، وحتى أعد نفسى ذهنيا وفكريا عند الحديث مع المسئول الأول فى الدولة .

وعندما خرجنا من الباب الرئيسى للقصر تقدم نحوى سفيرنا فى الأكوادور

وقال : « أعتقد أنك لم تكن تعلم فى البداية أن من قابلناه هو رئيس الدولة ، وقد كنا جميعا نعتقد أننا سوف نقابل أحد مساعديه ، ولكن بمجرد دخولنا إلى المكتب رأيت « الرئيس » نفسه وليس أحد أعوانه ، وقد حاولت أن أنبهك إلى ذلك إلا أنك لم تلتفت إلى إشارتى ، وأحمد الله أنك أدركت بعد دقائق قليلة ، أن محدثك هو الرئيس ذاته وليس أحد معاونيه » .

ودفعنا أجرة التاكسى

جورج تاون ـ جوايانا : ٢٥ يونية ١٩٧٥

هبطت الطائرة المقلة لنا فى مطار « جورج تاون » العاصمة فى الواحدة صباحا . ولم يكن هناك أى مسئول من خارجية جوايانا فى انتظارنا كما تقضى به قواعد المجاملة للبعثات الرسمية . وبعد الاجراءات الجمركية والبوليس ، توجهنا إلى أحد الضباط الموجودين فى المطار سائلين مساعدته لنا ، فاستوقف تاكسى وأعطاه عنوان الفندق الذى كان معنا وركبنا جميعا ومعنا حقائبنا . واخترت المقعد بجوار السائق ، وانطلق السائق على الطريق الذى يصل بين المطار والعاصمة ، وكان يسير بسرعة فائقة . فقلت له بالانجليزية : « رجائى أن تهدىء من السرعة لأنه ليس هناك مايدعو إلى كل هذه العجلة » فاستمر فى سرعته وقال لى : « هل ترى مزارع القصب التى تقع على جانبى الطريق » .. مشيرا إليها فقلت : نعم ، فقال : إذا سرنا بسرعة عادية فإننا سوف نتعرض إلى قطاع الطرق المختفيين فى تلك المزارع ، وأنا لست على استعداد أن أتعرض إلى أى مخاطر بسبب السير بهدوء ، وأنا لست السائق الوحيد الذى يسير بسرعة فى هذا الطريق ، ولايمر يوما دون أن يقطع اللصوص الطريق على القادمين عليه ويسلبونهم الأمتعة والأموال .

ولم يكد يتم حديثه حتى شاهدنا بعض الأحجار الكبيرة التى كانت تسد الطريق تقريبا ، ولم يحاول السائق أن يهدىء من سرعته بل اندفع بسرعة إلى منعطف صغير على الطريق ليتجنب الأحجار ثم نظر إلى وقال : « لقد رأيت بعينك أننا كنا سنقع

فى قبضة اللصوص ونفقد أموالنا وأمتعتنا » فقلت له : هذا صحيح ، ولكن دخولك المنعطف الضيق بتلك السرعة العالية كان يمكن أن يفقدنا أرواحنا وليس أموالنا . واستمر السائق فى السير بسرعة ، ووصلنا إلى الفندق بعد ساعة من الزمن ، وأمضينا ليلنا بلا نوم تقريبا بعد أن أتلف السائق أعصابنا ..

وفى الصباح اتصلنا بوزارة الخارجية لاخطارها بحضورنا ورغبتنا فى مقابلة السيد الوزير وفقا للموعد الذى تحدد بمعرفة سفارتنا فى فنزويلا ، ورد المسئول فى الخارجية قائلا : « إن الوزارة ليس لديها عربات للقيام بمثل هذه الخدمات ، ولكن سيأتى اليكم أحد موظفى الوزارة ليصطحبكم فى « تاكسى » لمقابلة الوزير . وما أن وصلنا حتى طلب منا الموظف المرافق أن ندفع أجرة التاكسى فدفعنا ، ودخلنا إلى وزارة الخارجية وصعدنا على سلم خشبى متهالك قادنا إلى حيث مكتب الوزير فى بانجلو (بيت من طابق واحد من الخشب) . وتحدثنا مع الوزير عن مهمتنا وانتهت المقابلة وخرجنا من الوزارة نبحث عن وسيلة مواصلات ، فوجدنا تاكسى بجوار حديقة عامة صغيرة بها تماثيل لزُعماء عدم الانحياز تيتو - ناصر - نهرو - وربما كانت أهم معالم العاصمة . وعدنا إلى الفندق ومنه إلى المطار لنلحق بأول طائرة تخرجنا من تلك البلاد قبل حلول الظلام .

بعثة فى حراسة عسكرية

بنما : ٢٧ يونية ١٩٧٥

وصلنا إلى مطار بنما ، وكان فى انتظارنا السفير وأعضاء السفارة والمسئولون فى خارجية بنما . ودعانا السفير على حفل للعشاء فى نفس اليوم فى السفارة حضره وزير خارجية بنما . وأثناء العشاء انتحى بى الوزير جانبا ، وأبلغنى أنه وصلتهم معلومات مؤكدة تفيد بأن البعثة قد تتعرض لأعمال إرهابية من قبل بعض المتطرفين . وأضاف بأن المخابرات الأمريكية هى مصدر هذه المعلومات وأنها دائما تكون معلومات صحيحة . وعلق الوزير قائلا : ليس هناك أى مدعاة للقلق ، فإن

البرنامج يسير وفق ماوضعته الوزارة للبعثة ، وإن الاحتياطات اللازمة قد تم اتخاذها . وعدنا إلى الفندق لنجد الجنود المسلحين بقيادة أحد الضباط وقد وقفوا أمام مكان إقامة البعثة فى الفندق . وفى اليوم التالى بدأت الزيارات واللقاءات مع الوزير والمسئولين فى خارجية بنما - وفى كل مكان كنا نذهب اليه نجد الحراسة المشددة من قوات الأمن والجيش .

وكان من ضمن برنامج البعثة أن تقوم بجولة فى المدينة ، واصطحبنا المرافق إلى أكبر المحلات التجارية فى العاصمة حتى نلمس التقدم الصناعى فى بنما ، وخاصة الصناعات القطنية التى تشتهر بها . وما أن دخلنا حتى وجدنا قوات الحراسة وقد سبقتنا وملأت أركان المحل التجارى ، حتى لم يعد لى رغبة فى النظر إلى أى من المعروضات .

وفجأة سمعنا بعض الهرج والضوضاء فى المحل ، فاندفع نحونا المرافق ومعه مجموعة من الجنود وأحاطوا بنا فى ركن من المحل ووقفوا بأسلحتهم فى وضع الاستعداد . ولمحنا فى الجانب الآخر من المتجر ، رجلا يدفعه أحد الجنود أمامه وتصورنا جميعا أنه ربما كان أحد المتطرفين وكان يريد التعرض لنا أثناء وجودنا فى المحل ، ولكن اتضح أن الشخص المقبوض عليه هو من عامة الشعب الفقراء الذى تم ضبطه ومعه بعض الملابس المسروقة من المحل . وعدنا إلى الفندق فى حراسة قوات الأمن ، واستكملنا باقى البرنامج المعد للبعثة على مدى ثلاثة أيام .

رئيس الأركان يقود طائرتنا

جواتيمالا : ٣٠ يونية ١٩٧٥

قابلنا رئيس الجمهورية الذى رحب بنا كثيرا ، إذ كنا من أوائل البعثات المصرية التى تزور بلاده وتحدثنا مع الرئيس عن مهمتنا . وأثناء اجتماعه بنا ، فاتحنا فى إنشاء علاقات دبلوماسية مع مصر . وقال إنه فى حالة موافقة مصر على تبادل

السفراء ، فإنه سوف يرشح أحد أصدقائه المقربين ، وهو رئيس أركان حرب سلاح الطيران وقام بتقديمه إلينا للتعرف عليه .

وكانت خارجية جواتيمالا قد أعدت لنا برنامجا للقاءات عديدة مع المسئولين فى كافة المجالات ، فضلا عن رحلات داخل البلاد لزيارة المعالم الأثرية بها . وبعد الانتهاء من اللقاءات الرسمية مع المسئولين ، بدأنا الرحلات إلى معالم البلاد . وتحدد لنا موعد اللقاء فى المطار لكى نستقل الطائرة إلى أهم المعالم الأثرية البعيدة عن العاصمة ، وما أن أقلعت الطائرة حتى جاءنا أحد أفراد الطاقم ودعانا للدخول إلى مقدمة الطائرة ، وكانت المفاجأة أن نجد رئيس أركان حرب سلاح الطيران والمرشح ليكون أول سفير لجواتيمالا فى مصر ، هو الذى يقود الطائرة وبجواره أحد المساعدين ورحب بنا كثيرا وقال : « إن الطائرة صغيرة ولكن يجب أن تطمئنوا طالما أنا الذى أقودها .. » . ومأن عدنا إلى مقاعدنا حتى تعرضت الطائرة لمطب هوائى كبير جعلنا ننكمش فى مقاعدنا والرعب يملأ قلوبنا . وقال لى زميلى الجالس بجوارى : « يبدو أن أركان حرب سلاح الطيران قد نسى الطيران لأنه يستعد للعمل كسفير » ، وتمنينا أن يقوم مساعده بقيادة الطائرة ولاداعى لتلك الحفاوة البالغة بنا بأن يقود طائرتنا رئيس هيئة أركان حرب سلاح الطيران .

وبعد ساعة تقريبا نزلت الطائرة على ممر قديم يصل إلى المنطقة الأثرية . وكان هناك عدد كبير من السياح وأهل البلاد ، وإذا بفتاة رائعة الجمال تتقدم إلينا وتصافحنا بحرارة وتقدم نفسها لنا بالاسم فقط ، وطلبت أن تأخد صورة تذكارية معنا فلم نمانع . وانتحيت جانبا مع أركان حرب سلاح الطيران وأردت أن أقول له كلمة فيها بعض المجاملة ، وقلت له مشيرا إلى الفتاة : « يبدو أن نساء جواتيمالا يتمتعن بقسط وافر من الجمال .» فشكرنى .. وقال لى : سأذهب إلى الفتاة لكى أعرف اسم عائلتها واسم المحافظة التى تنتمى اليها . وذهب للتحدث إلى الفتاة ولم يتأخر كثيرا وعاد إلينا والضحك يملأ قلبه وفمه ثم يقول : « يبدو أننى أخطأت فى حقكم .. لقد سألت عن الفتاة واتضح أنها ملكة جمال اسرائيل ، وأنها جاءت إلى جواتيمالا بدعوة من وزارة السياحة ضمن برنامج للتنشيط السياحى » . واستدرك قائلا : « ومع هذا فربما ماحدث يكون فاتحة طيبة لعلاقات طبيعية بينكم وبين اسرائيل طالما أن بعثتكم جاءت إلى بلادنا لتدعو إلى السلام » .

وفى اليوم التالى كان لنا لقاء مع وكيل الخارجية الذى دعانا إلى الغداء فى النادى الموجود بالعاصمة القديمة « انتيجوا » . وبعد الغداء اصطحبنا لكى نشاهد العاصمة القديمة ومافيها من آثار تاريخية قيمة . وتفقدنا بكثير من الأعجاب مارأيناه ، وكان وكيل الخارجية يقوم بالشرح ويذكر تاريخ العاصمة القديمة ويتحدث عن آثارها كأنه أحد العلماء فى هذا المجال . وانتهت زيارتنا للعاصمة القديمة ومعالمها التاريخية وعدنا بالطائرة إلى العاصمة الحديثة ومنها للفندق وانتهت زيارتنا لجواتيمالا .

وفى اليوم التالى استقلت البعثة الطائرة فى طريقها إلى كراكاس وفى الطائرة وقع نظرى على خبر فى جريدة أسبانية يقول إن « انتيجوا » العاصمة القديمةُ لجواتيمالا ، قد تعرضت مساء أمس إلى زلزال قوى أتى على كثير من معالمها التاريخية . وكانت هناك فى الجريدة صورتان لتلك الآثار قبل الزلزال وبعده ، وشاهدت المكان الذى كنت فيه بالأمس فى العاصمة القديمة .. شاهدته وقد صار أنقاضا متهالكة على الأرض . ماذا لو تأخرت رحلتنا لزيارة الآثار فى « انتيجوا » ساعات قليلة ؟ .. أعتقد أن الزلزال كان سيضع نهاية لرحلتنا دون زيارة باقى عواصم أمريكا اللاتينية .. بل ربما كان سببا فى رحلة أخرى هى رحلة الوداع .. من الدنيا .

دمشق : لقاء الـ ٢٤ ساعة

دمشق : ١٧ نوفمبر ١٩٧٧

فى ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ ، تم آخر لقاء بين الرئيسين السادات والأسد ، فقد جاء السادات فى زيارة إلى دمشق لمدة ٢٤ ساعة التقى خلالها مع الرئيس الأسد ليشرح له وجهة نظره وتصوراته عن مرحلة السلام مع إسرائيل . وانتهت الزيارة دون الوصول إلى أى اتفاق ، وافترق الرجلان وذهب كل منهما فى طريق .

وفى ذلك اليوم هبطت طائرة الرئيس السادات فى مطار دمشق ، وصعدت للقائه داخل الطائرة . وكان فى استقباله الرئيس « حافظ الأسد » والسيد وزير الخارجية عبد الحليم خدام ، وكافة الوزراء السوريين ، وبعد انتهاء مراسم الاستقبال

الرسمى فى المطار ، تقدم إلىّ مدير المراسم برئاسة الجمهورية السورية وطلب منى أن أركب فى العربة رقم (٢) خلف عربة الرئيس مباشرة ، والتى تقل الرئيسين المصرى والسورى . ثم علّق مدير المراسم قائلا : ستركب سيادتك العربة رقم (٢) لأنه على مايبدو أن السيد اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية لم يحضر إلى دمشق مع الرئيس السادات ، ولقد كانت العربة رقم (٢) مخصصة له فأرجو أن تحل محله فى هذه العربة .

وكان يقف معنا السفير حسن أحمد كامل رئيس ديوان رئيس الجمهورية ، وسألته عما حدث ، فانتحى بى جانباً وأفادنى بأن السيد اسماعيل فهمى لم يعلن عن اعتذاره عن الحضور فى صحبة الرئيس السادات إلا صباح هذا اليوم ، وأفاد بأنه مريض لايستطيع السفر فقام السيد حسن كامل بإبلاغ الرئيس السادات بإعتذار السيد اسماعيل فهمى فرد الرئيس : « **أحسن أنه ماجاش ، عمل طيب ..** » .

ووصل الرئيسان إلى قصر الضيافة بجوار السفارة المصرية بحى « أبو رمانة » . والقصر عبارة عن فيلا متواضعة كانت تشغلها السفارة المصرية إلى أن جاءت الوحدة مع سوريا .

وتبادل الرئيسان السؤال عن صحة الآخر ، وتحدث الرئيس السادات قائلا إنه يشعر دائما بنشاط كبير لأنه لا يأكل كثيرا . وأضاف أن أكلته المفضلة الجبنة البيضاء واللبن ، وأن غذاءه لايتعدى الخضروات والفواكه وقطعة من اللحم أحيانا ، أما العشاء فيكاد لايقدم عليه إلا فى المناسبات الرسمية ، ومع ذلك لايأكل كل مايقدم إليه فى مثل هذه المناسبات ، وأنه يصوم يومى الاثنين والخميس . وسأل الرئيس الأسد عن الموعد الذى يناسب الرئيس السادات لبدء المباحثات ، فأجاب الرئيس السادات أنه يناسبه موعد الساعة السادسة مساء (وكانت الساعة الواحدة بعد الظهر عندما وصل الرئيسان إلى قصر الضيافة) . فقال الرئيس الأسد : يبدو أن الرئيس السادات متعب من الرحلة ، فأجابه السادات بأنه صائم ويود أن يأخذ بعض الراحة حتى أذان المغرب ، وسوف يتناول وجبة خفيفة ثم يذهب للقاء الرئيس السورى فى منزله . واتفق الرئيسان على هذا الموعد وانصرف الرئيس الأسد مع باقى الوزراء السوريين .

وتقدمت إلى الرئيس السادات وسألته إذا كانت هناك أى توجيهات ، فأجابنى : « أرجو أن تبقى بجانبنا هنا تحسبا لأى شىء نحتاج إليه » .

وصعد الرئيس إلى غرفته بالدور الثانى وكان معه السيد فوزى عبد الحافظ . ثم انصرفت إلى مكتبى لإنهاء بعض المسائل العاجلة ، ثم عدت إلى قصر الضيافة وجلست مع باقى أعضاء الوفد المرافق للرئيس فى الدور الأول من القصر ..

وفى السادسة مساء نزل الرئيس السادات من غرفته وصافحنى وطلب منى أن أبقى فى قصر الضيافة إلى حين انتهاء الاجتماع بين الرئيسين . وكانت عربة الرئاسة السورية فى انتظار الرئيس السادات التى أقلته بمفرده إلى منزل الرئيس الأسد لبدء المحادثات على انفراد دون حضور أى مسئول مصرى أو سورى . وكانت رئاسة الجمهورية قد وجهت دعوة إلى كافة السفراء العرب وذلك على العشاء تكريما للرئيس السادات ، ولكن صدرت التعليمات فى آخر لحظة بإلغاء هذا الحفل .

وانتظرت مع باقى الوفد فى صالون الاستقبال فى قصر الضيافة ، ومرت الساعات ساعة بعد أخرى ونحن ننتظر عودة الرئيس السادات ، وبدأ القلق يساورنى فأدركت أن المحادثات قد صادفت صعوبات ، الأمر الذى جعل الرئيسين يقطعان كل هذه الساعات فى حوار متصل .

وفى الواحدة من صباح اليوم التالى سمعنا آلات التنبيه لموكب السيد الرئيس وهو قادم إلى قصر الضيافة ، فقام الجميع لتحيته عند قدومه . ولعلنى أقول هنا إن الرئيس السادات كان قد ذهب للقاء الرئيس الأسد فى السادسة مساء وهو فى أبهى هيئة ، ثم عاد فى الواحدة من صباح اليوم التالى وكأنه خارج من حلبة للملاكمة .

وأحس الجميع بأن شيئا خطيرا قد حدث فى لقاء الرئيسين . وتقدمت لمصافحة الرئيس السادات ورافقته إلى الدور العلوى حيث يقيم ، ثم سألته عن أى توجيهات . فقال لى إن مؤتمراً صحفيا عالميا سوف يعقد فى قصر الضيافة فى العاشرة صباحا وسوف يحضره هو والرئيس الأسد .

وعدت إلى دار السكن لاستريح بعض الساعات قبيل انعقاد المؤتمر الصحفى العالمى . وفى التاسعة صباحا عدت من مكتبى إلى قصر الضيافة ووجدت حشدا هائلا من الصحفيين العرب والأجانب . وكان هناك بعض الوزراء السوريين ، ومن بينهم

المرحوم أحمد اسكندر وزير الإعلام السورى الذى تقدم إلىّ ليبلغنى بأن الرئيس الأسد لن يحضر المؤتمر الصحفى ولكنه سوف يصطحب الرئيس السادات بعد انتهاء المؤتمر ويودعه فى المطار قبل سفره إلى القاهرة .

أنا رميت طوبة العرب

وصعدت إلى الدور العلوى وكان الرئيس السادات قد قارب على الانتهاء من ارتداء ملابسه ، وتقابلنا فى الصالة المجاورة لغرفته وصافحنى ، وسأل عن المؤتمر الصحفى فأبلغته بأن عددا كبيرا من الصحفيين العرب والأجانب موجودون حاليا فى الدور الأول ولكن السيد أحمد أسكندر وزير الإعلام أبلغنى بأن « الرئيس الأسد » لن يحضر المؤتمر .

وظهرت علامات عدم الارتياح على وجه الرئيس السادات ، وقال أنه رغم أن الأسد قد اتفق معه على حضور المؤتمر الصحفى إلا أنه كان لديه انطباع بأنه لن يحضر هذا المؤتمر . ودار الحديث بين السادات وبينى ، وسألنى عن الأوضاع الداخلية فى سوريا وعن ردود الفعل المحتملة بشأن زيارته المقبلة لاسرائيل ، فشرحت له سياسة حزب البعث الذى يسيطر عليه قلة من العلويين الذين يمثلون نسبة ضئيلة جدا بالمقارنة بباقى الأعراق الأخرى فى سوريا . وأضفت أننا لابد أن نتوقع حملة إعلامية وانتقادات عنيفة من بعض الدول العربية لأن مثل هذه الخطوة لن يتقبلها بسهولة بعض القادة العرب الذين عاصروا قضية فلسطين وعاشوا فيها . فأجابنى : « **أنا رميت طوبة العرب ونفضت إيدى منهم ، ولهم أن يفعلوا مايشاءون** »

وأضاف قائلا : « لقد عشنا سنين طويلة نحاول أن نجد حلا للمشكلة الفلسطينية ، ومرت السنون دون أن ننجز شيئا لا لصالح الفلسطينيين ولا لصالح قضية الشرق الأوسط .. ولقد فكرت فى بادىء الأمر أن أدعو إلى لقاء قمة بين الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن ، أى بين الزعماء الخمسة الكبار .. أدعوهم للمناقشة الواضحة والأمينة ، وأطالبهم بوضع نهاية لمآسى الفلسطينيين وإيجاد

حل عادل لقضية الشرق الأوسط . وكان هناك رأى آخر بالدعوة إلى مؤتمر دولى للسلام فى المنطقة ، ولكننى لم أوافق على ذلك لأن مثل هذه المؤتمرات لن تؤدى إلى أى نتيجة وربما عاشت القضية عشرات السنين دون حل ، شأنها فى ذلك شأن مؤتمر نزع السلاح والمفاوضات الجارية بشأنه والتى بدأت منذ عشرين عاما ولم تجد طريقها الصحيح حتى الآن ..

إننى سوف أذهب إلى آخر الدنيا فى سبيل السلام ، وفى سبيل إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية ، وإنهاء الحرب فى المنطقة والتوجه بقدرات الشعب المصرى فى سبيل التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة لهذا الشعب الذى قاسى كثيرا وتحمل كثيرا ودخل حروبا طاحنة دمرت اقتصادياته وأتت على أخضره ويابسه . كفانا حروبا أفقرتنا .. كفانا نزاعا على الحلول من أجل القضية الفلسطينية . إن من حق بلادنا أن تعيش فى سلام من أجل التنمية والتقدم الاقتصادى » .

سوريا والقذافى

ثم نزل الرئيس السادات إلى الدور الأول فى قصر الضيافة ، وكان فى انتظاره بعض الوزراء السوريين وفى مقدمتهم وزير الإعلام د . أحمد اسكندر ود . الفحام وزير التربية ، ووزراء الاقتصاد والصحة وغيرهم ، وصافحهم الرئيس السادات .

وبداوا فى الحديث عن مشاكل العالم العربى ، **واستفسر بعض الوزراء من السوريين عن علاقات مصر بليبيا ، وتساءلوا عن عدم مواصلة القوات المصرية تقدمها فى الأراضى الليبية لاحتلالها . وأضافوا أنه كان من الأفضل للعالم العربى كله أن تحتل القوات المصرية الأراضى الليبية لوضع حد للشغب الذى يحدثه « القذافى » فى هذا الجزء من العالم ، ولكى تصبح مصر أكثر قوة فى المجال الاقتصادى بفضل الثروة البترولية الضخمة التى تمتلكها ليبيا .**

فأجاب السادات : أن الغرض من التدخل العسكرى المصرى فى ليبيا كان لإعطاء القذافى درسا لاينساه ، وليعلم أننا قمنا بهذا العمل العسكرى بعد ما استنفدنا كل السبل السلمية معه وبعد أن نفد صبرنا ، وأن مصر ليست دولة غازية ، لاتريد أن تضرب ابنا عربياً ، ولكنها اضطرت إلى ذلك للإصلاح والتهذيب ولكى يعلم « القذافى » أن مصر شوكتها قاسية ومؤلمة . ولكن الوزراء السوريين عبروا مرة ثانية عن أملهم فى أن تضع مصر يدها على ليبيا ، وسوف تجد كل التأييد من داخل ليبيا ومن العالم العربى بأكمله وسوريا فى المقدمة .

المؤتمر الصحفى العالمى

ثم تقدم الرئيس السادات لبدء المؤتمر الصحفى العالمى ، ولم يحضر الرئيس « الأسد » . وبدأ الصحفيون فى توجيه الأسئلة إلى الرئيس السادات ، وكان أول الأسئلة عن محادثاته مع الرئيس « الأسد » بالأمس وما تمخضت عنه ، ولم يفصح الرئيس السادات عن كل ماخدث بين الرئيسين فى لقائهما على حدة . ولكنه قال : إنه قد حان الوقت لايجاد حل سلمى لمشكلة الشرق الأوسط والمشكلة الفلسطينية ، وأن الحرب لن تنتهى ولا تستطيع أى شعوب فى العالم أن تعيش فى حالة حرب دائمة ، وأن من واجبنا كقادة عرب أن نعمل لصالح الأجيال القادمة ولصالح السلام ونتفرغ إلى التنمية الاقتصادية بما يعود على شعوبنا بالخير والرفاهية ولرفع مستوى معيشة هذه الشعوب بعد حرمان طويل بسبب تكاليف الحروب الباهظة . ثم استدرك قائلا : « أليس من حق شعوبنا أن تنعم بالسلام حتى تحقق مستوى معيشة أفضل . إننا نعرف جميعا أن الحروب لاتنهى نزاعا حتى لو تغلب أحد الطرفين ، ولكن السلام هو الذى يضع قواعد الاستقرار والأمان وما أحوجنا إلى كليهما .. » .

وتوجه إليه أحد الصحفيين الأجانب بسؤاله عما إذا كانت لديه النية فى الذهاب إلى القدس ، فأجاب « السادات » على الفور : « **إننى سوف أذهب إلى القدس إذا وُجهت الدعوة لى » . ونزل هذا الرد كالصاعقة على الصحفيين ، وكادوا**

لايصدقون آذانهم . ثم توجه صحفى أجنبى آخر بنفس السؤال إلى الرئيس السادات ، فأجاب الرئيس : « لقد قلت هذا عدة مرات ، وأقوله الآن ، وسوف أذهب إلى آخر الدنيا فى سبيل إيجاد السلام فى المنطقة وتأكيد حقوق الفلسطينيين » .

هـذه كارثـة

وانتهى المؤتمر الصحفى بعد ساعتين تقريبا ، وجاء الرئيس « حافظ الأسد » لاصطحاب الرئيس السادات إلى مطار دمشق ، وكان الموقف هادئا ولم يحدث فيه أى شىء يعكر صفو الذهاب إلى المطار . وتحرك الركب من خلف الرئيسين ، ووصلنا إلى المطار . والتقينا بعيدا على أرض المطار وكنا ثلاثة : عبد الحليم خدام والسفير حسن أحمد كامل وأنا . ووجه الوزير السورى سؤالا إلى حسن كامل رئيس ديوان رئاسة الجمهورية ، وقال : « ماذا أنتم فاعلون الآن ؟ » فأجابه حسن كامل بكل الثقة والهدوء : « **سوف نذهب إلى القدس .. وسوف تذهب « المقدمة » بعد باكر إلى هناك للاعداد لزيارة الرئيس السادات الذى سوف يتحدث إلى الشعب الاسرائيلى ، ويلقى خطابه فى الكنيست . ولم يتمالك عبد الحليم خدام أعصابه ، وقال بأعلى صوته على أرض مطار دمشق : « هذه كارثة .. هذه كارثة .. سوف تحل بالعالم العربى أكبر كارثة فى تاريخه .. »**

وانتهت مراسم الوداع وتصافح الرئيسان ، وبقى الأسد فى المطار إلى أن أقلعت طائرة الرئيس السادات . وهمّ الرئيس الأسد بركوب عربته ، ولكن اقترب منه عبد الحليم خدام وأمسك يده وتحدث معه ، ثم اصطحبه إلى استراحة كبار الزوار حيث عقد مؤتمرا صحفيا آخر فى المطار .

وتحدث الرئيس الأسد إلى الصحفيين وقال : « إن مصر شقيقة عزيزة علينا ، و ـ الرئيس السادات شقيق لنا ، وقد دخلنا الحرب معا وضحينا معا .. وله رأى فى

السلام فى المنطقة ، ولكننا اختلفنا معه حول هذا الرأى ، **ولعل الزمن يثبت من كان صاحب الرأى الأصوب ...** »

وانتهى المؤتمر الصحفى وعاد الرئيس الأسد فى موكبه إلى دمشق ، وعدنا جميعا إلى مقر أعمالنا . وكانت الساعة حوالى الثانية بعد الظهر ، ودخلت بعد الغداء إلى غرفة بعيدة فى منزلى لكى استريح من عناء وتعب الليلة السابقة وماحملته من ضغط على الأعصاب .

الاعتداء على دارى السفارة والسكن

وحوالى الخامسة بعد الظهر سمعنا صوت انفجار فى دار السكن وتهشمت ألواح الزجاج من حولى . ولولا وجود ستارة على شباك الغرفة لنزلت هذه الألواح وأصابتنى إصابات بالغة . ولم تمض دقائق حتى سمعنا انفجارا آخر فى دار المكاتب الذى يبعد خطوات عن دار السكن .. وتحدث إلّى تليفونيا حارس الأمن الذى كان فى حالة من الاضطراب وقال لى : « السفارة بتتفجر يافندم » . فذهبت فى الحال إلى دار المكاتب ورأيت نوافذه وأبوابه وقد تهشمت ومفروشاته وقد تحطمت ، إلا أنه لم تحدث خسائر فى الأرواح بين حراس الأمن من الموجودين فى داخل مكاتب السفارة .

وقمت بالاتصال تليفونيا بوزير الداخلية السورى فى مكتبه ، وأخبرته بماحدث وحضر إلى دار السكن ومعه رئيس المخابرات العسكرية وبعض معاونيه ، وتفقدوا معى ماحدث فى دارى السكن والمكاتب ، وجلسنا فى حجرة الاستقبال التى لم تتأثر بالانفجار . وقال لى الوزير السورى : إن سلطات الأمن سوف تتخذ كافة الاجراءات لمعرفة المسئول عن هذا الانفجار !! وأعطانى رقم تليفونه الخاص وطلب منى أن أتصل به فى أى لحظة ، وتأسف لما حدث ، وانصرف الجميع بعد أن جاءت قوات الأمن السورى لتحرس دارى السكن والمكاتب وذلك لليلة واحدة ثم تم سحبها .

السادات في القدس

وفى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٧٧ ، سافر السادات إلى القدس ، وتابعنا من دمشق أخبار الزيارة التى ظهرت كل وقائعها على شاشة التليفزيون السورى . وكان المذيع السورى يعلّق بطريقة هيستيرية على الزيارة . وعندما نزل الرئيس السادات من الطائرة ، وكانت جولدا مائير من بين مستقبليه قال المذيع : « **انظروا إنه يحتضن العجوز ، إنه يصافح قمة العداء ، إنه يضع يده فى يد من قتلت أبناءه وأبناء العرب** » . وتعالت أصوات الغضب وباتت دمشق وراء هذا الحدث الكبير وهى لاتصدق أن هذا قد تم ، وأن الرئيس المصرى قد وصل بقدميه إلى القدس عاصمة العدو .

وفى اليوم التالى ، كان مؤذن المسجد يدعو المصلين لصلاة العيد ، وذلك فى المسجد الكبير الذى يبعد عدة خطوات من دار السكن . وما أن انتهت صلاة العيد حتى علت أصوات الجماهير السورية من المصلين تهتف هتافات عدائية ضد الرئيس المصرى ، وتتهمه بالخيانة لقضية العرب الكبرى - قضية فلسطين ، وبالعمالة لامريكا وتجمهر المصلون وتوجهوا فى مواكب متتالية وانضم اليهم الكثير من المصلين من الفلسطينيين قاصدين دارى السكن والمكاتب ، ولكن البوليس السورى كان يحرس هذه المظاهرات حتى لاتقترب كثيرا من هناك . ولكن تمكنت بعض المجموعات من لصق الكتابات المعادية للرئيس السادات على حوائط دار السكن .

وحضر فى اليوم التالى إلى دار المكاتب ، وفد من الفلسطينيين الموجودين فى سوريا وطلبوا مقابلتى ، وانتهت المقابلة بتقديم احتجاج على زيارة الرئيس السادات للقدس وأثر ذلك على التضامن العربى وضياع حقوق الفلسطينيين .

قطع العلاقات بين مصر وسوريا

وكان مجلس الوزراء السورى وحزب البعث السورى فى حالة اجتماع مستمر ، لمناقشة زيارة الرئيس السادات إلى القدس . وأصدرت الحكومة السورية قرارا بتجميد العلاقات مع مصر ، وكان رد فعل مصر على هذه الخطوة أن رفضت تجميد العلاقات وأعلنت من جانبها قطع العلاقات مع سوريا .

وجاءتنى التعليمات من الخارجية المصرية بأن أعود فورا إلى القاهرة تنفيذا لقرار قطع العلاقات مع سوريا ، وعدت إلى القاهرة فى ظرف ٢٤ ساعة وتركت عائلتى خلفى لتلحق بى فى القاهرة بعد ثلاثة أيام .

وعدت إلى القاهرة ولم يمض على وجودى فى دمشق أكثر من عشرة شهور . وهكذا طويت صفحة مليئة بالقلق والاضطراب فى تاريخ العلاقات المصرية السورية .

لتبدأ صفحة أخرى أشد قلقا وأكثر اضطرابا ..

الفصل التاسع

كيف يجرؤ على النباح أمام الرئيس

هبطت طائرة رئاسة الجمهورية بعد ظهر يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٨ فى مطار دوبروفنيك ، وعليها السيد نائب الرئيس حسنى مبارك والوفد المرافق لسيادته ، ثم اتجهت بنا العربات إلى الفندق المطل على شاطىء الأدرياتيك الأزرق فى منطقة « دلماسيا » رائعة الجمال .

وفى صباح اليوم التالى حضرت عربة الرئاسة لتقلنا من دوبروفنيك إلى « ايجالو » للالتقاء بالرئيس تيتو . ودخلنا إلى الفيلا الصغيرة التى يقيم فيها « تيتو » حينما يوجد فى تلك المنطقة.. ولم تمض دقائق حتى دخل الرئيس « تيتو » وصافح السيد النائب وصافحنى ، وجاء من بعده المترجم من العربية إلى السلافية ، وهو ابن ايزافيتش صاحب مطعم ايزافيتش الشهير فى ميدان التحرير ، ويتحدث اللغة العربية بلهجة مصرية صحيحة .

وما أن جلسنا حتى دخل إلى القاعة كلبان كبيران يعتز بهما الرئيس « تيتو » ولايفارقانه حيثما ذهب . ولم يسكت الكلبان عن النباح حتى كاد يضيع الكلام بين

النباح ، فالتفت إليهما « تيتو » ووجه لهما بعض العبارات ثم ضحك ، وضحك المترجم كذلك ، وسكت الكلبان عن النباح . وانتهت المقابلة بعد حوالى ساعة من الزمن ، وعند الخروج من القصر سألت المترجم ايزافيتش : « لماذا ضحكت حينما وجه الرئيس بعض العبارات إلى كلبيه .. ؟ » فقال : لقد قال لهما مازحا : « كيف تتجرآن على النباح أمام رئيس الدولة .. !! » .

تيتو .. الصديق الأمين

بلجراد : ٣٠ سبتمبر ١٩٧٩

اتخذ مؤتمر بغداد عدة قرارات ضد مصر بسبب اتفاقيات كامب ديفيد ، وكان من بين تلك القرارات تجميد عضوية مصر فى حركة عدم الانحياز . وفى ١٠ مايو ١٩٧٩ ، جاء محمد بن يحيى وزير خارجية الجزائر (قُتِل فيما بعد فى حادث غامض فى طائرة انفجرت فى الجو) حاملا معه رسالة مؤتمر بغداد ، وطلب من تيتو تأييد تجميد عضوية مصر فى حركة عدم الانحياز . ولم يستكمل الوزير حديثه مع الرئيس تيتو حتى رد عليه الأخير بمنتهى الحزم قائلا : « يجب أن تعلموا جميعا أن هذا الأمر غير قابل للمناقشة . إن مصر بالاشتراك مع الهند ويوغوسلافيا كانت الدول الرائدة لتجسيد فكرة عدم الانحياز . إن مصر ناضلت سنين طويلة فى سبيل تدعيم الحركة وإنجاحها ، وفتحت الطريق أمام دول العالم الثالث للانضمام إلى الحركة . إن مصر لم تخرق أى مبدأ من مبادىء عدم الانحياز ، وإن بلادى لايمكنها - تحت أى ظروف - أن ترى مصر بعيدة عن الحركة » . ثم أضاف تيتو قائلا : « ليكن فى علم الجميع أن يوغوسلافيا ، وإن كانت تساند الفلسطينيين وحقوقهم بكل قوة ، إلا أنها ترفض أن تأتى الدول العربية بمشاكلها إلى داخل الحركة مما يدفع بها إلى المخاطر والانقسام ..» .

وفى سبتمبر ١٩٧٩ ، انعقد مؤتمر قمة هافانا لدول عدم الانحياز . وذهب تيتو إلى كوبا متحاملا على نفسه حاملا مرضه بين جنبيه ، وألقى بكل ماتبقى له من جهد

فى المؤتمر فى سبيل الابقاء على حركة عدم الانحياز وتماسكها . وفى أثناء انعقاد المؤتمر جاءت مصر بمفاجأتين .. الأولى هى الاعلان عن زيارة الرئيس السادات إلى « حيفا » واجتماعه بمناحم بيجين ، كأنه تحد صارخ للدول العربية مما زاد من غضبها داخل المؤتمر والثانية وهى إعلان مصر عن تقديم العون العسكرى إلى المغرب فى حربها ضد البوليزاريو غير عابئة بمقررات مؤتمر « منر » بشأن مشكلة الصحراء ، مما أغضب الدول الأفريقية إلى الحد الذى دفع الرئيس « كاوندا » رئيس زامبيا إلى أن يعبر للرئيس تيتو عن استيائه قائلا : « لقد جئت إلى هافانا بعد مؤتمر منروفيا وكلى حماس للوقوف بجانب السادات ، أما وقد جدت هذه التطورات فإننى لاأستطيع مساندته وليس أمامى سوى تأييد المجموعة المعارضة للسادات .. » .

ورغم كل هذه المواقف ، ظل تيتو على عهده الأمين تجاه مصر ، وناضل نضالا عنيفا من أجل مصر فى داخل المؤتمر . وإذا كانت قرارات هافانا قد أدانت اتفاقيات « كامب ديفيد » ، إلا أن عضوية مصر فى حركة عدم الانحياز بقيت ثابتة لم تمس ، وهذا ماكان يعنى تيتو فى المقام الأول .

وكان مؤتمر هافانا خاتمة المؤتمرات التى شارك فيها الرئيس تيتو على مدى عمره السياسى ، وعاد إلى بلاده وقد أشتد عليه المرض وأفقده القدرة على تسيير شئون الحكم ، فتولت القيادة الجديدة مسئولية البلاد والزعيم مازال على قيد الحياة .

تيتو : « إننى أريد أن أموت كاملاً .. »

بلجراد : ٥ يناير ١٩٨٠

حينما اشتد المرض على الرئيس تيتو ، قامت المجموعة الطبية التى تشرف على علاجه والمكونة من ثمانية من الأطباء اليوغوسلاف المتخصصين باستدعاء اثنين من كبار الأطباء العالميين ، أحدهما البروفسور الأمريكى ديبيكى ، اللبنانى الأصل ومن أكبر أخصائى أمراض القلب ، والبروفسور الروسى مارات كنجزين من



فى زيارة مع السفراء العرب لأحد المصانع اليوغوسلافية فى يونية ١٩٨٠ .

أكبر أخصائى أمراض الأوعية الدموية . وصدرت الأوامر بإغلاق سطار لوبليانا فى جمهورية سلوفينيا ، وتم نقل الرئيس تيتو إلى مستشفى « لوبليانا » المتخصص فى الأوعية الدموية . وبالكشف على الرئيس اليوغوسلافى ، رأى البروفسور الروسى ضرورة بترساق الرئيس حتى لايتعرض باقى الجسم إلى الغرغرينة التى بدأت تزحف من الساق . وكان لابد من إبلاغ الرئيس تيتو واستئذانه فى ذلك الأمر ، وقام أحد كبار الأطباء اليوغوسلاف بالتحدث إلى الرئيس اليوغوسلافى واستئذانه . فرد عليه الرئيس تيتو ضاحكا وقال : « إننى أريد أن أموت كاملا لاينقص أى جزء من جسدى .. ! » فأجابه الطبيب اليوغوسلافى : « إن يوغوسلافيا تريد بقاءك حيا ، وفى صحة أفضل وإن مايطلبه الطبيب الروسى هو من أجل استمرار الحياة للسيد

الرئيس .. » . فقال « تيتو » : « لقد أعطيت حياتى ووجدانى وجسدى إلى يوغوسلافيا طيلة عمرى .. فكيف أبخل عليها الآن بجزء من جسدى .. » . وتم بتر ساق الرئيس تيتو أملا فى وقف المرض .. ولكن لم تنقض شهور قليلة حتى فارق الحياة .

جوفانكا ...

بلجراد : ٤ مايو ١٩٨٠

من المعروف أن الرئيس تيتو كان قد انفصل عن زوجته « جوفانكا » منذ سنين قليلة قبل وفاته ، ومع هذا كان الرئيس يكن لزوجته حبا عميقا . وعندما اشتد به المرض ، تحدث الرئيس تيتو إلى أحد المسئولين المقربين ، وعبر له عن رغبته فى أن تكون زوجته أول من يسير خلف جثمانه . وقد أجيب الرئيس إلى طلبه. وجاء يوم ١٩٨٠/٥/٤ وأعلنت رئاسة الجمهورية اليوغوسلافية نبأ وفاة الرئيس تيتو ، وتحدد اليوم الرسمى لتشييع الجنازة . وحضر إلى بلجراد معظم رؤساء دول عدم الانحياز ورؤساء بعض الدول الأوروبية أو من ينوب عنهم . وظهرت جوفانكا متشحة بالسواد لتكون أولى السائرين خلف جثمان القائد العظيم ، وتقدمت كل رؤساء الدول ومشت فى بطء ملحوظ تسبقها دموعها وأحزانها . ظهرت زوجة تيتو فى وداعه رغم انفصالها عنه منذ سنين . وكان ظهورها في رحلة الوداع الأخيرة لمحة من لمحات الوفاء التى احتفظ بها تيتو وزوجته كل للآخر على مدى العمر .

وعبّرت « جوفانكا » عن رغبتها فى الإقامة بمنزل بجوار ضريح زوجها ، وجاءت اليها هناك السيدة هدى عبد الناصر ، وشقيقها عيد الحكيم لتقديم التعازى باسم أسرة الرئيس عبد الناصر . وعاشت « جوفانكا » فى المنزل المطل على حديقة صغيرة حيث يوجد جثمان الرئيس تيتو فى مقبرة رخامية تعلوها الزهور .. وتخلد رفيقة الحياة إلى وحدتها تنظر إلى المقبرة .. ومع إشراقه كل صباح تهبط إلى الحديقة الصغيرة لتضع بيديها باقة من زهور كان يفضلها الرئيس تيتو . . تضعها على سطح المقبرة ، ثم تعود مع أحزانها إلى الوحدة والسكون .

اعتذرت عن العمل سفيرا فى اسرائيل

بلجراد : ١٨ أكتوبر ١٩٨٠

وصلتنى برقية شفرية من ثلاث كلمات « تقرر استدعاؤكم للتشاور » . وجال بخاطرى أن وراء تلك البرقية شيئا جديدا ، وخاصة وأنها وصلت فى نفس الوقت الذى أعلن فيه عن الاتفاق على تبادل التمثيل الدبلوماسى بين مصر واسرائيل . ولم يخب ظنى ، فما أن وصلت إلى القاهرة والتقيت بالدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية ، حتى بادرنى بالحديث عن اتفاقيات السلام وإقدام مصر على تبادل التمثيل الدبلوماسى مع إسرائيل . وأوضح أن الوزارة قد رشحتنى أول سفير لمصر فى إسرائيل . وأضاف بأن الاتجاه كان إصدار قرار النقل من بلجراد إلى إسرائيل دون حاجة إلى استدعائى للتشاور ، آخذين فى الاعتبار أننى لن أتردد فى قبول هذا المنصب الذى أصبح من أخطر المناصب لمصر فى الخارج . واستطرد د . غالى قائلا : « إنك سوف تكون بمثابة مندوبا ساميا ، وإن اتصالاتك ستكون على أعلى المستويات فى مصر وإسرائيل » .

فأجبت د . غالى « إننى أعتذر عن قبول هذا المنصب ولى فى ذلك أسباب كثيرة سبق أن أوضحتها فى تقاريرى للوزارة ، ومن بينها أن الدول المؤيدة للقضية الفلسطينية مازالت تنتظر من مصر أن تحقق شيئا ما على الجبهة الفلسطينية أثناء تحركها مع إسرائيل ـ وقبل تطبيع العلاقات وتبادل السفراء بين البلدين ـ وتدرك هذه الدول أن تبادل السفراء هى الورقة الأخيرة فى يد مصر لتضغط على اسرائيل بأمل تحقيق تقدم ملموس على الجبهة الفلسطينية . ونحن ندرك أن تطبيع العلاقات والتى تتوجها خطوة تبادل السفراء هى أهم الأحداث فى تاريخ النزاع العربى الاسرائيلى منذ إنشاء دولة اسرائيل ، وأنها الشيء الوحيد الذى يمكن أن تلمسه اسرائيل وينتظره الشعب الاسرائيلى كنتيجة ايجابية لعملية السلام ، وإنى أرى أن الذهاب نحو تحقيق تلك الخطوة وهى تبادل السفراء معناه أننا فقدنا الورقة الأخيرة التى فى أيدينا للضغط على اسرائيل ودفعها للتحرك نحو خطوة جادة على الجبهة الفلسطينية . وأخشى أن نقدم على تبادل السفراء ونجد اسرائيل جامدة فى موقفها لاتتحرك ، مكتفية بالوجه

المشرق فى اتفاقية السلام وهو علاقاتها المستقبلية مع مصر دون الالتفات إلى أى تقدم على الجبهة الفلسطينية .

وقلت للدكتور غالى : إننى أشك كثيرا فى أن اسرائيل سوف تسير وفق روح اتفاقيات السلام ، بل ستعمل على الاستفادة من أغلى مافى الاتفاقية وهو علاقاتها بمصر فقط . وقد سبق لى أن أوضحت فى تقاريرى للوزارة أن مناحم بيجين سوف يعود إلى سيرته الأولى ويسعى إلى عقد اجتماعات غير مجدية بالنسبة للحكم الذاتى الفلسطينى ، وسوف تصاب قلوبنا بالتعب كما أصيبت من قبل على يديه . ومهما قيل عن بيجن أنه رجل قوى وقادر على تنفيذ مايقول ، إلا أن آراءه ومعتقداته المتحجرة ستقف دائما حائلا دون الوصول إلى تقدم ملموس على طريق السلام . ولايعنى هذا أن القادة الإسرائيليين فى الحكم أو المعارضة لهم آراء تختلف عن آراء بيجين ، فليس بينهم خلاف على الأرض لأنهم جميعا رسموا خريطة واحدة لاسرائيل ولكن بألوان مختلفة ، وليسوا على استعداد لمبادلة الأرض بالسلام .

ثم سألنى د . بطرس غالى ـ ماذا نقول لمندوبى الصحافة والتليفزيون المنتظرين خارج القاعة . . والذين يتوقعون اعلان اسم أول سفير لمصر فى اسرائيل . . ؟

فأجبته بأننى سوف أوضح لهم أن الغرض من المقابلة التى تمت بيننا ـ كانت لدراسة العلاقات المصرية اليوغوسلافية وآثار اتفاقية كامب ديفيد على تلك العلاقات . . .

وفعلا كان هذا ردى على أسئلة الصحفيين حينما غادرت مكتب وزير الدولة للشئون الخارجية . . .

فيرهوفتش ...

بلجراد : ٢٧ أكتوبر ١٩٨٠

كان آخر لقاء لى مع الوزير « فيرهوفتش » على العشاء بدعوة منه بمناسبة زيارة السيد النائب حسنى مبارك ، وكان ذلك فى « دبروفنيك » فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٨ . ومنذ ذلك التاريخ وضع الوزير اليوغوسلافى مايشبه الحجر على تحركاتي ووصولى إلى مكتبه للالتقاء به . وكان فى كل مرة أطلب مقابلته أجد قدماى قد ساقتنى إلى مكتب وكيل الخارجية وليس أعلى من ذلك . وكنت أفهم هذا التصرف ، وإن كان قاسيا على سفير دولة صديقة ، **ولكنه كان تعبيرا من الخارجية اليوغوسلافية غن عدم رضاها أو عدم اقتناعها بما قامت به مصر بشأن تحركاتها تجاه السلام فى المنطقة** . وقد تحملت هذا الموقف حتى أبقى على مابين البلدين من علاقات دون إحداث أزمات جديدة قد تؤدى إلى قطع الخيط بينهما وأتخذت نهجا مخالفا تماما ، فطلبت من الخارجية المصرية ألا تعامل السفير اليوغوسلافى فى القاهرة بنفس الطريقة بل تشجعه على مقابلة المسئولين فى الخارجية المصرية وفى مقدمتهم الوزير المصرى . وكان تقديرى أننا فى حاجة إلى كل رباط يربطنا بيوغوسلافيا رغم تأثر العلاقات بسبب اتفاقيات كامب ديفيد .

ولابد أن أعترف أنه منذ مبادرة السلام المصرية واتفاقيات كامب ديفيد ، كنت ألمس عن قرب تراكم الجليد حول العلاقات بين البلدين ، وبرودة أللقاء مع المسئولين وغياب حرارة الحديث مع كل من قابلت . ولولا الرئيس تيتو ووقفاته الشامخة منذ المبادرة المصرية ، لكان الخيط القصير الذى تبقى قد تفكك وانقطع . وجاءت وفاة الرئيس تيتو فى أوائل عام ١٩٨٠ لتفسح الطريق للقادة الجدد ، ولوزير الخارجية لكى يظهروا علامات عدم الارتياح تجاه سياسة مصر بطريقة دبلوماسية معروفة وذلك فى شخص سفيرها ، وهو قصر اتصالاته على درجة معينة لاتتعدى وكيل الوزارة وغلق الأبواب بينه وبين الوزير .

ويمر مايقرب من عامين على آخر لقاء لى مع « فيرهوفتش » ، ويحدد لى

موعدا للالتقاء به يوم ١٩٨٠/١٠/١٧ وما أن دخلت إلى مكتبه حتى بادرنى بالإعراب عن أسفه لعدم تمكنه من اللقاء بى منذ مدة . وسألنى منذ متى لم نلتق ؟ .. فأجبته بأن مفكرته فى عام ١٩٧٨ لابد أن توضح له تاريخ آخر لقاء بيننا . وكنت حريصا على أن أفرغ الضيق الذى ملأ نفسى من الوزير على مدى سنتين . وقلت له إننى أود أن أتحدث إليك بكل الصراحة التى يجب أن يسمعها وزيرا لدولة صديقة هى يوغوسلافيا ، ولكى أعطيك صورة صادقة عن الانطباعات غير المريحة التى وجدت صداها لدى المسئولين فى مصر ، وعلامات الفتور التى تراكمت على محور العلاقات بين البلدين ومن مظاهر هذا الفتور مايلى :

- ☐ بمناسبة توليكم منصبكم الجديد وزيراً لخارجية يوغوسلافيا ، وجه الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية دعوة كتابية لكم لزيارة مصر . وكان يأمل أن يتعرف عليكم شخصيا باعتباركم وجها جديدا فى حقل السياسة الدولية والمسئول عن السياسة الخارجية اليوغوسلافية ، ولعلمنا أن خبرتكم على مدى سنين طويلة كانت فى الحقل الصحفى ، ومع هذا لم نسمع عن أى استجابة لهذه الدعوة .

- ☐ تم توجيه دعوة إلى وزير الدفاع اليوغوسلافى لزيارة مصر ، ولكن لم يلبى هده الدعوة حتى الآن .

- ☐ تم توجيه دعوة شفوية من د . مصطفى خليل رئيس وزراء مصر ، إلى رئيس الوزراء اليوغوسلافى لزيارة مصر ، ولاندرى إلى أى طريق انتهت هذه الدعوة ولم نسمع عن أى خطوات فى سبيل تحقيق تلك الزيارة .

- ☐ ولعلك تذكر ياسيادة الوزير أنك قمت بزيارة بعض الدول الأفريقية فى صيف ١٩٧٩ للتحدث إلى المسئولين هناك حول إمكانية عقد اجتماع مجموعة عدم الانحياز لاتخاذ موقف تجاه أحداث افغانستان . وكان من الممكن على الأقل ، التوقف فى مطار القاهرة للقاء السيد وزير الدولة لتبادل الآراء ، وذلك فى رحلة الذهاب إلى أو العودة من هذه الدول ، ولكن يبدو أن تنظيم الرحلة جاء بحيث لاتعبر الطائرة أجواء مصر ولا أن تتوقف فى مطار القاهرة ذهابا أو إيابا .

- ☐ فى أعقاب اتفاقيات السلام اتصل بى السيد النائب حسنى مبارك ليعلن عن عزمه

الحضور إلى بلجراد لمقابلة الرئيس تيتو للتحدث معه عن آخر تطورات عملية السلام ، وهنا خرج المسئولون اليوغوسلاف عن العرف بين البلدين والذى كان يقضى دائما بتحقيق مثل هذه اللقاءات بين السيد النائب والرئيس تيتو ، وأوضح من بيده الأمر أن السيد النائب يمكنه الحضور على أن يكون لقاء سيادته مع السيد نائب رئيس الجمهورية اليوغوسلافى دون اللقاء مع الرئيس تيتو . وبلغنى السيد النائب رسالة بعد ذلك عن طريق السيد عز الدين مختار كبير الأمناء بأنه مالم يتمكن سيادته من اللقاء مع الرئيس تيتو فإنه لن يحضر إلى بلجراد . وأبلغت الرسالة إلى المسئولين فى رئاسة الجمهورية فى بلجراد . وعاد رئيس المراسم هناك ليعيد علىّ ماسبق أن قاله لى من أن السيد نائب رئيس الجمهورية اليوغوسلافية سيكون فى انتظار السيد النائب حسنى مبارك بالمطار ، وسوف يجرى معه مباحثات فى قصر الضيافة الذى يقع على بضع خطوات من دار سكن السفير المصرى . فادركت أن هناك إصرار من قبل المسئولين اليوغوسلاف نحو عدم تحقيق اللقاء بين السيد حسنى مبارك ، والرئيس تيتو . وبناء عليه ألغى السيد النائب رحلته إلى بلجراد .

وقلت للوزير فيرهوفتش إن ماحدث، ترك انطباعا غير مريح لدى المسئولين فى مصر لأنها لم تكن تتوقع مثل هذا الجفاء من يوغوسلافيا .. الدولة الصديقة . وأضفت أنه فى الوقت الذى رأت فيه يوغوسلافيا أن توقف اتصالات وزيارات المسئولين المصريين معها ، كانت زيارات ولقاءات المسئولين العرب تسير فى حركة دائبة وعلى كافة المستويات .

وقلت للوزير إن احدا لايستطيع أن ينكر ماقامت به مصر نحو القضية الفلسطينية . وإن مصر وقد استعادت معظم أراضيها ، كان يمكنها أن تتوقف عند هذا الحد وتغسل أيديها من القضية ، ولكن قدرها التاريخى والتزامها العربى يحتمان عليها أن تأخذ الشوط إلى نهايته لتضع الفلسطينيين على الطريق الصحيح . وأضفت أن فصول القضية لم تنته بعد وأن الحكم عليها يعتبر سابقا لأوانه ولابد من الانتظار حتى النهاية لكى يأتى الحكم سليما . وقلت للوزير إن مصر سبق لها أن أعلنت أنها على استعداد للسير خلف أى حل بديل ، فأين هذا الحل ؟ وأضفت أنه يجب أن نعرف جميعا أن مصر ، رغم غيابها الشكلى عن العالم العربى ، فمازال تأثيرها العازم فى

المنطقة ، ويكفى أن نرى مايجرى على الساحة العربية الآن لكى ندرك مدى تأثير مصر وجودا أو غيابا عن هذه الساحة .

لم يكن الوزير يتوقع أن أسرد عليه كل هذه الأحداث ، وأن أضعها أمامه لكى أعبر عن ضيق ملأ نفسى على مدى سنتين ، ولكى أضعه أمام مسئوليته لتأثيره السلبى على الروابط بين دولتين صديقتين عاشتا معا منذ مؤتمر باندونج ، وكافحتا معا فى سبيل حركة عدم الانحياز التى هى محور التحرك للسياسة اليوغوسلافية .

وأنهى « فيرهوفتش » حديثة بقوله إن بلاده تعمل على عدم المساس بعضوية مصر فى عدم الانحياز ، وأنها لن تقدم على أى عمل يضر بمصر أو عضويتها داخل الحركة - وأضاف بأنه انطلاقا من اقتناعه بأهمية الحوار بين المسئولين فى كلا البلدين ، قرر أن يسافر إلى مصر « بتروفيتش » مساعد وزير الخارجية المسئول عن الشرق الأوسط وأفريقيا ، لكى يجرى مشاورات مع المسئولين فى الخارجية المصرية . وسافر « بتروفيتش » إلى القاهرة يوم ١٩٨١/١/٧ وقابل المسئولين المصريين وناقش معهم المسائل الثنائية والمشاكل الدولية ، وكانت هذه الزيارة أول لقاء يتم بين مسئول يوغوسلافى عالى المستوى مع المسئولين المصريين منذ عام ١٩٧٨.

حادث المنصّة ...

القاهرة : ٦ أكتوبر ١٩٨١

كنت بين المدعوين لحضور حفل استعراض القوات المسلحة بمناسبة ذكرى انتصارات أكتوبر . وبدأ العرض العسكرى فى جو من الاعجاب والتقدير . وفجأة توقفت عربة جيش فى مواجهة المنصة وانطلقت منها دفعات من مدفع رشاش ، ونزل ضابطان من العربة. واندفعا بسرعة فى اتجاه الرئيس السادات الذى كان واقفا لتحية قوات جيشه وأطلق أحدهما طلقات من مدفعه الرشاش وأخذ الآخر فى إلقاء القنابل اليدوية على الصف الأول من المدعوين ، وسقط الرئيس السادات كما أصيب

آخرون ، ونقل الرئيس فى طائرة هليكوبتر إلى مستشفى المعادى بأمل إنقاذه ، ولكن يبدو أن روحه قد فاضت منذ الطلقة الأولى التى أطلقت عليه من عربة الجيش التى توقفت أمام المنصة أثناء الاستعراض .

وكان يجلس فى نفس الصف وعلى بعد خطوتين منى ، السفير البلجيكى وابنته . وأصيب السفير بعدة طلقات طائشة وسقط على الأرض ، ولم تحاول ابنته الالتجاء إلى مكان آمن أو حتى الاختباء تحت المقاعد ، بل ألقت نفسها على أبيها تحميه من الرصاص وتصرخ النجدة .. النجدة .. وقد تخضبت يداها وثيابها بدماء أبيها ، وتم نقله فى عربة السفارة تضمه ابنته بين ذراعيها إلى أحد المستشفيات فى مصر الجديدة وفى اليوم التالى أرسلت له حكومته طائرة خاصة وعليها طبيب وممرضة وأقلعت به ومعه ابنته إلى بلاده للعلاج .

وساد المكان حالة من الذعر والفوضى . وشاهدت د . فؤاد محيى الدين رئيس الوزراء وهو يبحث عن عربته فلم يجدها ، وطلب من أحد السائقين العسكريين أن ينقله بعربته إلى خارج المكان فرفض الجندى رغم أن د . محيى الدين عرّف السائق بنفسه وقال له : « أنا رئيس الوزراء » . فرد الجندى قائلا : « أنا معرفكش يافندم .. أنا هنا فى انتظار سيادة اللواء ولا استطيع أن اتحرك من هنا بدونه » . وبعد أن هدأ الموقف سرت إلى خارج المكان حيث وجدت سائق عربتى وهو لايكاد يصدق أنه رآنى وأننى مازلت على قيد الحياة ..

وعدت إلى مكتبى فى وزارة الخارجية بالتحرير ، وحاولت الاتصال بالسيد نائب رئيس الوزراء كمال حسن على ، ولكنى لم أتمكن من ذلك . وفجأة دق جرس التليفون فى مكتبى وكان المتحدث هو السيد كمال حسن على الذى دعانى إلى أن ألحق به فى مجلس الوزراء . وذهبت إلى هناك وبرفقتى السفير سيد أبو زيد مدير المكتب . وصعدنا إلى قاعة الاجتماعات لمجلس الوزراء ووجدنا هناك السيد فكرى مكرم عبيد ود . مصطفى السعيد ود . كامل ليلة ، وكل منهم يحاول كتابة البيان الذى طلبه السيد النائب حسنى مبارك لالقائه على الشعب بعد استشهاد الرئيس السادات . وانتحيت جانبا فى أحد مقاعد مجلس الوزراء وبجانبى السفير سيد أبو زيد ، وبدأنا فى كتابة البيان ثم تعديله وتمحيصه إلى أن جاء فى صورته النهائية . وأشهد أن السفير سيد أبوزيد كان موفقا فى اختيار العبارات ، ووضعها فى أسلوب مميز رفيع يرقى إلى

تلك المناسبة التاريخية الحزينة . وكان الوزراء يصلون واحدا بعد الآخر ، ودخلوا فى إحدى القاعات الكبيرة المقابلة لمكتب رئيس الوزراء .

ومع الغروب جاء السيد النائب حسنى مبارك ، وسألنى وهو فى طريقه إلى الاجتماع عما إذا كنت قد انتهيت من إعداد البيان ، وقال إن إذاعات العالم كلها أعلنت خبر استشهاد الرئيس السادات . ودخل السيد النائب إلى قاعة الاجتماعات ، ودخلت من بعده وسلمته البيان ، فقرأه أمام الوزراء ، ثم قام مباشرة لاذاعته على الشعب وعلى العالم فى التليفزيون والاذاعة .

مناحم بيجين ...

القاهرة : ٧ أكتوبر ١٩٨١

وفى صباح ٧ أكتوبر ١٩٨١ ، صدرت التعليمات إلى وزارة الخارجية لاعداد مراسم الاحتفال بتشييع جنازة الرئيس السادات ، وتعيين عدد من السفراء المصريين لمرافقة رؤساء الدول التى سوف تشارك فى هذه المناسبة الحزينة .

وبدأت الخارجية فى تلقى البرقيات الواردة من أنحاء العالم ، والتى تعلن عن موعد وصول رؤساء الدول أو من ينوب عنهم إلى القاهرة . وتم التنبيه على السادة السفراء الموجودين فى أجازة بالقاهرة بعدم مغادرتها ، والانضمام إلى زملائهم السفراء الموجودين بالديوان العام . وتشكلت مجموعة عمل برئاسة السفير الشافعى عبد الحميد وكيل وزارة الخارجية للإعداد لكل هذه الترتيبات ، وقامت بعملها على خير وجه وبمنتهى الدقة .

وفاجأتنا برقية من اسرائيل تعلن عن رغبة مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل فى أن يشارك فى تشييع جنازة الرئيس السادات ، وأفادت البرقية بأن بيجين « يصر على الحضور » رغم ماكان فى ذلك من مخاطر . ثم اتصل « ساسون » سفير اسرائيل فى القاهرة بالسفير حسن عبد الصمد كامل مدير إدارة الأمن بوزارة الخارجية ليقول

له إن رئيس الوزراء مناحم بيجين يرغب فى حضور مراسم تشييع جنازة الرئيس السادات ، وأنه لايريد أن يغيب عن هذه المناسبة للقيام بواجب العزاء . فأجابه السيد مدير الأمن بأن الوزارة قد تلقت من سفارتنا فى تل أبيب مايفيد هذا الطلب ، وأنه جار الاتصالات بالجهات المعنية لتوفير الأمن لكافة الرؤساء الذين سوف يحضرون لتشييع الجنازة . ثم تحدث السفير الاسرائيلى مرة ثانية مع السفير حسن عبد الصمد ، وقال له : « إن رئاسة الوزراء فى إسرائيل معى على الخط الثانى ، وهى تستعجل الرد بشأن مشاركة رئيس الوزراء بيجين فى مراسم تشييع الجنازة » . وحينما قال له السفير مدير الأمن إن الأمر جار البحث فيه ، وأنه سيتصل به فور وصول الرأى من هذه الجهات المعنية . أجابه « ساسون » بأن التأخر فى الرد على هذا الطلب قد يفهم منه أن مصر تريد تفويت الفرصة على « بيجين » للمشاركة فى تلك المراسم ، ومعنى ذلك أن مصر لاتريد أن ترى « بيجين » يودع رفيقه فى السلام ، ومايحمله ذلك من آثار على العلاقات بين البلدين ، وهى مازالت فى خطواتها الأولى . فقال له السفير مدير الأمن فى حزم : « يجب أن تدرك الظروف التى تمر بها البلاد ، ويجب أن تعرف أن الجهات المعنية أدرى من غيرها بما يجب اتخاذه فى مثل هذه الظروف ، وماعليك إلا إبلاغ ملاحظتى هذه إلى رئاستك ..» .

وكان قد تحدد موعد تشييع الجنازة يوم السبت ، ووضَعَنا « بيجين » فى موقف حرج ، إذ أنه ينتمى إلى فئة معينة من الدين اليهودى التى تحرم على معتنقيها أن يركبوا أى وسيلة نقل أيام السبت . وبدأنا فى تقدير هذا الموقف وكيفية نقل بيجين من أقرب فندق فى مصر الجديدة إلى مكان الجنازة بالقرب من مسجد رابعة العدوية . واتصل السفير حسن عبد الصمد كامل مدير إدارة الأمن بوزارة الخارجية بالجهات المعنية وعرض عليهم الأمر . وفى النهاية أمكن تدبير مكان لمبيت السيد « بيجين » وحرسه الخاص فى أحد النوادى القريبة من مكان تشييع الجنازة . وفى صبيحة السبت وهو الموعد المحدد للجنازة ترك « بيجين » مكان إقامته فى النادى وجاء سائرا على قدميه محاطا بحرسه الخاص من كل جانب فضلا عن الحرس المصرى الذى رافقه أثناء سير الجنازة .

وأنتهت مراسم الاحتفال الحزين وعاد بيجين سيرا على الاقدام مرة ثانية إلى مكان إقامته فى النادى الذى خصص له ، وتناول طعامه الذى أحضره معه من

إسرائيل ، ثم أمضى ليلته فى النادى . وفى صباح اليوم التالى أقلته عربة السفارة الاسرائيلية إلى مطار القاهرة حيث كانت فى انتظاره إحدى الطائرات الاسرائيلية لتنقله إلى إسرائيل ..

وهكذا انتهى يوم حافل بالأسى والأحزان .. مع مفاجأة واحدة كان بطلها مناحم بيجين .

السفير السوفيتى .. شخص غير مرغوب فيه

القاهرة : عام ١٩٨١

بعد انتهاء مدة خدمتى سفيرا فى يوغوسلافيا ، عدت إلى القاهرة ، وصدر قرار بتعيينى وكيلا أول لوزارة الخارجية ومشرفا على مكتبى السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، والسيد وزير الدولة للشئون الخارجية ، وذلك فى يولية ١٩٨١ وكانت وزارة الخارجية قد استحدثت هذا المنصب حفاظا على أسلوب عمل ونشاط كلا المكتبين دون تضارب أو تعارض ، وتجنبا للنتائج السلبية التى قد تحدث نتيجة لذلك . وما أن تسلمت مهام منصبى الجديد حتى ظهرت أزمة العلاقات السوفيتية المصرية ، ومانتج عنها من قرار طرد الخبراء السوفيت .

وقبل سفره فى مهمة عاجلة خارج البلاد ، اتصل بى د . بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية ، وذلك من مطار القاهرة الدولى ، وطلب منى **استدعاء سفير الاتحاد السوفيتى لابلاغه قرار الحكومة بأنه أصبح شخصا غير مرغوب فيه .**

وكانت العلاقات بين البلدين - فى تلك الفترة - قد وصلت إلى أدنى درجة ، وجاءت تصرفاتنا مشوبة بالعصبية الزائدة . وصدرت القرارات العنيفة واحدا بعد الآخر ، من قطع العلاقات مع موسكو إلى طرد الخبراء الروس ، إلى اعتبار السفير السوفيتى شخص غير مرغوب فيه .

وفى زحام هذه القرارات الملتهبة والملحة ، كان علىّ أن أكون على جانب كبير

من الهدوء ، وآخذ الأمور بمزيد من الروية ، اقتناعا منى بفلسفة عشتها على مدى حياتى الدبلوماسية والتى أخذت من عمرى ثلاثين عاما ، تلك الفلسفة التى تقول إنه لاتوجد قطيعة كاملة بين الدول ولا وصل أبدى بينها . وكنت أميل دائما إلى أن أترك الخيط الرفيع يصل بين الطرفين المتنازعين دون أن ينقطع ، ولذلك مارست سياسة الباب الموارب . وأشهد أن من وضع تلك السياسة فى قاموس الدبلوماسية كان على حق وكان بعيد النظر .

استدعيت السفير السوفيتى فجاء ، ومعه وزيره المفوض والمترجم ، وهو خالى الذهن عما سوف أقوله له ، وربما تصور أن الغرض من هذا الاستدعاء هو للاتفاق على وضع الترتيبات لتسفير الخبراء الروس وعائلتهم والتوقيتات المناسبة لذلك . وكان هذا اللقاء من أصعب التجارب التى مررت بها على مدى سنين عملى فى الحقل الدبلوماسى ، وقد شعرت بحاجتى الماسة إلى كل العبارات الهادئة التى جاءت فى قواميس اللغة ، استجمعها كلها لعلها تخفف من وقع حديثى مع السفير . وبدأت بالكلام عن العلاقات بين الدول بصفة عامة ، وأن التاريخ وصفحاته يبين أن تلك العلاقات لاتبقى خضراء على قمة الجبال ولاجرداء على قاع الصحراء ، ولكنها تتأرجح بين القمة والقاع وتحملها الظروف أحيانا مع الغيوم القاتمة والضباب الكثيف فتحجب الرؤية ويتوقف المسير ، ثم لاتلبث أن تنقشع الغيوم ، بفضل ظروف أخرى ، ويخف الضباب وتظهر معالم الطريق ويعود المسير ..

وأخذت أقترب من مرادى على طريق هادىء مع العبارات الهادئة . ثم قلت للسفير : « **لعلك تتفق معى فى أن العلاقات بين البلدين قد دفعتها بعض التطورات الأخيرة إلى رمال الصحراء ..** » . **فأجابنى بأنه يرى أن العلاقات بين البلدين تأخذ فى هذه الفترة منعطفا حادا ، ولكنه لايجد سببا قويا لذلك . فقلت له إنه حدثت تصرفات من بعض أجهزة السفارة وإن شئنا نقول إنها كانت تتسم بطابع الخروج عن التقاليد والأعراف الدولية مما جعلها تبدو وكأنها عملية تجسس لاترضاها مصر .. الأمر الذى دعا المسئولين إلى إبعاد الخبراء الروس من المصانع ومراكز الانتاج المصرية . ويؤسفنى ياسيادة السفير أن أبلغك بقرار حكومتى باعتباركم شخصا غير مرغوب فيه ، ولكم أن تختاروا المدة التى تحتاجون إليها لكى تتمكنوا من جمع أوراقكم إيذانا بالرحيل .**

ولعل السفير السوفيتى لم يكن يتوقع أن تقوم مصر بدفع الأمور إلى هذا الحد ،

ولكنه تماسك وقال فى هدوء كامل : « **إن كل ماتدعيه أجهزة الإعلام المصرية فى هذا الشأن لا أساس له من الحقيقة ، وسوف تثبت الأيام صحة مأأقول . ولكن دعنى اتحدث اليك بصراحة ، فأقول ربما كانت هناك أسباب أخرى لدى المسئولين فى مصر لاتخاذ مثل هذه القرارات !! وهذا شأنهم ، أما القول بأن السفارة قد عبثت بالتقاليد والأعراف الدولية فهذا لم يحدث وأستطيع أن أقطع فيه بكل تأكيد ولى كلمة أخيرة أقولها لك قبل أن أرحل عنكم : إن بعض المسئولين ، تصوروا أمورا لم تحدث فاتخذوا تلك الخطوة التى أحدثت شرخا فى العلاقات بين البلدين . ولكن الزمن كفيل بإظهار الحقيقة ، وأخشى أن تدفع مصر ثمن هذا الخطأ . هذا وسوف أغادر البلاد فى فترة تقل عن أسبوع ..** »

ثم اتجهت بنظرى إلى الوزير المفوض ، وقلت له إننى لست من المؤمنين بسياسة الأبواب المغلقة ، بل أرى ضرورة الابقاء على الخيط الرفيع دون أن ينقطع ، ولك أن تأتى إلىّ فى أى وقت تشاء ، وماعليك إلا أن تتصل بمكتبى لتحديد الموعد المناسب حينما ترغب فى ذلك . فشكرنى على ماقلته ، ثم رافقت السفير ومرافقيه حتى الباب الخارجى ، وودعته بكل المجاملة التى تفرضها مثل هذه المواقف ..

وما أن انتهيت من توديع السفير السوفيتى حتى دق جرس التليفون فى مكتبى لاستمع إلى د . فؤاد محيى الدين رئيس الوزراء الذى سألنى عن نتيجة المقابلة بينى وبين السفير السوفيتى فأبلغته بما تم وأن السفير سوف يغادر الأراضى المصرية فى أقل من أسبوع .

وفى نفس اليوم ، وحوالى منتصف الليل اتصل بى مرة ثانية السيد رئيس الوزراء تليفونيا فى منزلى ، وطلب كشوفا بكل أعضاء السفارة السوفيتية بالقاهرة ، دبلوماسيين وإداريين . وقال إن عددهم كبير جدا ، وأن المعلومات لدينا تشير إلى أن عددهم يصل إلى عدة مئات فى حين أن سفارتنا فى موسكو ليس بها سوى عشرات من الموظفين من دبلوماسيين وإداريين . فطلبت من رئيس الوزراء مهلة يومين لكى استجمع كل البيانات الدقيقة . وجائتنى البيانات من السفارة السوفيتيه بأسرع مما كنت أتوقع ، وقدم لى القائم بالأعمال السوفيتى كشوفا كاملة بالأعضاء العاملين بالسفارة بالقاهرة ، وتتضمن الأسماء وأرقام جوازات السفر وتاريخ الوصول إلى مصر للعمل فى السفارة ، ودرجة كل عضو وتوصيف عمله فى البعثة . ثم وصلتنى برقية من سفارتنا فى موسكو تحدد عدد أعضاء السفارة بثمانية أعضاء ، أما أعضاء المكاتب

الفنية الملحقة بالسفارة ، فكان عددهم ستة وعشرون عضوا بين دبلوماسى وإدارى . أى أن مجموعهم أربعة وثلاثون عضوا . وتجمعت لدى كل الكشوف من البعثتين واتصلت بالسيد رئيس الوزراء ، وأبلغته بأن الكشوف والبيانات جاهزة . فقال لى إنه قد تحدد اجتماع فى مقر رئاسة مجلس الوزراء برئاسته ، يحضره وزير الداخلية ومدير المخابرات العامة ، والسيد السفير أسامة الباز وكيل أول وزارة الخارجية ، وذلك يوم الاثنين لمناقشة هذا الموضوع .

وذهبت إلى الاجتماع ومعى ملف كامل باسم السيد رئيس الوزراء ، وصورة من الملف إلى كل من الحاضرين . ويحتوى الملف على أسماء العاملين فى كل من البعثتين ووظيفة كل منهم . **وكانت المفاجأة أن يتضح للمجتمعين أن عدد الأعضاء العاملين فى سفارتنا فى موسكو هو ٣٤ عضوا ، فى حين أن عدد أعضاء السفارة السوفيتية فى القاهرة هو ٣٢ عضوا !! أى أن عدد أعضاء سفارتنا فى موسكو يزيد على عدد أعضاء السفارة السوفيتية فى القاهرة . ولم يصدق رئيس الوزراء هذه الأرقام ، ونظر إلى وزير الداخلية وكأنه يقول له : « إن ماوصلنى منكم من معلومات وأرقام تختلف تماما عن الأرقام الموجودة أمامنا ! »** وانتهى الأمر إلى تكليف وزارة الخارجية بالاتصال بالبعثتين للاتفاق على عدد الأعضاء فى كل منهما ، على أن يكون متساويا ولايزيد على ستة أفراد دبلوماسيين واثنين من الإداريين . وتم إبلاغ السفارتين بذلك ، وانتهت أزمة « الأرقام » فى كلتا السفارتين عند هذا الحد .

الخبراء الروس

ولم تمر بضعة أيام على خروج الخبراء الروس من المصانع المصرية ، حتى اتصل بى تليفونيا المهندس محمد المهيلمى رئيس هيئة التصنيع فى وزارة الصناعة ، وقال لى بالحرف الواحد : « **نحن واقعون فى عرضك .. إن خروج الخبراء السوفيت من بعض المصانع أدى إلى توقفها بالكامل . سوف أحضر اليكم فى الموعد الذى تحدده ، وياحبذا أن يكون غدا نظرا لخطورة الموقف ، وسوف**

اصطحب معى ثلاثة من رؤساء مجالس إدارة مصانع الأسمنت فى مصر لدراسة الموقف معك وماذا يمكن أن نفعله » .

وجاء المهندس « المهيلمى » الى مكتبى فى وزارة الخارجية ومعه رؤساء مجالس الادارة المعنيين ، وأذكر من بينهم المهندس « جاد الكريم » رئيس مجلس إدارة أسمنت طره . وكان أول المتحدثين إذ قال لى : « ياسيادة السفير إنى أخسر يوميا خمسة وعشرين ألف جنيه مصرى ، وهى خسارة جسيمة لايمكن تعويضها » . واستدرك قائلا : « إن خروج الخبراء الروس من المصنع أثر تأثيرا كبيرا على الانتاج ، بل إن هناك مصنعا جديدا جاء به الروس ولم يتم تركيبه وتركوه فى منتصف مراحل إعداده للعمل ، وحاولنا إستدعاء بعض الخبراء الغربيين للقيام باستكمال تركيب المصنع ولكنهم فشلوا فى ذلك تماما .. » .

ثم تدخل المهندس « المهيلمى » فى الحديث وقال : « لقد حضرنا إليك لكى نعرف مدى إمكانية إعادة الخبراء الروس إلى بعض المصانع المصرية ، ونحن نسعى إلى وزارة الخارجية باعتبارها الجهة الوحيدة التى يمكنها عمل الاتصالات اللازمة أملا فى إيجاد الحل وإعادة هؤلاء الخبراء » . وأضاف المهندس المهيلمى : « إن الأمر لايتعلق بمصانع الأسمنت فقط بل هناك توقف فى أعمال أخرى مثل الكهرباء والثروة السمكية واستصلاح الأراضى نتيجة لخروج الخبراء الروس » .

وانتهت المقابلة مع المهندس « المهيلمى » وزملائه ووعدتهم ببذل كل المساعى فى سبيل الوصول إلى حل .

وهنا جال فى خاطرى ثلاثة أمور :

☐ **أولها** : ألم يكن هناك مسئول واحد يقف ليقول إنه لايمكن الاستغناء عن بعض الخبراء فى مجالات معينة بدلا من التهليل والتصفيق والانصياع للقرار دون إدراك للعواقب وتأثيرها على اقتصاد مصر وتوقف المصانع .

☐ **ثانيا** : تذكرت كلام السفير السوفيتى حين قال لى فى آخر لقاء معه : إن مصر قد أخطأت فى اتخاذها تلك الخطوة وأخشى أنها ستدفع ثمن هذا الخطأ .

☐ **ثالثا** : أدركت أن سياسة الباب الموارب والإبقاء على الخيط الرفيع فى العلاقات هى التى ستفتح لى الطريق لمعاودة الاتصال بالجانب الروسى .

ووجدت نفسى بين اتجاهين متنازعين : اتجاه رجال الصناعة الراغبين فى إعادة بعض الخبراء الروس لدفع الحركة من جديد إلى المصانع وايقاف نزيف الخسائر ، واتجاه آخر يأتى من رئاسة الوزراء يلح إلحاحا قاطعا على استئصال كل أثر للخبراء السوفيت . وبين هذين الاتجاهين كانت الدوافع الوطنية تحدد لى معالم الطريق لكى أسير مع الاتجاه الأول صيانة لاقتصاد مصر وسعيا لوقف الأضرار التى لحقت بانتاج المصانع منذ أن تركها الخبراء الروس .

وذهبت إلى المكتب المجاور لمكتبى لأقابل د . بطرس غالى وزير الدولة ، وأبلغته بما قاله لى رجال الصناعة وحاجتهم الملحة لاعادة بعض الخبراء السوفيت إلى مصانعهم . وأضفت بأننى سوف استدعى القائم بالأعمال السوفيتى للتحدث معه فى هذا الشأن ، فأجابنى وزير الدولة : « **طالما أن هذا الإجراء هو من أجل مصر فإنى أعطيك الضوء الأخضر** » . ثم ذهبت للقاء السيد الوزير كمال حسن على وأعدت عليه ماقاله لى رجال الصناعة ، وأبلغته بأننى أرى أن أقوم باتصالاتى مع الجانب السوفيتى ، **فوافقنى على ذلك وقال لى** : « **إن انقاذ تلك المصانع ووقف نزيف الخسائر يسمو على أى انفعالات** » . واحتفظنا بسرية الموضوع داخل المكاتب الثلاثة إلى حين أن تتكشف الأمور عن أى جديد .

واستدعيت القائم بالأعمال السوفيتى ، وجاءنى فى اليوم التالى وقسمات وجهه توحى بأنه يعلم سبب استدعائى له وقلت للقائم بالأعمال : إن بعض المصانع فى حاجة إلى عدد من الخبراء الروس الذين كانوا يعملون بها وخاصة مصانع الأسمنت . واستدركت قائلا : « إنى لا أتوقع أن اسمع منك إجابة الآن ، ولكنى سوف انتظر منك الرد فى خلال أيام ، الرد عما إذا كانت الجهات المسئولة السوفيتيه توافق - من ناحية المبدأ - على إعادة بعض الخبراء فى مجال صناعة الأسمنت وفى حالة الموافقة نستطيع أن نتحدث عن التفاصيل ، وتذكّر ماسبق أن قلته لك أمام السفير فى لقائى الأخير معه ، من ضرورة الابقاء على الخيط الرفيع دون أن ينقطع ولعل ما طلبته منك الآن يؤكد على هذه الضرورة .. » .

ومر أسبوع تقريبا واتصل بى المهندس « المهيلمى » يسألنى عن أى جديد ، فقلت له : إننى اتوقع أن يأتينى القائم بالأعمال السوفيتى بين يوم وآخر . وفى نهاية الأسبوع جاءنى القائم بالأعمال السوفيتى ليبلغنى بأن موسكو توافق - من ناحية المبدأ - على عودة بعض الخبراء فى أقل عدد ممكن . وتريد استيضاح بعض النقاط

التى تتعلق بالمدة المطلوبة لبقاء الخبير فى المصانع المصرية ، والمرتب الذى يعطى للخبير وفقا لمستواه ودرجة خبرته ، ومخاطبة سفارتنا فى موسكو لمنح التأشيرة لدخول الخبير إلى مصر فى حالة الموافقة على كل النقاط . واتصلت تليفونيا بالمهندس « المهيلمى » وأخبرته بما جاء به القائم بالأعمال السوفيتى ، فسعد كثيرا بما سمع ، إذ أنه لم يكن يتوقع أن تستجيب « موسكو » لطلبنا نظرا لجفاء المعاملة التى ظهرت من جانبنا إبان الأزمة . وأجابنى « المهيلمى » بأنه سوف يحضر فى اليوم التالى ومعه كافة البيانات باحتياجات المصانع المعطلة وعدد الخبراء المطلوبين ، فى أقل الحدود ، ومرتبات الخبراء القادمين كل حسب درجة خبرته . وجاءنى المهندس « المهيلمى » ومعه البيانات ، وبدأنا فى مناقشة أجور ومرتبات الخبراء ، واقترح أن تزيد أجورهم بنسبة ٣٠٪ عما كانوا يتقاضونه قبل الرحيل .

وكان القائم بالأعمال السوفيتى يستمع إلى رأينا ثم يعود إلى سفارته للإبراق إلى موسكو بكل الخطوات . وبعد عدة لقاءات ، تم الاتفاق على زيادة الأجور بنسبة تتراوح بين ٤٠٪ ، ٥٠٪ وفقا لدرجة الخبرة . ويقول المهندس المهيلمى إن الخبير السوفيتى فى أى مصنع ، يقوم بعمله على خير وجه ولايسبب أى مشاكل كما أن طلباته محدودة للغاية ، وإن رفع أجره بالنسبة الجديدة يظل أقل بكثير من نظيره الخبير الغربى الذى يعمل فى المصانع ذات الخبرة الغربية . واستمرت هذه اللقاءات على مدى شهر إلى أن تم الاتفاق على كل النقاط ، وتم تحديد أسماء الخبراء كل فى اختصاصه ، وأبرقنا إلى سفارتنا فى موسكو لمنحهم تأشيرات الدخول إلى مصر ، وما أن وصل العدد الأول من الخبراء الروس إلى مصانع الأسمنت حتى جاء رؤساء مجالس إدارتها لتقديم الشكر إلى وزارة الخارجية .

ثم بدأت اتصالات أخرى معى من جانب المسئولين فى بعض القطاعات مثل الثروة السمكية واستصلاح الأراضى وغيرها ، وطلبوا بعض الخبراء فى تلك القطاعات ، وكان طريقى مفتوحا مع القائم بالأعمال السوفيتى الذى استجاب - بموافقة موسكو - على إيفاد العدد المحدود من الخبراء الروس .

وقابلت السيد كمال حسن على والدكتور بطرس غالى - وأبلغتهما بما تم . وهكذا عادت الحركة إلى المصانع المعطلة ، ووقف نزيف الخسائر .

خاتمـــة

وأتلفت حولى ، فأجد أن ثلاثين عاما من العمر قد انقضت فى رحلتى مع العمل الدبلوماسى . أخذت الطريق منذ بدايته وأنا ملحق جديد ووصلت إلى أعلى مراتب الدبلوماسية . تنقلت بين عواصم العالم ، فى أوروبا - شرقها وغربها - ودول الشرقين أقصاه وأوسطه ، والأمريكيتين - شمالية ولاتينية - والاتحاد السوفيتى والصين واليابان . تنقلت فى هذه البلاد عاملا فيها أو زائرا لها .. عشت فى بلاد لا تأتيها رياح الأحداث من الداخل أو من الخارج ، وإن أتت فإنها لاتحرك ساكنا ولاتثير غبارا ، وتبقى أحوال البلاد وأمورها هادئة بلا ازعاج ولاقلق ، ويمضى الوقت فى إيقاع رتيب فليس فيه من الأحداث مايغير من إيقاعه . وتنتهى سنى الوجود فى المنصب وحينما نتذكر تلك البلاد بعد سنين ، ندرك أنها ربما كانت من بين المناصب التى تسمى مناصب الراحة ، وهى المناصب التى يسعى إليها بعض السفراء على اتساع العالم ، إذا أرادوا الخلود إلى الراحة فى نهاية خدمتهم الدبلوماسية ، وتأتى الذكريات فى هذه المناصب حاملة أحداث عابرة ، تعبر أحيانا عن عادات الشعوب وتقاليدها أو ملابسات غير مقصودة من أهل البلاد ، أو مواقف لها طرافتها - وإن بعدت عن الدبلوماسية ..

وذهبت إلى بلاد أخرى ، جاءت الأساطيل إليها ، وحملت الأمواج العالية إلى بحورها وأنزلت القوات إلى شواطئها ، فهدمت نظاما وجاءت بنظام أقيم على الركام والحطام . وفى هذه البلاد كانت تحيط بنا الأحداث من كل جانب وتدفعنا فى كل اتجاه ، نسعى لمعرفة الأخبار ونلهث وراء البيانات ، ونستمع إلى الأطراف المتعارضة لكى نقوم بتحليل ماحدث على أسس سليمة ولكى نضع تقديرا للموقف ، بعيدا عن المبالغة أو الخطأ ..

وشاءت الظروف أن أعمل فى بلاد كانت تربطنا بها علاقات وطيدة بل علاقات متميزة بلغت قمة الجبال ، ولكن تحدث تطورات مفاجئة تهز العلاقات بكل عنف حتى تكاد تقتلعها من جذورها . ونحاول التصدى لتلك المفاجآت أملا فى وقف حدتها أو التخفيف منها ، ولكن تأتى الرياح عاتية ، ويسير التيار فى مساره العنيف يدفع كل شيء أمامه ويخلخل قاعدة الصداقة التى بنيناها على مدى السنين ، ونبحث عن نسيم الخير الذى كان يأتى كل صباح ليملأ الدنيا من حولنا بالبشر والأمل فلا نجده ولا حتى بشائره ، فصديق الأمس توارى عن الصحبة ، وإن رأيته فهو وجه جديد غابت عنه ابتسامة الحياة ، وحل مكانها ليل العبوس . وفى رحلتى الطويلة ، مشيت على الطريق بخطى ثابتة ، أبذل ما استطعت من أجل مصر .. مصر التى أعطتنى الكثير وغمرتنى بوافر من التقدير ، وملأت نفسى بالرضا على مر السنين . وكان اقتناعى راسخا بأن العمل المخلص وحده هو القادر على رسم معالم الطريق . فلم يكن لى خيار فى مكان عن مكان ، وماسعيت لبلد دون آخر ، بل كنت أتأمل المستقبل ومايأتينى به دون الحاح أو ملل .

أحببت كل مكان رحلت إليه ، أحببته بحلاوته ومرارته . لم أندم أنى ذهبت إلى بلد ولم أذهب إلى آخر . كان لكل موقع هدوءه وانفعالاته ، لينه وصعوبته ، قسماته وخصائصه ، تماما كوجه الانسان ، تعلو جبينه إشراقة الرضا أحيانا أو تجاعيد الضجر أحيانا أخرى .

وكانت الإشراقة بشرا وخيرا .

وحتى مع الضجر كانت ومضات الأمل ، تأتى على الطريق ، والانفراج يحمل مشعله ..

رقم الإيداع بدار الكتب

١٩٨٩/٨١٩٥

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



في الثورة والدبلوماسية

تنظيم الضباط الأحرار لم يكن هو أول تنظيم فى الجيش أو التنظيم الوحيد به . ففى إحدى الفترات وصل عدد التنظيمات السرية فى الجيش إلى « ١٦ » تنظيماً . وفى هذا الكتاب، يروى جمال منصور قصة واحد من أكبر هذه التنظيمات ، اللجنة التأسيسية لسلاح الفرسان ، بوصفه من مؤسسيها وقادتها ، وكيف التقت بمجموعة عبد الناصر وتعاونتا معاً فى تعبئة ضباط الجيش ، وكيف كان المؤلف هو الذى ابتدع اسم « الضباط الأحرار » وكتب أول منشور يصدر به .

وبالإضافة إلى خبايا وأسرار مرحلة الإعداد للثورة ، يسجل الكاتب أسباب الصدام بين مجموعته ورجال الثورة ، والذى انتهى به للعمل فى الحقل الدبلوماسى ، فى « ١٢ »عاصمة عالمية تولى فى « ٧ » منها رئاسة البعثة الدبلوماسية حيث شارك طوال ٣٠ عاماً فى أحداث أساسية فى تاريخ مصر يروى ذكرياته عنها ، ومنها : الأزمة المصرية الفرنسية والعدوان الثلاثى ، قطع العلاقات الألمانية العربية ، الانقلاب العسكرى ضد مكاريوس ، الأزمة المصرية السورية وقطع العلاقات بينهما فى ١٩٧٧ ، الخ .

الناشر

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام

التوزيع فى الداخل والخارج : وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء ـ القاهرة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

